

نازك الملائكة



المجلس الأعلى للثقافة

الأعمال الشعرية الكاملة • الجزء الأول

♦ مأساة حياة ♦ عاشقة الليل
♦ أغنية الإنسان ♦ شظايا ورماد

نَارُكَ الْمَلَائِكَةُ

الأعمال الشعرية الكاملة

(الجزء الأول)



٢٠٠٢

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٧٦٦٧
I.S.B.N. 977 - 305 - 332 - 6

◆ مأساة حياة

◆ أغنية الإنسان

◆ عاشقة الليل

◆ شظايا ورماد

تقدمة

أ.د عبده بدوى

- ١ -

كان كل شىء يساعد على أن تكون «نازك الملائكة» مميّزة في عالم الشعر، فقد عاشت نفسياً في مناخ عربي كان الشعر أوضح ملامحه، فقديماً تنتمى إلى المناصرة الذين استقروا في إمارة «الحيرة»، وكان في طليعتهم «النعمان بن المنذر»، وحديثاً نعرف أنها كانت وليدة ما يسميه ابن رشيق «البيت الشعري»^(١)، فقد كان جدّها لأمها محمد حسن كبة إماماً في الفقه، في القرن التاسع عشر وأوضح الشعراء في هذا القرن، أما أمها «سليمة عبدالرزاق» فهي صاحبة ديوان أنشودة المجد، ووالدها صادق مدرس النحو كان يتعاطى الشعر، وله أرجوزة في أكثر من ثلاثة آلاف بيت، وصف فيها رحلته إلى إيران عام ١٩٥٦، كما قال الشعر خالاهما: جميل وعبدالصاحب، ومن خلال هذا الزخم الشعري كان الاهتداء إلى تجربة جديدة في العصر الحديث، فيما يسمّى «الشعر الأسرى المشترك»، فقد كانت الشاعرة والأم، والخال عبدالصاحب يجتمعون، ثم يكتب أحدهم بيتاً كمطلع لإحساس يشغله، ثم تمر الورقة عليهم، وكل واحد يضيف بيتاً على الوزن والقافية حتى تنتهي القصيدة، والشاعرة تقول «فتحتنا أعيننا على الشعر وأنغامه، وقرأنا العروض معاً، وعشنا صباناً تبادل قصائد الدعابة، وننظم الأهاجى الفكاهية، والألغاز، والتاريخ، والتشطير، والتخميس والموشح، والدويت، ومازلنا حتى الآن نجتمع لنظم القصائد المشتركة، وأحياناً تبادل رسائل منظومة من أولها إلى آخرها»^(٢).

والملاحظ أن الشاعرة قد أخلصت نفسها للشعر من وقت بعيد، وبخاصة شعر المطولات، فقد كتبت «مأساة الحياة وأغنية للإنسان» في ثلاث صور شعرية لقصيدة واحدة، أولها قد نظم بين سنة ١٩٤٥، ١٩٤٦، وثانيهما نظم سنة ١٩٥٠، وثالثها كان عام ١٩٦٥، وهي تؤرخ لهذا العمل المركب فتقول: كنت إذ ذاك أكثر من قراءة الشعر الإنجليزي، فأعجبت بالمطولات الشعرية التي نظمها الشعراء، وأحببت أن يكون لنا في الوطن العربي مطولات مثلهم، وسرعان ما بدأت قصيدتي وسميتها «مأساة الحياة» وهو عنوان يدل على تشاؤمي المطلق، وشعوري بأن الحياة كلها ألم وإيهام وتعقيد^(٣)، وهي متأثرة في كل هذا بقراءة للفيلسوف الألماني «شوبنهاور» جاء فيها: «حتم نصير على هذا الألم الذي لا ينتهي؟ متى نندرع بالشجاعة الكافية فنعترف بأن حب الحياة أكذوبة، وأن أعظم نعيم للناس جميعاً هو الموت؟» بل إنها تقرر أن تشاؤمها فاق تشاؤم شوبنهاور، لأنه - كما يبدو - كان يعتقد أن الموت نعيم لأنه يختم عذاب الإنسان، أما هي فلم تكن ترى كارثة أقسى من الموت «وذلك هو الشعور الذي حملته من أقصى أقاصى صباى إلى سن متأخرة»^(٤).

والملاحظ أن الشاعرة كان عندها دائماً استعداد لقبول الجديد، والتطور، فإلى جانب الأخذ بالمطولات من البحر الخفيف الذي يجرى بين يديها كما يجرى نهر عريض في أرض منبسطة، نراها تلاحظ أن القدامى يستعملون تفعيلة الخبب (فعلن)، ولكنها ابتداء من أول «قصيدة حرة» كتبها عام ١٩٤٧، حولتها إلى تفعيلة (فاعل) وتقول: وأنا أقر بأنني وقعت في هذا الخروج من غير تعمد، وقد آلفت أن أنظم الشعر بوحى السليقة، لا جبراً علي مقياس عروضي... ومن ثم فإن (فاعل) قد تسربت إلى تفعيلاتي الخبية وأنا غافلة، وحين نهني خالي «جميل» إلى هذا كان جوابي: إن أذننى على ما مر بها من تمرين، تقبل هذا الخروج، ولا ترى فيه شذوذاً، فليس هو خطأ وقعت فيه،

وإنما هو تطوير سرت إليه وأنا غافلة، ومعنى ذلك أن (فاعل) لا تمتنع في بحر «الجب»، لأن الأذن العربية تقبلها فيه، ثم إن التفعيلتين، فعلمن وفاعل متساويتان من حيث الزمن تساويًا تامًا، لأن طولهما واحد، فكلتا الوجدتين مكونة من ضربتين قصيرتين، وضربة طويلة، وإنما تقع الطويلة في مطلع (فاعل) وفي آخر (فعلمن) ومن الناحية الموسيقية يستوى عدد الأجزاء في التفعيلتين، فكلاهما يتألف من أربعة أجزاء^(٥).

وفي هذا الوقت المبكر كان الاهتمام إلى «الهيكل الهرمي»^(٦) الذي يمنح الأشياء بعدها الرابع، شريطة أن يتوفر فيه: التماسك، والصلابة، والكفاءة، والتعادل، بالإضافة إلى صلاحية بحر الخفيف للمطولات، وتقديم الحمل الطويلة دون تقطع، وعدم التقيد بقانون استقلال الشطر أو البيت، والتركيز على أن الشعر ليس موهبة وحسب، وإنما هو نظم قبل ذلك، وأخيرًا فلا بد من العودة إلى علم العروض والقافية والضرائر، وإلى التعرف على أساليب التكرار، ودلالته، وأخيرًا فقد كان التعرف على أسلوب «البند» الذي كان غامضًا في المسيرة الشعرية، ولم يلتفت إليه الخليل بن أحمد، ولا العرضيون من بعده، لأن الوزن فيه كان يقوم على أساس التفعيلة دون الشطر، وحقيقة الأمر أن البند خلافاً للشعر العربي كله يستعمل بحرين هما الهزج والرمل، فإذا كان القدامى يذكرون أنه يعتمد على الهزج فقط، فالقاعدة عندها للبند أنه شعر حر، تتنوع أطوال أشطره ويرتكز على دائرة (المجتلب)، مستعملًا منها الرمل والهزج معًا^(٧).

المهم أن الأسرة التي عرفت بالملائكة، لما فيها من هدوء ووداعة، لاحظت أن ابنتها ستكون شاعرة، وكان أن عاملتها معاملة خاصة، وأعفتها من الأعباء المنزلية ثم كان الانتقال من المنزل القديم عام ١٩٣٠ إلى منطقة شاعرية، فالبيت يقع بين بستانين كثيفين مليئين بالأشجار الباسقة من نخيل،

وتوت، وبرتقال، ونارنج، ومشمش، وإجاص... الخ، والشارع نفسه كان
بستانا مغطى بمنطقة خضراء مخترقة بنهر... وعلى مسافة قصيرة كان نهر
دجلة.

- ٢ -

أما تعلمها فقد سار في طريقه الطبيعي، وتم تخرجها بليسانس الآداب
عام ١٩٤٤، من غير مفارقة للشعر، فقد بدأت تكتب الشعر بالعامية في سن
السابعة^(٨)، وفي سن العاشرة كتبت قصيدة بالفصحى، وعندما قرأها الوالد
استشاط غضباً لأنها وقعت في خطأ نحوى، وكان أن قال لها: إذهبي أولاً،
وتعلمي قواعد النحو، ولما كانت مدرستها لا تفرق بين الفاعل والمفعول، فقد
أخذت على عاتقه تعليمها النحو، وإرشادها إلى التعرف على مراجعه ومصادره،
وقد عاشت مشغولة بهذه المادة، فحين دخلت دار المعلمين العالية، اختارت
فرع اللغة العربية، وحصلت على درجة الليسانس مع مرتبة الامتياز، وكانت
رسالتها في الليسانس في موضوع نحوى هو «مدارس النحو» بإشراف الدكتور
مصطفى جواد، وفي هذه الفترة أكثرت من القراءة لمحمود حسن اسماعيل،
وبدوى الجبل، وأمجد الطرابلسي، وعمر أبو ريشة، وبشارة الخوري، أما أمها
فما كانت تقدم على الرصافي أحداً، كما أحببت اللغة اللاتينية، وكتبت نشيداً
لاتينيا بعد أن استمعت إلى أغنية مشهورة اسمها Attheballalike^(٩)، كما أنها
توغلّت في آداب الإنجليزية، وأحببت شللي، كما أحببت شكسبير، وترجمت
إحدى سونيتاته، وفي الوقت نفسه درست الموسيقى في معهد الفنون الجميلة،
ولحنت من شعر أمها «نشيد العرب»، وكان اللحن على نغم «النهاوندى»^(١٠)
وهي نفسها تقول «كان الغناء سعادتي الكبرى منذ طفولتي، وكنت أحبس
أنفاسي إذا سمعت صوت عبدالوهاب، وأم كلثوم يحمله حاكى كان يدور في
بيت الجيران، وكنت سريعة الحفظ، لآي أغنية أسمعها»^(١١)، وهكذا كانت

ثقافتها ابتداءً محكومة بالعروض والموسيقى، على الرغم مما يذكره الدكتور إبراهيم أنيس «لا يبدو من كلامها أنها اتصلت بدراسة الموسيقى من قريب أو بعيد، لنعتد بآرائها في الحديث عن نعمات الشعر، وإيقاعاته»^(١٢) زد على ذلك ولعها بالموسيقى العالمية، وبخاصة موسيقى «تشايكوفسكى» فقد سمته القيثارة الإلهية، واحتفلت بذكرى مرور أربع وخمسين سنة على وفاته.

سأحب الحياة من أجل الحبا نك، يا بلبل الحزين وأحيا
سأرى في النجوم من نور أحلا مك ظلاً مخلصاً أبدياً

زد على ذلك دراستها للتمثيل لإجادة فن الالقاء^(١٣)

وبعيداً عن عالم الموسيقى نرى حياة مليئة بالتمزق والخوف والموت، وفقدان السعادة، والتشكك في وجود المطلقات^(١٤)، على نحو ما نعرف عن مطولة (مأساة الحياة)، ومن ديوانها الأول (عاشقة الليل)، ففي هذه الفترة كانت تجتاز عالم المراهقة، وكانت لا ترى شيئاً إلا ويعلوه الخوف، والرحيل والموت.

ها أنا أرحل يا أشجار عنك تحت عبء من شرودي وخشوعي
ليتنى أجزؤ أن ألقى عليك نظرة ثانية.. دون دموع
آه يا أشجار، لا، لا تذكرينى فأننا تمثال يأسٍ بشريّ
ليس عندي غير آثار حنيني ويقايا من شقائي الأبدى

وحين كانت تترجم عن الإنجليزية كانت تترجم ما يتفق وحالتها النفسية، كقصيدة «البحر» للشاعر ج.غ. بايرون، وقصيدة مرثية في مقبرة ريفية للشاعر توماس غري، وقصيدة «النهر المغنى» للشاعر كريسمس همفريس، وقصيدة «أسفار» للشاعر روبرت بروك، كما ترجمت عن الفرنسية لبروسير بلاشمين وببطء تقترب من دائرة الاغتراب الاجتماعي، فتقول

وأفقر من كل ما فى الوجود وأهربُ من كل شئٍ أراه
ففى عمق نفسى صوتٌ غريب يُعَلِّم قلسمى ازدراء الحياه
ويصرخ بى: اهربى. اهربى ويتعبُ إحساس روحى صده

.. وبعد عاشقة الليل، انتشر وباء الكوليرا فى مصر، وسمعت أن عدد الموتى وصل الى مائة إنسان، فكتبت قصيدة فى الشكل القديم، ثم أعادتها، وأحست أن هذا الشكل المتوارث لا يعبر تماماً عما فى داخلها، وفى يوم الجمعة ٢٧ / ١٠ / ١٩٤٧ سمعت أن عدد الموتى وصل إلى ألف، وحين أعادت الكتابة للمرة الثالثة، قرأت ما كتبت على أنها «إحسان»، فتحسنت لما سمعت، وحين أسمعتهن لأمرها قالت: ما هذا الوزن الغريب؟ الأشطر غير متساوية، والموسيقى ضعيفة، وحين سمعها الوالد سخر، وقال: ما هذا الموت. الموت، وكان أن ضحك الأخوة/ فقالت بتحدٍ: قصيدتي هذه ستغير خريطة الشعر العربى^(١٥).

.. وفى عام ١٩٤٩ صدر ديوان «شظايا ورماد» بمقدمة وافية، أوجزت فيها نظرية عروضية لشعرها «وميزة هذه الطريقة أنها تحرر الشاعر من طغيان الشرطين فالبيت ذو التفاعيل الست الثابتة، يضطر الشاعر إلى أن يختم الكلام عند التفعيلة السادسة، وإن كان المعنى الذى يريد قد انتهى عند التفعيلة الرابعة، بينما يمكنه الأسلوب الجديد من الوقوف حيث يريد، ثم إن القافية- ذلك الحجر الذى تلقمه الطريقة القديمة كل بيت - حرمتنا من الملحمة، وأنها تضيف على القصيدة لوناً رتيباً يمل السامع، فضلاً عما يثير فى نفسه من شعور بتكلف الشاعر، وتصيده للقافية»^(١٦).

فإذا جئنا للقصائد نرى أنها تدور فى عالم بائس وحزين ومرهق، فهى تتكلم عن الضياع، والجرح الغاضب، والأفعوان، والجحود، والأجراس

السوداء ونهاية السلم، وأغنية الهاوية، وكثير من الموتى، وبخاصة موتى الكوليرا، ولعل وراء ذلك إصابتها بحمى شديدة فى هذه الفترة، أحست معها أنها على حافة الرحيل^(١٧)، بالإضافة إلى الإحساس^(١٨) الشديد بالغربة، والانسحاب من الحياة، وتحين مرحلة سفرها إلى أمريكا للدراسة النقد الأدبى فى جامعة «برنستون» عام ١٩٥٤. ثم يأتى ديوان «قرارة الموجة» فى عام ١٩٥٧، فتستمر ظاهرة الحزن، والقلق الوجودى، بل إنها تستدعى الحزن على أمها كما فى «ثلاث مرات لأمى»، وتصور لنا مقدم هذا الحزن كما فى «مقدم الحزن»

أفسحوا الدرب إنه جاء خجلا نَ، رقيق الخطى، كتيبَ الجبين
الندم الحساس، ذو الأعين الغرَّ فى بتاريخ ألف سرِّ حزين
إنه مطعم العون العميقا ت، وينبوع كل دمع سخين^(١٩)

ومع أن هناك شبهة حب بائس، إلا أنه ينتهى دائما بالقطيعة والغياب، كما فى قصائد «الزائر الذي لم يجرى». و«الشخص الثانى»، و«عندما قتلت حبنى»، فالحبيب فى كل هذا غير مرغوب فى زيارته، فحتى لو جاء لكان الحلم بالزائر المستحيل، ثم إن الشخص الثانى سيمحو الشخص الأول، وحين تتم عملية القتل ستكشف أنها لم تقتل سوى نفسها:

ومع أنه قد أتاحت لها فرصة التأمل حين سافرت للولايات المتحدة للدراسة فى الخمسينيات لتكتب قصيدة بعنوان «الوصول»، ولتقول لأول مرة:

سأحب نفسى فى ارتعاش ظلالها تحيا عصور

ملأى بألوان الخيال

وهناك فى أحنائها ألقى الجمال

لكنها تعود لمحاكمة نفسها، وتواصل خط الضياع، والخوف، والانقسام
على النفس

يا صمت نفسي عدتُ عدتُ إليك بعد سُرَى سنين

ضاقَتْ بتطوافي البحار

وشكا النهار

ما حَمَلْتَهُ رَوْاي من عبء الحنين

لم ألقَ غَيْرَكَ لى نصيرا

فى ظلمة الليل المضلُّ

فافتح لى الباب الأخير

دعنى أمر

أنا وظلى^(٢٠)

وهكذا حملت حزنها معها، وعادت به، بعد المرور على إيطاليا،
وجنوب فرنسا... وفى عام ١٩٦٧ صدر ديوان «شجرة القمر»، ونلاحظ فيه
أنها بالإضافة إلى عالمها النفسى الحزين المتشائم، أضافت خطأ جديداً وطنياً،
ذلك لأنها اهتمت اهتماماً خاصاً بثورة «رشيد الكيلانى» على «نورى السعيد،
وعبدالإله، والإنجليز»، فقد تفجرت حماسة لتلك الثورة، ونظمت فيها عدداً
من القصائد، ولكن لم يكن هناك مجال لنشرها، ذلك لأن الثورة سرعان ما
انتكست، ودخل عبدالإله على دبابات الجيش البريطانى، ونصبت المشانق
للأحرار، وحين نجحت ثورة ١٣ تموز عام ١٩٥٨ كتبت قصيدة «تحية
للجمهورية العراقية»

فرح الأطفال بضممة حب أبويه

فرحة عطشان ذاق الماء

فرحة تموز بللمسة نسائم ثلجيه

فرح الظلمات بنبع ضياء

فرحتنا بالجمهوريه^(٢١)

فقد أثرت في حياتها أعنف تأثير ولكن عبدالكريم قاسم انحرف بها، فأقامت في بيروت عاما، ثم إنها غنت لعبدالسلام عارف في قصيدة «وردة لعبدالسلام عارف» في مساء اليوم الذي اعتقل فيه^(٢٢) وتزوجت في منتصف عام ١٩٦١ بعد العودة من الدكتور عبدالهادي محبوبة، وقد ساقها هذا الالتفات الى عالم القومية العربية، فكتبت «أغنية للأطلال العربية»، وختمتها بقولها

فيا عريبي.. أصخ لنداء تحدر من رَحْبَةِ المدينيه

وقف حاسراً تحت ضوء النجوم على ريع تلك الطلول الأبيه

وقل: يا رمال الجزيرة، يا بحر من ملحمة العرب الأزليه

غداً ستعود إليك الحياة تعود مع الوحدة العربية^(٢٣)

ثم كتبت «ثلاث أغنيات عربية»، جعلت في مقدمتها كلمة «لقد دَقَّتْ ساعة العمل الثوري»^(٢٤)، وكما دندنت حول فلسطين، حلمت بالوحدة العربية، في قصيدة الوحدة العربية^(٢٥)، وانتظرت إعلان الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣^(٢٦)، والملاحظ أنها نغمَت الصياغة، وحافظت عليها، وقسمت الشطر على أساس المعنى دون الوزن، وطالبت بأن يركز الشعر الحر على نوع من

القافية الموحدة، فذلك يزيده موسيقى وجمالاً، وهناك من يرجع لفتتها المقفأة إلى الانتماء القومي في هذه الفترة^(٢٧)، وهى نفسها تقول: من قال إن الشاعر الموهوب يستطيع أن يبدع أى شئ فى غير الإطار اللغوى لعصره^(٢٨)، والملاحظ أنها ركزت على أن فكرة الجمال فى الحياة هى بعينها فكرة الجمال فى الفنون، وأن الحرية وراء كل منهما، وأن مجنى الزائر المتسطر إذا كان يمثل القمة، فتحققه ينذر بالمنحدر^(٢٩).

وإذا كانت لم تنس قضية فلسطين، فإن تذكرها تضاعف فى ديوان «للصلاة والثورة» الذى صدر عام ١٩٧٥، بعد فترة انقطاع استمرت ثلاث سنوات، وقد كان الدافع وراء ذلك إنها تلقت بطاقة تهتة بعيد الفطر، وكان مرسوماً على البطاقة صورة لمسجد قبة الصخرة بالقدس، فما كادت ترى الصورة حتى زلزلت زلزالاً شديداً، وأسرعت بالكتابة على ظهر البطاقة هذه الأشرطة

يا قبة الصخرة

يا وردُ يا ابتهاجَ مضيئة الفكره

ويا هدى تسيح علوية النبره

يا صلوات عذبة الأصداء

جاشت بها الأبهاء

يا حرقة للجھول، يا تعطش الإنسان للسماء

يا ولع الركوع يا طهره

يا وردة الخشوع، ياندا، يعطره

واستمر تدفقها الشعري، وكان ديوان «الصلاة والثورة ١٩٧٨م» أما الصلاة فهي رمز الجوانب الروحي فينا، هي الورد التي تنبت في النفس الإنسانية من أثر اتصالها بالمنابع الأزلية الجميلة، منابع الله . . والثورة مرتبطة أشد الارتباط بالصلاة، وكما قالت

متى نصلي؟ إنما صلاتنا انفجار

صلاتنا ستطلع النهار

تسلح العزل، تعلو واية الثوار

صلاتنا تستعمل الإعصار

ستزعم السلاح والزئبق في القفار

تحول اليأس إلى انتصار

«فالصلاة هنا معادل حي للقيم الثورية، والقيم الجمالية، والقيم الإنسانية، وهي تربية للروح والجسم، وإكمال للإنسانية الإنسان»^(٣٠)، ثم تتعرض لقضية الشكل فهو- بصفته المطلقة- صيغة جمالية مبرأة من العيوب، سواء أكان حراً أم خليلاً، وإنما تأتي العيوب من الشعراء، هذا مع الاتفاق على أن لكل عصر لفظة مزاجية، قد تجعله يؤثر شكلاً من الأشكال على سواء، هذه اللفظة ترتبط بسملة العصر الحضارية في الأساس^(٣١)، وفي هذا الديوان نجد قصيدتي «الملكة والبستان»، و«سبت التحرير»، ليستا من الشعر الحر، وإنما من البند في صورة حديثة، وهذا يسوقنا إلى الحديث عن بحر حين كتبت عن ابتي داليا «خضراء براءة مغلقة» ثم توقفت عند هذه العبارة، حين وجدت أن وزنها «مستغلين. فاعلن. فاعلن» ومن هنا كانت قصيدتها «نحية للطفلة دالية»^(٣٢)، وقد دار حول هذا البحر نقاش كبير، خاصة بعد أن كتبت دراسة عنوانها «ميلاد بحر جديد في الشعر العربي»^(٣٣)، وتصدى لها الدكتورة

نور الدين صمود، وعبداللطيف عبدالحليم، وعبدالعزیز الدسوقي بدعوى أن هذا الوزن وجد في الشعر الأندلسي في نص محدود، وإن كان الدكتور شعبان صلاح قد فصل في هذه القضية فقال «لا يستطيع الباحث المنصف أن ينحى باللائمة على أى من الشاعرة نازك الملائكة، أو الشاعر الدكتور عبده بدوى، حين ظنا هذا الوزن مخترعاً، وليس قديماً، إذ أن ما صيغ عليه في القديم لا يعدو أبياتاً، لا تشكل ظاهرة، ولا تلفت انتباهها، فضلاً عن أن تقر في وجدان شاعر مدى طويلاً، فلعل الشاعرة قرأت النموذج الأندلسي منذ زمن، ثم صاغت عليه- حين صاغت- غير واعية بأنها مسبوقة بتلك النغمة^(٣٤)، وحين تحدثت معها في هذا الشأن قالت: يعلم الله أنني لم أقرأ هذا النص القديم، وبالتالي لم أصغ عليه، ولكن لعله المناخ العام لحضارة المشتغلين بالشعر العربي^(٣٥).

وأخيراً فالشاعرة في هذا الديوان، شغلت نفسها بما يدور في العالم العربي، فتكلمت في قصيدة القنابل والياسمين، عن ليلة ١٠/٤/١٩٧٣، حين اقتحم الجيش الصهيوني بيروت وصيدا، وكان نصف البيوت، وقتل ثلاثة من قادة الفدائيين، ثم هاجم مخيم الفدائيين وغادر البلاد دون أن يعترضه أحد^(٣٦)، ثم تتكلم في «اختلاجات نحو القمة البيضاء» عن الطريق المسدود أمام العرب.

كيف أهرب؟ إن طريقى مقفلٌ

وستارى البليد الكثافة مسدلاً

وستارى مسدلاً^(٣٧)

ثم تتكلم عن «سبب التحرير»، وكيف بدأت قواتنا العربية تحريره
لسيناء والجولان، وسجلت نصراً كاسحاً، ولكن أمريكا تدخلت، وطالبت

العرب أن ينسحبوا إلى مواقع ما قبل يوم السبت - ١٠ رمضان^(٣٨)، وكعادتها زارت القاهرة، وحيثها قبل حرب رمضان ثم كانت الحرب والانفعال بها في قصيدة «الماء والبارود» في ديوان «يغير ألوانه البحر-١٩٧٧»، والتي تضرعها بكلمة الله أكبر، وبقصة هاجر، والطفل إسماعيل، والسعى بين الصفا والمروة، وقصة انفجار الماء في رمضان لفرقة من الجيش المصري في سيناء كانت صائمه^(٣٩)، ومن هنا تكون قد أدارت ظهرها وشعرها للرموز الإغريقية على وجه الخصوص، وتكون قد دارت في فلك جديد، هو فلك «المليك».

إننى أصعد بالنار إلى ذروة آفاق حنيني

إنني أنبذ شكى وفتونى

وإلى الشمس، إلى أعلى النرى

يمتد جذعى وغصونى

حيث ألقى فى المدى وجه مليكى

كيباض الثلج، كالأنجم

كالفل ألاقه مليكى

.. حبه. حب مليكى. رحلة فى اللانهايه

وجهه يستغرق الكون، ومن آفاقه تبدأ لى كل بدايه^(٤٠)

فهى قد دخلت فى عالم جديد، علمت فيه نفسها، وتجاوزت تشككها فى المطلق^(٤١)

باسمك. باسمك. باسمك. باسمك

يا ضوئى. يا عطرى. يا مجدى. يا نجمى

المهم أنها اهتمت إلى اللجوء إلى مرفأ جديد، ومن ثم كانت ابتداء
قصيدة «الهجرة إلي الله» التي تدور حول وجوده في كل شيء، وحول وجوده
في نفسها

مليكي، أنت طعم الصيف في عمري
وأنت نالِق الأعمار
وأنت عذوبة الواحات في قفري
وأنت تبلِّج الأسرار
وأنت تدفقي، أنت انبثاق الضوء والمطر
نثرت الخصب واللؤلؤ فوق شواطئ الخضر
وفي روعي سكبت النار
لك الأوراد والصلوات أنثرها
فدا عينيك يا مليكي، يواقيتي أكرُّها^(٢٢)

وهذا اللجوء إلى الله يسوقها إلى اللجوء للرسول، فتقدم «زنايق صوفية
للرسول»، وتكتب تصوراً للرسول في صيغة معاصرة، بعيدة عن كل ما عرف
باسم البردة ونهجها، فالرسول طائر حط قربها، وامتنصَّ قلبها، وكان بينهما
حوار، ليس مثله حوار، وليس مثله طائر.

وطارت الطير في الصباح
ولم يطر أحمد، ظل قري

وظللتنا سحب مبقعة بالضياء

كنا نغنى

للحب، للبحر، للسماء

تكسرت فى غنائنا الشمس، والمرافى، واللاتهايه

والمد جاء

يلثم أقدامنا، يتكسر

أحمد. أحمد

نحن أنا وأنت والأعلى

ليل، وصمت

والله فى روحنا غناء^(٤٣)

وكانت قصيدة «دكان القرائين الصغيرة»^(٤٤) التى تدور حول إنسانة تبحث عن مصحف هدية لحبيبها فىقال لها فى «مندلى» وهى كلمة تساوى كلمة «يوتوبيا»، وقد سافر الحبيب دون الحصول على الهدية، وأصل هذه الكلمة أنها اسم لمدينة عراقية جميلة من مدن لواء بعقوبا، تنبت الرمان والبرتقال، وسواها من الفاكهة، ثم تكتب ميلاد نهر البنفسج^(٤٥)، ويقدر ما يقترن التجاوز من العالم المادى، يكون التعامل مع النار

ففى أغصانى النشوى يكاد يسيل نَسْغُ النار

وتتطوى رمزية الرحلة الصوفية فى هذه الأسفار النارية، على ثلاثة طرق متعاقبة، أو ثلاث دوائر نارية متتابعة، ترقاها النفس من الأضيّق إلى الأرحب، ومن الأدنى إلى الأعلى، فلإذا وصلت النفس إلى غايتها اتصلت،

وإذا اتصلت بالكلية عن كليتها انفصلت، كما قال المتصوفة، وعلى كل فالدائرة الأولى للنار- هي الدائرة الصغرى، والهوى الأول، والحس الترابى، والدائرة الثانية هي الوسطى، حب الأرض، والوطن، والأمة، والدائرة الثالثة العليا هي دائرة الملك، الحبيب الأول والآخر^(١٦)، المهم أن الشاعرة وصلت إلى هذه الدائرة الأخيرة بعد مجاهدة، وبهذا تكون قد اتصلت ومن هنا ينتهى السفر، وتصل المجاهدة إلى غايتها الأخيرة، بالصعود صوب وجه الملك، وفى هذا المجالى الصوفى، ينسرب ما يمكن أن يسمى «النور المحمدى»، ليوأزى «أبد الضوء» الذى يطلع من كل الجهات، فى «زنايق صوفية للرسول»، وهى نفسها لها رأى فى التصوف فتقول: «تسألنى عن التصوف، ولست متصوفة، إلا إذا كان حب الله العلى القدير، يكفى وحده لاعتبار المرء متصوفاً، فانا شديدة الحب له سبحانه، وأقضى أوقاتاً طويلة فى بعض الليالى أناجيه، وأمجده، وأنغنى بجماله، وروعة خلقه».

- ٤ -

إذا كان لها دور فى «التنظير الاجتماعى»، على حد ما نعرف من كتابها «التجزئية فى المجتمع العربى ١٩٧٤»^(١٧)، فإن لها دوراً فى التنظير الأدبى، على حد ما نعرف من مقالاتها، ومن كتاب «الصومعة والشرقة الحمراء»^(١٨)، فقد أبدت إعجابها به، لأنه كتب من أوزان عربية قل استعمالها مثل المنسرح، ومثلت لهذا،^(١٩) ولأنه لم يستجيب لدعوى المزج بين البحور إلا فى قصيدة واحدة، مزج فيها بين البحر السريع، والبحر المتقارب، ولأنه كتب من «الموشح المسترسل»، ومن «الموشح الوصفى الغنائى»، ثم كان رد اعتبارها للقفائية، وإثبات أن عروضها مستمد من عروض الخليل، وإنه يمكن أن نستخرج من كل قصيدة حرة، مجموعة قصائد خليلية وافية، ومجزوءة، ومشطورة، ومنهكة، فللشكلين مزايا وعيوب، وهى حريصة عليهما معاً،

وعلى إقامة توأمة بينهما، «مع ملاحظة أنني لا أخطو خطوة في تقنين قاعدة إلا بعد استشاره عروض التحليل الذى خبرت مداخله ومخارجه طويلاً»^(٥٠).

أما دورها الواضح فى التنظير لحركة الشعر، ففى كتابها «قضايا الشعر المعاصر» ١٩٦٢م المهدى لجمال عبدالناصر، نرى المقدمة حريصة على إثبات أن حركات التطوير تلك إنما كانت بدافع الرغبة إلى الجديد، وليست تخلصاً من قسوة عمود الشعر وكرامته، وإلا ما ذهب «المعري» وغيره إلى الزيادة فى القيود. . كما أن حركة الشعر الحر مرحلة تطويرية لعروض الشعر العربى، وليست مقتبسة عن الشعر الغربى، وإن كانت تشبهه فى بعض الوجوه، إذ ليس كل شبيه مستمداً من شبيهه^(٥١)، أما الشاعرة فتؤكد ابتداء أن الشعر الحر ليس حفيداً للبند، وأن هناك قصائد نظمت قبل عام ١٩٤٧ من الشعر الحر، ولكنها لم تتعرف عليها، ثم إنها وضعت أربعة شروط يجب أن تتوافر فيما قيل، وحين نحكمها نجد أن ما قيل قبل عام ١٩٤٧ كان «إرهاصات» تنبأ بقرب ظهور حركة الشعر الحر^(٥٢)، ولعل العصر نفسه لم يكن مهياً لتقبل الشكل الجديد إذ ذاك، ولذلك جرف الزمن ما صنعوا، وانطفأت الشعلة فلم تلتهب حتى صدر «شظايا ورماد» عام ١٩٤٩، وفيه دعوتى الرسمية الواضحة إلى الشعر الحر على أن فى مقدمة ما كان يشغلها هو محاولة الابتكار، فمن المعروف أن بحر البسيط التام هو «مستفعلن. فاعلن. مستفعلن. فاعلن»، وأن مخلعه هو «مستفعلن. فاعلن. فعول» وقد لاحظت أن من الممكن أن تقسم هذا البحر إلى تفعيلتين، فى الشطر الواحد، بحيث يصبح هكذا «مستفعلاتن. مستفعلاتن. مستفعلاتن. مستفعلاتن» وفى ضوء هذا يكون بحراً صافياً يضاف إلى شعر التفعيلة، إذا أضفنا حرفاً واحداً على مخلع البسيط الخليلي، بحيث يصبح مستفعلن. فاعيلن. فعولن.

«وأظنتى قد استفدت من تفعيلات الرصافي في استخراج هذا البحر الجديد من بحور الشعر الحر»^(٥٣) وما كادت تصل إلى هذا، حتى كتبت قصيدة «زنايق صوفية للرسول»، وفي الوقت نفسه لاحظت أنها وقعت في خطأ، لأنها كانت تقول «مستفعلاتن. فعولن. فعولن. فعولن».

ومعنى هذا، أنها كانت تنتقل من تفعيلة الرجز إلى تفعيلة المتقارب، ولكنها حين كتبت قصيدة «نجمة الدم» التزمت فيها بتفعيلة مستفعلاتن التزاماً تاماً «والحقيقة أنني لا أدعو أى شاعر إلى استعمال الوزن الأول المختل، واعترف أنه حدث دون أن أنتبه خلال وهج الحالة الشعرية، وإنما جاء الانتباه بعد الانتهاء من القصيدتين: «زنايق صوفية للرسول»، وتمتعات فى ساعة الإعدام»، ولا شئ أدافع به عن نفسى، إلا كون هذا الوزن ابتكاراً منى، ولم يستعمله الشعراء قبلى، بحيث تكون أمامي نماذج، وأكون مجهزة بتجارب»^(٥٤)

- ٦ -

وهكذا كان اهتمامها باللغة العربية وتراثها الأدبى، نحواً وصرفاً وإيحاءً^(٥٥) وأما تجديدها فى العروض فيدور فى دائرة التعقل، والمحافظة ما أمكن على العروض الخليلي، وكما أن العالم متغير فاللغة والفن لا يقبلان الجمود^(٥٦)، وإنما يقبلان التجديد والتجدد، وهل الشعر، فى واقعه، إلا مقدرة الشاعر على استعمال اللغة بحيث تشع ألفاظها المعانى والظلال، والانفعالات، وإذا كان الشاعر لا يعترف بالأساليب والقواعد الرصينة، فكيف يصون شعره من ركافة القوضى، وضعف الروح^(٥٧)

- ٧ -

ويبقى بعد ذلك عدد من القصائد لم ينشر فى ديوانها الشعرى، ويبدأ بقصيدة «الوردة الحمراء» المليئة بالشجن، والحزن، والنهاية غير السعيدة، ثم

«نجمة الدم» التي تحدثت عن المأساة التي تعيشها لبنان، ثم «الزرقاء والمدينة» التي تحدثت عن عين مازالت تجري في المدينة، ولها قصة شعبية مازالت تتردد، وتستحيل إلى سوسنة ترش السلام، وطعم السكينة، في القلوب الحزينة، ثم «القمر على مزدلفة»، ففى فترة الحج، اقتتت بطقوس جمع الصخور من وادى مزدلفة تحت ضوء القمر ليلة العاشر من ذى الحجة، فقد كان القمر يثر مرجاناً على هذا المكان، ثم يكون حلم ليلة من ليالى رمضان، حين أصبح قلبها عصفور فجر يزقزق بين يدي الله، وكيف كان ذكره المسبحة، ووجهه المجد، ولقياء أجمل وعد، وأخيراً تأتي قصيدة «سيمفونية السجاجيد» حين تتحول المدينة إلى سجاجيد سماوية، عليها صورة الكعبة، مجرد لمسها توبة.

سجاجيد، ونهمل أدمع الإيمان آلاف الثريات، وآلاف العناقيد ويتزل خالق الأرض إلى الأرض سجاجيد.

فى ضوء هذا تكون نازك الملائكة رائدة، وعلامة بارزة فى الشعر الحديث، وفى الوقت نفسه تكون إضافة عاقلة فى حركة التجديد والتجدد، وليس من المبالغة فى شئ، إذا قلنا بأن حياتها قد تحولت إلى شعر خالص، فهى منضبطة فى حياتها كالوزن الشعرى، وحريصة على معرفة ما عند الآخر، ثم إن فيها الحزن والعمق اللذين يعتبران جناحين للشعر، بالإضافة إلى أنها من الشعراء الذين يتعاملون مع «النبوءة»، وأية قراءة عابرة لشعرها- تاريخياً- توضح أنها كانت تحس بالآتي، وتتعامل مع القادم، فكانها زرقاء اليمامة العصرية.

... وأخيراً... فلعل من الوفاء أن تكون بداية ريادةها بقصيدة «الكوليرا» ١٩٤٧ التى لم يتنبه لها واحد من الشعراء المؤكدين، وأن يكون هناك مشروع إعادة طبع أعمالها فى القاهرة، فالوفاء ضرورة بين الشعر وبين المدن.

ويبقى الشكر للمجلس الأعلى للثقافة الذي عهد إلى بتقديم وإعداد
الطبعة الثانية من ديوان الشاعرة التي تحققت لها الريادة الساطعة ما يقرب من
نصف قرن.

هوامش:

- (١) المعلقة ٣٠٨/٢.
- (٢) قضايا الشعر المعاصر ص ١٢٩ ط٤، وجريدة العالم العربي ١٩٤١.
- (٣) مأساة الحياة وأغنية للإنسان ص٦، ولم يكن ديوانها الأول «عاشقة الليل»، قد ظهر للوجود أو طبع عام ١٩٤٧.
- (٤) نفسه ص٧.
- (٥) نفسه ١٢٦، ١٣٠.
- (٦) نفسه ٢٣٦، وقد قدمته على الهيكل المسطح، والهيكل النعني.
- (٧) قضايا الشعر المعاصر ١٩٦ ط٤ دار العلم للملايين.
- (٨) تعود للكتابة بها بين الحين والحين، كما في قصيدة «ضَبْعنا وردة»، التي ودعت بها ابنها البراق عند سفره للخارج للحصول على الدكتوراة، نظرات في الشعر العربي الحديث. د. عبده بدوي ص ٣٢ دار قباء
- (٩) أجد في اللغة اللاتينية سحرا يجتذب كياني كله، ولست أعرف سر هذا الافتتان بلغة يكرهها الطلبة عادة - لمحات من سيرة حياتي وثقافتى ٧ مخطوطة- كما أنها اقتبست في التقفية من أسلوب الشاعر الأمريكي إدجار آلان بو ١٨/٢.
- (١٠) أحد مقامات الموسيقى العربية، وهى مغرمة به، ولذلك يكثر ذكره فى شعر هذه المرحلة من حياتها
- (١١) لمحات من سيرة حياتي وثقافتى، بقلم الشاعرة - مخطوط
- (١٢) موسيقى الشعر ص ٥٠، ٥١ ط٤
- (١٣) بالإضافة إلى دراسة الميتولوجيا الإغريقية بكل تفاصيلها وإلى التعرف على الفرنسية بعد ذلك
- (١٤) نازك الملائكة. مقال سالم الحمداني ٣٠٢.
- (١٥) لمحات من سيرة حياتي للشاعرة ص٤
- (١٦) ديوان نازك الملائكة. للمجلد الثانى ١٠ وما بعدها ط. دار العودة
- (١٧) ها أنا بين فكى الموت قلبا لم يزل راعشاً بحب الحياة
فحرام أن تدفن الآن يامسو ت شبابى فى عالم الأموات
المجلد الأول، ٤٩٢ - ٥٠٢.
- (١٨) دراسات على يد ريتشارد بلاكور، وأكن رواتر، وأكن تيت، ورونالد ستاوغر،

وديلمور شوارتز، ومؤلفاتهم معروفة في النقد الأدبي، وبعد العودة بدأت صلتها
بمجلة الآداب والأديب، ودار العلم للملايين ببيروت.
(١٩) ثم كان موت الأم في لندن والعودة بها في رحلة لا تنسى.
(٢٠) ديوان نازك. المجلد الثاني ٣٦٩، كما كتبت هناك قصيدة لحن للنسيان

لم يا حياة

تذوى عذوبتك الطريقة في الشفاء؟

لم وارتطام الكأس بالقم لم يزل

في السمع همس من صداه؟

بالإضافة إلى قصيدة «الهاريون»

(٢١) ديوان نازك الملائكة. المجلد الثاني ص ٤٤٩ ط ١

(٢٢) نفسه ٤٧٩، ٤٨٠

(٢٣) نفسه ٤٦٩ - ٤٧٣.

(٢٤) نفسه ٤٩٦-٥٠٢ الكلمة لجمال عبدالناصر، ووضعت نكايه في عبدالكريم قاسم

(٢٥) نفسه ٥٢٢-٥٢٩

(٢٦) نفسه ٥١٧

(٢٧) الشعر والنظرة عبدالجبار البصري ص ١٧٩.

(٢٨) قضايا الشعر ٣٢٢.

(٢٩) للمجلد الثاني ص ٢١٧.

(٣٠) مقدمة للصلاة والثورة.

(٣١) نفسه.

(٣٢) نفسه ١٩٢، ١٩٣.

(٣٣) مجلة الدوحة، عدد سبتمبر ١٩٧٦م ص ٢٢-٢٥.

(٣٤) موسيقى الشعر بين الاتباع والإبداع ص ١٥٣ ط ٢.

(٣٥) تجارب وتطبيقات في الشعر العربي الحديث ١٢٩ د/ عيله بدوي. ط ذات

السلام.

(٣٦) للصلاة والثورة ١٣٢.

(٣٧) نفسه ١٤٨.

(٣٨) نفسه ١٦٥.

(٣٩) يغير ألوانه البحر ٢٥.

- (٤٠) نفسه ١٣٤ .
- (٤١) غطت هذه الفترة ما بين عامي ١٩٤٨-١٩٥٥ لمحات من سيرة حياتي وثقافتى ١٩ .
- (٤٢) للصلاة والثورة ٦٨-٧٦ .
- (٤٣) يغير ألوانه البحر ٥٢-٧٣ .
- (٤٤) اعترض عامر العقاد على جميع لفظ القرآن، وقال إنه مثل كلمة «عند» لا تجمع، لأن القرآن واحد، ولا يصح أن يتعدد، والجواب أنهم في العراق يستعملون كلمة قرأتين في لفظة دارجة، فهي لاتعنى عندهم أن كتاب الله متعدد، وإنما تشير إلى نسخ القرآن كقولنا مصحف ومصحف .
- (٤٥) يغير ألوانه البحر ١٠٨ ، «كلمة مليكى أو ملكى فى قصائد هذه الفترة يراد بها الله مالك الملك وملك الملوك .
- (٤٦) مقال د. جابر عصفور فى كتاب نازك الملائكة اعداد د. عبدالله المهنا ص ٥٨٧ ط الكويت .
- (٤٧) ط دار العلم للملايين .
- (٤٨) الصومعة والشرقة الحمراء . ط . دار العلم للملايين .
- (٤٩) قضايا الشعر المعاصر ص ١٨٧-١٩٢ .
- (٥٠) قضايا الشعر المعاصر ٢٧ ط ٤ .
- (٥١) مقدمة الدكتور عبدالهادى محبوبة فى الطبعة الاولى- دار الآداب .
- (٥٢) قضايا الشعر المعاصر ١٤ وما بعدها ط ٤ .
- (٥٣) يغير ألوانه البحر ١٩١ .
- (٥٤) مقدمة يغير ألوانه البحر .
- (٥٥) كانت ترى أن اللغة كانت يوما موحية، ثم ابتليت بحيل المحتطين، ومن ثم كانت دعوتها إلى الإحياء حديثا، فهو جزء لا يتجزأ من حيوية اللغة والشعر .
- (٥٦) الله هو الثبات الوحيد المطلق، قضايا الشعر ٢٩ .
- (٥٧) نفسه ٢٢١ .

لمحات من سيرة حياتي وثقافتى

نارك الملائكة

وُلدتُ فى بغداد فى ٢٣ من شهر آب (أغسطس) سنة (١٩٢٣)، وكنت كبرى إخوتى وهم: أربع بنات، وولدان.

وقد تدرجت فى دراستى من الابتدائية إلى المتوسطة فالثانوية، وتخرجت فى الثانوية عام ١٩٣٩، وكنت، منذ صغرى، أحب اللغة العربية، والإنجليزية، والتاريخ، ودروس الموسيقى، كما كنت أجد لذة فى دراسة العلوم، بخاصة علم الفلك، وقوانين الوراثة، والكيمياء، ولكنى أمقت الرياضيات مقبلاً شديداً، وأعد السنين يوماً يوماً لأصل إلى إنهاء مرحلة الثانوية، فأتخصص بدراسة الآداب، ثم دخلت دار المعلمين العالية، فرع اللغة العربية، وخرجت منها بليسانس الآداب عام ١٩٤٤ من مرتبة الامتياز، وهى أعلى مرتبة تمنح، وخلال سنوات دراستى فيها تعرفت إلى موضوع الفلسفة، وأحبته حباً شديداً، فساعدنى على تكوين ذهن منطقى، وكانت دراساتى الكثيرة للنحو العربى، فى أصوله القديمة، قد هيأتنى له تهيئة واضحة، وقد بدأت نظم الشعر وحبه منذ طفولتى الأولى، والواقع أننى سمعت أبوى وجدى يقولون عنى إننى «شاعرة» قبل أن أفهم معنى هذه الكلمة، لأنهم لاحظوا على التقفية، وأذناً حساسة تميز النغم الشعرى تمييزاً مبكراً. وبدأت بنظم الشعرى العامى، قبل عمر سبع سنوات.

وفي سن العاشرة نظمت أول قصيدة فصيحة، وكانت في قافيتها غلظة نحوية، وعندما قرأها أبي رمى قصيدتي على الأرض بقسوة، وقال لي، في لهجة جافية مؤنية: «اذهي أولاً، وتعلمي قواعد النحو... ثم انظمي الشعر»، وكانت معلمة النحو في المدرسة لامتياز الفاعل من المفعول، وسرعان ما اضطرت أبي إلى أن يتولى تعليمي قواعد النحو بنفسه حين دخلت المتوسطة، وفي ظرف شهر واحد تفوقت على الطالبات جميعاً، وصرت أعال أعلى الدرجات.

ولاحظ أبواي أنني موهوبة في الشعر، شديدة الولع بالمطالعة، فأعفياني من المسؤوليات المنزلية، والعائلية إعفاء تاماً، وساعدني ذلك على التفرد، والتهيؤ لمستقبل أدبي، وفكري خالص.

وكانت والدتي، في سنوات الشعرية المبكرة، تنظم الشعر، وتشره في المجلات، والصحف العراقية، باسم السيدة «أم نزار الملائكة» وهو اسمها الأدبي الذي عرفت به، أما أبي فكان مدرس النحو في الثانويات العراقية، وكانت له دراسة واسعة في النحو، واللغة والأدب، وقد ترك مؤلفات كثيرة أهمها موسوعة في عشرين مجلداً، عنوانها «دائرة معارف الناس» اشغلت فيها طيلة حياته، واعتمد في تأليفها على مئات المصادر، والمراجع، ولم يكن أبي شاعراً، ولكنه كان ينظم الشعر، وله قصائد كثيرة، وأرجوزة في أكثر من ثلاثة آلاف بيت؛ وصف فيها رحلة قام بها إلى إيران عام ١٩٥٥. وكان أبي متواضعاً، ولم يرض يوماً أن يسمى نفسه شاعراً، مع سرعة بديهته، وقدرته على الارتجال، وظرفه.

وكان لأبوي تأثير عميق في حياتي الفكرية، والشعرية. أما أبي، فقد بقي أستاذي في النحو حتى أنهيت دراسة الليسانس، وكنت أهرع إليه، بكل مشكل نحوي يعرض لي، وأنا أقرأ ابن هشام، والسيوطي، والأشمونى، وسواهم، والحق أنني كنت، ولم أزل، شديدة الولع بالنحو.

وقد فرش لى أبى طريقاً مهيئاً رائعاً، حين وضع بين يدى مكتبته التى كانت تحتوى على متون النحو، وكتب الشواهد جميعاً، ولذلك كان من الطبيعى، تماماً، أن أكون الطالبة الوحيدة بين طلبة قسم اللغة العربية التى اختارت رسالة لمرحلة اللسانس فى موضوع نحوى، هو : (مدارس النحو)، وكان المشرف عليها أستاذى الكبير العلامة الدكتور مصطفى جواد الذى كان له فى حياتى الفكرية أعمق الأثر، رحمه الله، وجزاه عنا نحن تلاميذه أجمل الجزاء، ولم تزل رسالتى هذه فى مكتبة كلية التربية، وعليها تعليقات بالقلم الأحمر، كتبها الدكتور مصطفى عبد الجواد فى حينه.

أما والدتى، فقد كان لها أثر واضح فى حياتى الشعرية، لأننى كنت أعرض عليها قصائدى الأولى، فتوجه إليها النقد، وتحاول إرشادى، ولكنى كنت أناقشها مناقشة عنيدة، فقد لاح علىّ، منذ مرحلة الثانوية، التأثير بالشعر الحديث؛ شعر محمود حسن إسماعيل، وبدوى الجبل، وأمجد الطرابلسى، وعمر أبو ريشة، وبشارة الخورى، وأمثالهم، بينما كانت هى تعجب بشعراء أقدم مثل : الزهاوى خصوصاً. فقد كان شاعرها الأثير، وكان اهتمامها بالشعر القديم أكبر من اهتمامى، ولذلك كان تأثيره فى شعرها أبرز، ولكن ذوق أمى نفسها بدأ يتطور، كما يلاحظ من يدرس شعرها الذى طبعته المنشور منه، بعد وفاتها، فى ديوان سميت به «أنشودة المجد» وقد بدأت أمى تتجه نحو الشعر الحديث إلى درجة ملحوظة، وكانت تعجب خصوصاً بشعر إبراهيم ناجى، وصالح جودت، ولكن اتجاهاتى الشعرية بقيت مختلفة عن اتجاهاتها، بسبب معرفتى للإنجليزية، والفرنسية وكثرة قراءتى لشعرائهما.

ورغم ذلك فقد بقينا، أنا وهى، صديقتين، فكانت تقرأ لى قصائدها، وأقرأ لها قصائدى، حتى وفاتها عام ١٩٥٣، وهى فى الثانية والأربعين من العمر، رحمه الله رحمة واسعة.

وخلال دراستي في دار المعلمين العالية، كنت أساهم في حفلات الكلية، بإلقاء قصائد، وكانت الصحف العراقية تنشر تلك القصائد في حينها. غير أنني أهملت هذا الإنتاج المبكر، ولم أدرج منه شيئاً في مجموعاتي الشعرية المطبوعة، لأنني بقيت أنظر إليه على أنه شعر الصبا قبل مرحلة النضج، والواقع أنني أقبلت على نظم الشعر إقبالاً شديداً منذ عام ١٩٤١ يوم كنت طالبة في الكلية. فقد دخلت في ذلك العام بداية نضجي الروحي والعاطفي والاجتماعي، فضلاً عن أنه العام الذي شهد ثورتنا القومية العظيمة التي هزت كياني هزاً عنيفاً وهي ثورة رشيد عالي الكيلاني، وكنت أنفجر حماسة لتلك الثورة ونظمت حولها القصائد المتحمسة التي لم أنشر منها أي شيء: فسرعان ما انتصر الحكم البوليبي في العراق، ونصبت المشائق للأحرار، ولم يعد في العراق من يستطيع التنفس، ولكننا، أنا وأمي، استمررنا ننظم القصائد الثائرة سراً، ونطويها في دفاترنا الحزينة.

وفي عام ١٩٤٧ صدرت لي أول مجموعة شعرية، وقد سميتها (عاشقة الليل) لأن الليل كان يرمز عندي إلى الشعر، والخيال، والأحلام المبهمة، وجمال النجوم، وروعة القمر، والتماع دجلة تحت الأضواء، وكنت في الليل أعزف على عودي في الحديقة الخلفية للبيت بين الشجر الكثيف، حيث كنت أغني ساعات كل مساء، وقد كان الغناء سعادتي الكبرى منذ طفولتي، وكنت أحبس أنفاسي إذا ما سمعت صوت عبدالوهاب، أو أم كلثوم يحمله إلى جهاز حاك (غرامافون) يدور في بيت الجيران، وكنت سريعة الحفظ لأي أغنية أسمعها، وكانت أُمي لا تفتأ تندش دهشة كبيرة عندما تسمعي أغني، وما زلت أذكر صوتها في صغري وهي تلتفت، وتقول: يا إلهي! من أين حفظت ابنتي كل هذه الأغاني؟ ومتي سمعتها؟ وكيف؟ ولم تدر أنني كنت حين أسمع حاكياً يدور بأغنية أقف مسرّة في مكاني حتى لو كنت في الشارع. وفي تلك

الأيام البعيدة لم يكن المذيع قد دخل الحياة في العراق طبعاً، فكان الاستماع إلى الاغاني لا يتم إلا عن طريق الإسطوانات، ولم تبدأ إذاعة بغداد بالبث إلا في سنة ١٩٣٥، كما أتذكر، يوم أن بلغت الثانية عشرة من العمر.

وبعد صدور (عاشقة الليل) بأشهر قليلة انتشر وباء الكوليرا في مصر الشقيقة، وبدأنا نسمع الإذاعة تذكر أعداد الموتى يومياً، وحين بلغ العدد ثلاثمائة في اليوم انفعلت انفعالاً شعرياً، وجلست أنظم قصيدة استعملت لها شكل الشطرين المعتاد، مُغيّرةً القافية بعد كل أربعة أبيات أو نحو ذلك، وبعد أن انتهيت من القصيدة، قرأتها فأحسست أنها لم تعبر عما في نفسي، وأن عواطفى ما زالت متأججة. وأهملت القصيدة وقررت أن اعتبرها من شعري الخائب (الفاشل) وبعد أيام قليلة ارتفع عدد الموتى بالكوليرا إلى ستمائة في اليوم، فجلست، ونظمت قصيدة شطرين ثانية أعبر فيها عن إحساسى، واخترت لها وزناً غير وزن القصيدة الأولى، وغيّرت أسلوب تقفيته طائفة أنها ستروى ظمناً التعبير عن حزنى، ولكننى حين انتهيت منها شعرت أنها لم ترسم صورة إحساسى المتأجج، وقررت أن القصيدة قد خابت كالأولى، وأحسست أننى أحتاج إلى أسلوب آخر أعبر به عن إحساسى وجلست حزينه حائرة لا أدري كيف أستطيع التعبير عن مأساة الكوليرا التى تلتهم المئات من الناس كل يوم.

وفى يوم الجمعة ٢٧/١٠/١٩٤٧ أفقت من النوم، وتكاسلت فى الفراش أستمع إلى المذيع وهو يذكر أن عدد الموتى بلغ ألفاً، فاستولى علىّ حزن بالغ، وانفعال شديد، فقفزت من الفراش، وحملت دفترًا، وقلمًا وغادرت منزلنا الذى يموج بالحركة، والضجيج يوم الجمعة، وكان إلى جوارنا بيت شاطئى، وقد وصل بناؤون إلى سطح طابقه الثانى، وكان خاليًا لأنه يوم عطلة العمل، فجلست على سياج واطئ، وبدأت أنظم قصيدتى المعروفة

الآن «الكوليرا». وكنت قد سمعت في الإذاعة أن جثث الموتى كانت تحمل في
الريف المصرى مكدسة فى عربات تجرها الخيل، فرحت أكتب وأنا أتمس
صوت أقدام الخيل:

سكن الليل
أصغ، إلى وقع صدى الأناث
فى عمق الظلمة، تحت الصمت، على الأموات

ولاحظت فى سعادة بالغة أنني أعبر عن إحساسى أروع تعبير بهذه
الأسطر غير المتساوية الطول، بعد أن ثبت لى عجز الشطرين عن التعبير عن
مأساة الكوليرا، ووجدتني أروى ظمأ النطق فى كياني، وأنا أهتف:

الموت، الموت، الموت،
تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت

وفى نحو ساعة واحدة انتهيت من القصيدة بشكلها الأخير، ونزلت
ركضاً إلى البيت، وصحت بأختي "إحسان" انظري لقد نظممت قصيدة عجيبة
الشكل أظنها ستثير ضجة فظيعة، وما كادت إحسان تقرأ القصيدة - وهى أول
من قرأها - حتى تحمست لها تحمسا شديداً، وركضت بها إلى أمى فتلقتها
ببرودة، وقالت لى: ما هذا الوزن الغريب؟ إن الأسطر غير متساوية،
وموسيقاها ضعيفة يا بنتى، ثم قرأها أبى، وقامت الثورة الجامحة فى البيت؛
فقد استنكر أبى القصيدة، وسخر منها واستهزأ بها على مختلف الأشكال،
وتنبأ لها بالفشل الكامل، ثم صاح بى ساخراً «وما هذا الموت الموت الموت؟»

لكل جديد لذة غير أننى وجدت جديد "الموت" غير لذيد

وراح إخوتى يضحكون وصحت أنا بأبى «قل ما تشاء»، إنى واثقة أن
قصيدتى هذه ستغير خريطة الشعر العربى، وكنت مندفعة أشد الاندفاع فى

عبارتى هذه، وفى أمثال لها كثيرة قلتها ردًا على التحدى بالتحدى، ولكن الله سبحانه وتعالى كان يسبق على رحمته فى تلك اللحظات الحرجة من حياتى الشعرية، فكتب لقصيدتى أن يكون لها شأن كما تمنيت وحلمت، فى ذلك الصباح العجيب فى بيتنا.

ومنذ ذلك التاريخ انطلقت فى نظم الشعر الحر، وإن كنت لم أنظر إلى درجة نبذ شعر الشطرين نبذًا تامًا، كما فعل كثير من الزملاء المندفعين الذين أحبوا الشعر الحر، واستعملوه بعد جيلنا.

وفى عام ١٩٤٩ صدرت ببغداد مجموعتى الشعرية الثانية (شظايا ورماد)، وقد صدرتها بمقدمة أدبية ضافية عرضت فيها موجزًا لنظرية عروضية لشعري الجديد الذى نشرت منه فى المجموعة عشر قصائد؛ وما كاد الكتاب يظهر حتى أشعل نارًا فى الصحف، والأندية الأدبية، وقامت حوله ضجة عنيفة، وكتبت حوله مقالات كثيرة متلاحقة، كان غير قليل منها يرفض الشكل الجديد الذى دعوت إليه، ويأباه للشعر، غير أن الدعوة لقيت أروع القبول فى الأوساط الشعرية الشابة، فما كاد يمضى عام حتى كان صدى الدعوة قد تخطى العراق إلى خارجه، وبدأت أقرأ فى المجلات الأدبية فى مصر، ولبنان، وسوريا، وسواها قصائد من الشعر الحر، كان غير قليل منها يحمل لافتات إهداء نثرى: "إلى الشاعرة نازك الملائكة".

* * *

فى عام ١٩٤٢ بلغ نشاطى الشعرى واللغوى، والفنى، والأدبى أوجه، فاندفعت أطلب الثقافة، والعلم فى نهم لا يرتوى، وحرارة لا تنطفئ، ففى السنة نفسها سجلت نفسى طالبة فى فرع العود بمعهد الفنون الجميلة، ودخلت طالبة فى فرع التمثيل، واتممت إلى صف لدراسة اللغة اللاتينية، وكنت إذا

ذاك - فوق هذا كله - طالبة في السنة الثانية من دار المعلمين العالية، وقد وهبت نفسها، في حرارة لا مثيل لها، إلى هذه الدراسات كلها، وكنت أحبها أشد الحب.

أما العزف على العود فقد كان أمنيته منذ صغرى، وحين رأى أبي حرقه تشوقى إلى هذه الدراسة، وافق بعد تردد طويل على أن أدخل معهد الفنون الجميلة لأدرس على الفنان الكبير الموسيقار الأستاذ محيي الدين حيدر الذي كان اسمه الفني في المعهد: «الشريف»، ولهذا الفنان طريقة فريدة في العزف، والتدريس عليها أثر موهبته الفنية العظيمة، وله في العراق اليوم تلاميذ معروفون من الموسيقيين، من مثل الأستاذ سلمان شكر، والأستاذ جميل بشير، وسواهما. وكانت مدة الدراسة ست سنوات، والمنهج يقوم على تدريسنا المقامات الشرقية على بشارف وسماعيات، وسواها، وكان الطالب يتدرج حتى يصل إلى قمة المهارة الفنية في عزف مقطوعات الشريف محيي الدين التصويرية الرائعة مثل: «تأمل» و«ليت لي جناحاً» و«كابريس». وكان للشريف، يرحمه الله، مزاج في العزف، فكان يغير، ويعدل في البشارف، والسماعيات التي ألفها كبار الموسيقيين، من مثل: طانيوس أفندي، وجميل بك، وعزيز دده، ويوسف باشا، وكانت هذه التعديلات تجمل الأصل أروع نجميل، وتخرجه إخراجاً حياً، وكنت أنا أجلس في صف العود مسحورة، وكأني أستمع إلى صلاة، وكان الشريف يكرر عليّ أن لي سمعاً موسيقياً حساساً، وموهبة ظاهرة، ولكنه كان خائفاً عليّ أن يجرفني حبي للشعر ويبعدني عن الموسيقى على أي شكل من الأشكال، ورغم أنني ما زلت، حتى اليوم، أعزف لنفسى لكي يصحبنى العود، وأنا أغنى ألحان عبدالوهاب، وأم كلثوم، وفيروز، وعبدالحليم حافظ، ونجاة. وهو انصراف محدود، غير ما كان أستاذي يتوقع مني، ولعله كان ينتظر أن أكون عازفة مشهورة في الإذاعات ومؤلفة ألحان.

وأما دراستى للتمثيل، فالحق أنه كان لى فيها دافعان اثنان.

أولهما أن أتعلم فن الإلقاء، فقد كنت أرتقى المسرح لألقى قصائدى فأقرأها قراءة رتيبة دون أن أعرف كيف ألون صوتى بالانفعال، وأرفعه، وأنغمه مع معانى قصيدتى، وقد خطر لى أن دراسة التمثيل ستساعدنى فى هذا المجال. والدافع الثانى أننى اطلعت على منهج الدراسة فى هذا الفرع فبهرنى. كان منه دراسة مفصلة مسهبة للميثولوجيا الإغريقية، بكل تفاصيلها الدقيقة، ومداخلها، ومخارجها. وكلن موضوع «تاريخ المسرح والأدب المسرحى» للسنة الثانية يشمل دراسة إسخيلوس، وسوفوكليس، ويوريديس، وأريستوفان، وكنت أعلم مدى غنى الأدب اليونانى، ومدى ضرورته للتمثيل، والدارس، فاندفعت فى حرارة أسأل أبى أن يأذن لى بدخول فرع التمثيل، وقد رفض أبى أولاً، ولكن الله سبحانه شاء أن يشملنى برعايته، فإذا أبى يكلف بتدريس اللغة العربية فى فرع التمثيل، وعندما وجد أننى سأكون تلميذة له أخذنى معه إلى الأستاذ حقى الشبلى المسؤول عن الفرع، وسجلنى طالبة، واكتملت سعادتى.

وأما اللغة اللاتينية فإن قصة دراستى لها كانت أغرب، فقد كنت طالبة فى قسم اللغة العربية، وكنا ندرس اللغة الإنجليزية، وصادف أن أستاذنا أشار فى الصف، مراراً، إلى ضرورة معرفة اللغة اللاتينية لمن يريد التخصص فى الأدب الإنجليزى، فشوقنى ذلك إلى دراستها، وبقيت هذه الرغبة عابرة فى نفسى حتى سمعت فى آخر العام الدراسى ١٩٤١-١٩٤٢ أن إدارة الكلية قررت إضافة مادة اللغة اللاتينية إلى منهج طلبة السنة الأولى، فرع اللغة الإنجليزية، وهنا بدأت لهفتى، أردت - بأى ثمن - أن أتمنى إلى هذا الصف لأتعلم اللغة اللاتينية، وراجعت أستاذ المادة فاعتذر عن قبولى فى الصف، وسألنى مندهشاً: «ولكنك طالبة فى قسم اللغة العربية، فماذا تفعلك

اللاتينية؟» ولم يوهن هذا عزيمتى، وراجعت عميد الكلية، ورجوته أن يأذن لى بالدراسة مع طلبة الإنجليزية، عندما رأى العميد لهفتى سمح لى، وانتمت إلى صف اللغة اللاتينية، وبدأت أحفظ، بحماسة، تلك القوائم التى لانتتهى من حالات الأسماء وفصائلها، وتصريفات الأفعال، وسواها مما يعتبر من أصعب ما يعرفه طلبة اللغات.

وقد بقى حب اللغة اللاتينية فى دمي حتى اليوم، وما زلت أقتنى كتب الشعر اللاتينى، وأحاول أن أقرأها كلما وجدت فراغا، وأتذكر أننى، بعد شهرين من بدئى لدراسة هذه اللغة، أصبحت أكتب مذكراتى بها، كما نظمت نشيداً لاتينياً على نغمة الأغنية المشهورة (At The Ballalika). وكان من الطبيعى أن يكون النشيد بدائياً ساذج الصيغة، فقد كنت لم أزل طالبة مبتدئة، ولقد واصلت دراسة اللغة اللاتينية سنوات كثيرة وحدى من دون أستاذ بمساعدة القواميس، ثم دخلت صفها فى جامعة برنستون بالولايات المتحدة درسنا فيه نصوصاً للخطيب الرومانى شيشرون، وقد أعجبت أشد الإعجاب بشعر الشاعر اللاتينى «كوتولوس»، وحفظت مجموعة من القصائد له، وما زلت أترنم بها أحياناً فى وحدتى، فأجد سعادة بالغة فى ترديدها. والواقع أنى أجد فى اللغة اللاتينية نفسها سحراً يجتذب كيانى كله، ولست أعرف سر هذا الافتتان بلغة يكرهاها الطلبة عادة، وينفرون منها أشد النفور.

وفى عام ١٩٤٩ بدأت بدراسة اللغة الفرنسية، فى البيت، مع أخى الذى يصغرنى: نزار وكان إذ ذاك طالباً فى قسم اللغة الإنجليزية بدار المعلمين العالية، وكان له ولع شديد بالأدب، واللغات، وهو شاعر أيضاً، وإن كان مقلداً، وكانت تربطنى به صداقة عميقة، وكنا نشترك أنا وهو فى غرفة واحدة تتشرب فيها الكتب على سريرينا، وطالما قام الجدل بيننا فى موضوعات الأدب والحياة.

بدأنا إذن، أنا ونزار ندرس الفرنسية من دون مدرس، وذلك اعتماداً على كتاب إنجليزي يعلم هذه اللغة، أهدانا إياه عمى، وقد سعدنا سعادة بالغة بتعلم هذه اللغة الجميلة، وواصلنا تعلمها حتى أصبحنا نقرأ فيها كتب الشعر، والنقد، والفلسفة، وفي عام ١٩٥٣ دخلت دورة في المعهد العراقي، قرأنا فيها نصوصاً من الأدب الفرنسي، من مثل قصص: ألفونس دوديه، وموباسان، ومسرحيات موليير، ولكن نطقى بهذه اللغة بقى رديئاً حتى اليوم، لأننى تعلمتها من دون أستاذ يلفظ أمامى الكلمات، ولم تتح لى فرصة للسفر إلى فرنسا، والحياة فيها فترة، وهذا ما يحزننى دائماً حين أجدنى أقرأ، وأفهم، ومع ذلك لا أحسن الكلام، ولا النطق الصحيح.

أما الأدب الإنجليزي فقد بدأت عنايتى به وأنا طالبة فى دار المعلمين العالية يوم كنا نقرأ شعر شكسبير (Sonnets) ومسرحية «حلم منتصف ليلة صيف»، وقد ترجمت إلى الشعر العربى إحدى سونيتات شكسبير، إذ ذاك. وأقبلت بعد ذلك على قراءة شعر بايرون، وشيللى. وفى عام ١٩٥٠ دخلت دورة فى المعهد الثقافى البريطانى لدراسة الشعر الإنجليزي، والدراما الحديثة، استعداداً لأداء امتحان تقيمه جامعة كامبردج وتمنح بعده شهادة الـ (PROFI-CENCY)، وكان مستوى هذه الدراسة أعلى من ليسانس اللغة الإنجليزية، لأن طالبة متفوقة فى السنة الرابعة من فرع اللغة الإنجليزية دخلت معى هذه الدورة، فكانت النتيجة أنها رسبت، ونجحت. وكان سر نجاحى أننى انهمكت طيلة العام فى قراءة عشرات من كتب الشعر، والدراما، فى حماسة، ونهم، والواقع أن أغلب الذين اشتركوا فى الامتحان معنا قد رسبوا، ولم ينجح سوى وسوى طالب واحد خارجى لم يشترك معنا فى الدراسة بالمعهد البريطانى، وكان لهذا الامتحان امتحان ثان أعلى منه تقيمه جامعة كامبردج نفسها، ولكنى لم أقدمه، وإنما سافرت إلى الولايات المتحدة لدراسة النقد الأدبى.

وكانت هذه المرحلة تمتد عاماً، وقد أوفدتني إليها مؤسسة روكفلر الأمريكية، واختارت لي أن أدرس النقد الأدبي في جامعة برنستون في نيو جيرسي بالولايات المتحدة، وهي جامعة رجالية ليس في تقاليدها دخول الطالبات فيها، ولذلك كنت الطالبة الوحيدة، وكان ذلك يثير دهشة المسؤولين في الجامعة كلما التقى بي أحدهم في أروقة المكتبة، أو الكليات، وقد أتيت في هذه الفترة الدراسة على أساطين النقد الأدبي في الولايات المتحدة، من مثل ديتشرد بالاكسور، وأكن دوانر، وأكن تيت، ودونالد ستاوفر، وديلمور شوارتز، وكلهم أساتذة لهم مؤلفات معروفة في النقد الأدبي، كما عرفوا بأبحاثهم في مجلات الجامعات الأمريكية، ومئات الصحف الأدبية.



بعد عودتي إلى العراق عام ١٩٥١ بدأت أتهج إلى كتابة الشر بخاصة في النقد الأدبي وفي عام ١٩٥٣ ألقى محاضرة في نادي الاتحاد النسائي ببغداد كان عنوانها (المرأة بين الطرفين: السلبية، والأخلاق) انتقدت فيها أوضاع المرأة الحاضرة، وعقم المجتمع العربي، ودعوت إلى تحرير المرأة من الجمود والسلبية، وقد أثارت هذه المحاضرة ضجة في بغداد، وتحدثت عنها المحافل طويلاً بخاصة وأن إذاعة بغداد نقلتها كاملة، وأذاعتها على الجمهور . وسرعان ما نشرتها مجلة (الآداب) البيروتية التي كانت تصدرها إذ ذاك دار العلم للملايين.

وواصلت خلال ذلك نظم الشعر ونشره، ونشر مقالات النقد الأدبي في مجلتي (الآداب) و(الآداب) ببيروت.

وفي عام ١٩٥٣ حدث لي حادث هز حياتي إلى أعماقها، فقد مرضت والدتي مرضاً مفاجئاً شديداً، وقرر الأطباء ضرورة إجراء عملية جراحية لها في لندن فوراً، ولم يكن في بيتنا من يستطيع السفر معها إلى إنجلترا سوى،

بسبب معرفتي للندن، وحياتي فيها فترة وبسبب إتقاني للغة الإنجليزية - وكان نزار قد سافر إلى الولايات المتحدة للدراسة. كل هذا اضطرني إلى أن أصبح أُمي المريضة أشد المرض إلى لندن على عجل، والرعب مُستولٍ عليّ، فقد كنت خائفة في أعماقي من شيء رهيب سيقع لي لم أشخصه، وقبل سفري بأسبوع حلمت أنني أسير في شوارع لندن وأحاول شراء تابوت ملون، وأبحث، أبحث، وأبحث في لهفة ورعب فلا أجد من يبيعني تابوتًا، ولم أقص حلمي هذا على أحد في البيت، وسافرت بها، وتم إدخالها إلى غرفة العمليات، وخرجت منها محمولة على نقالة حيث أودعوها في عتبر الموتى بالمستشفى ريثما تتم إجراءات الدفن المعقدة، وقد رأيتها، وهي تختصر في مشهد رهيب هز حياتي إلى أعماقها، وكان عليّ أن أحضر مشاهد الجنازة والدفن وأنفض بأعبائها، وهى أعمال لم أعتد القيام بمثلها، وعدت إلى العراق بعد أسبوعين ذابلة حزينة مهزوزة النفس، فقد كنت أحب أُمي حبًا شديدًا لا مثيل له، وما كدت أرى إختوتي، وأقاربي يلبسون السواد وهم يستقبلونني في مطار بغداد حتى بدأت أبكي، وأبكي بكاء لا ينقطع ليلاً ولا نهارًا، وسرعان ما لاح لي بوضوح أنني مريضة، فبادرت إلى مراجعة طبيب عاجلني بالحبوب المهدئة، فتوقفت دموعي، وإن بقي الحزن يحفر في حياتي حتى اليوم بعد خمسة وأربعين سنة من وفاة والدتي يرحمها الله، وكانت حصيلتي الشعرية المباشرة، بعد وفاة أُمي، قصيدة سميتها «ثلاث مرات لأُمي» استعملت فيها أسلوبًا جديدًا في الرثاء لم يسبقني إليه أحد، وسرعان ما ذاعت قصيدتي هذه، واستقبلها الشعراء بحرارة، وإعجاب بالغين.

وقد كان من حسن حظي - وأنا في أحزاني التي هدمتني بعد وفاة أُمي - أن انتخبنتي مديرية البعثات العراقية لدراسة الأدب المقارن في الولايات المتحدة، وقد قبلت في جامعة وسكنسن، إحدى أول عشر جامعات في

الولايات المتحدة، فسافرت متحمسة للدراسة أشد الحماسة، وأتاح لى موضوع الأدب المقارن أن أستفيد من اللغات الأجنبية التى أعرفها، بخاصة الإنجليزية، والفرنسية. وخلال هذه الدراسة اكتسبت ثقافة غنية رائعة أخصبت ذهنى وملأتنى سعادة. وقد كنت أقضى أغلب الوقت فى مكتبة الجامعة الغربية التى كان لها أعمق الأثر فى حياتى فى تلك الفترة، كما اغتنت حياتى بأفكار عذبة كثيرة متنوعة، واكتسبت من التجارب أضعاف ما كسبته فى حياتى السابقة كلها. وتغيرت مفاهيمى، ومثلى، ومقاييسى، وتبدلت شخصيتى كلها.

وقد كان النظام فى هذه الجامعة رائعاً، لأنه لايتطلب كتابة أطروحة كبيرة، بل يكلف الطالب بإعداد مجموعة كبيرة من الأبحاث فى موضوعات أدبية متنوعة، فكنت أجد متعة عظيمة فى كتابة هذه المقالات التى مرنت قابليتى فى النقد الأدبى، وما زالت الأبحاث المكتوبة بالإنجليزية تنتظر أن أترجمها إلى العربية، وأنشرها. وسبب إعراضى عنها، حتى الآن، يرجع إلى أنها كلها تتناول الآداب الأوروبية، فلا يتخللها اسم عربى، وقد ألفت أن أشعر أن كتابة الأديب العربى مقالات تفص بالاعلام الأجنبية نوع من التكلف، وإقحام لثقافة أجنبية على القارئ العربى البسيط. ولذلك أنوى أن أوسع الجانب المقارن فى أبحاثى هذه بحيث يشمل أعلاماً عربية إلى جانب الأوروبية، وإذ ذاك سأستريح إلى نشرها، وأرجو أن يتاح لى يوماً أن أفعل هذا.

وكان سفرى إلى وسكنسن عام ١٩٥٤، واستغرق إعداد الماجستير فى الأدب المقارن سنتين كتبت خلالهما مذكرات أدبية كثيرة سجلت فيها ملاحظاتى على الكتب التى قرأتها، والأشخاص الذين تعرفت إليهم، وعشت بينهم فى تلك الفترة، كما احتوت على آرائى المفصلة المركزة فى المرأة الأمريكية. ومع هذا كله، كنت فى مذكراتى أغوص غوصاً عميقاً فى تحليل

نفسى، وقد اكتشفت أنني كنت لا أعبر عن ذهني، وعواطفى كما يفعل كل إنسان حولى، وإنما ألوذ بالانطواء، والصمت، والتجمل، واتخذت قراراً حاسماً أن أخرج على هذا الطبع السلبى، وشهدت مذكراتى صراعاً عظيماً مع نفسى من أجل تحقيق هذا الهدف، فكنت إذا تقدمت خطوة تراجع عشر خطوات بحيث اقتضانى التغير الكامل سنوات كثيرة طويلة.

وأنا اليوم أدرك أن تغيير العادات النفسية من أصعب الأمور، ولذلك أعتبر كفاحى المتواصل لتعديل أعماقى النفسية، ومسلكى الاجتماعى كفاحاً بطولياً، لم يساعدنى عليه إلا الله تعالى برحمته السابغة، ورعايته الدائمة، مهما يكن فإن فى نيتى أن أفرغ يوماً لانتخاب مختارات من مذكراتى فى مادنس/ وسكنسن للنشر، وقد أعطيت حلقة منها إلى جريدة الأهرام صيف سنة ١٩٦٦، فنشرتها فى عددها الصادر يوم ١٩٦٦/٨/٥.

وعندما رجعت من الولايات المتحدة، مررت فى طريق العودة بإيطاليا، وجنوب فرنسا، ثم عرجت على دمشق حيث مؤتمر الأدباء العرب الثانى فى بلودان، وكانوا قد وجهوا إلىّ دعوة وأنا فى الولايات المتحدة. وكنت يومها أحس بنوع من الأزمة أعانيه، فقد كان التعبير بالعربية لا يطاقوعنى تماماً بعد سنتين لم أتكلم خلالهما إلا بالإنجليزية، وكانت حياتى الفكرية والروحية كلها تقوم على هذه اللغة الأجنبية، وكنت أحس بذلك إحساساً قاسياً بخاصة خلال وجودى فى مؤتمر الأدباء الذى افتتحت به عودتى إلى الوطن العربى الحبيب. ولم يزيلنى هذا الإحساس إلا بعد مرور أشهر فى العراق استعدت خلالها طلاقة التعبير بالعربية.

وفى عام ١٩٥٧ صدرت فى بيروت مجموعتى الشعرية الثالثة (قرارة الموجة)، وقد احتوت على منتخبات من شعرى بعد (شظايا ورماد)، ونشرتها دار الآداب ببيروت.

وفى عام ١٩٥٨ قامت فى العراق ثورة ١٤ تموز، وأثرت فى حياتى
أعنف تأثير حتى استغرقت كل لحظة من عمرى ذلك العام. وقد استقبلتها
بقصيدة ساخنة بدأتها:

فرح الأيتام بضممة حب أبوية

فرحة عطشان ذاق الماء

فرحة تموز بلمس نسائم ثلجية

فرح الظلمات بنبع ضياء

فرحتنا بالجمهورية

وكانت القصيدة تعبيراً بسيطاً عن الفرح العميق الغامر. وتحذيراً من
مؤامرات أمريكا، والصهيونية العالمية:

السوق صحا يا ورد حذار

من نقمته الصهيونية

ومخالبه الأمريكية

ولكن عبدالكريم قاسم سرعان ما انحرف، واستهوته شهوة الحكم،
وسمح للشعوبية أن تمس جمال الثورة، وتقضى على مبادئها القومية التى
أحبها أشد الحب، وقد اضطررتى عسف الحكم، وتهديده المستمر إلى ترك
العراق، والسكن ببيروت عامّاً كاملاً (١٩٥٩ - ١٩٦٠) وخلال ذلك،
واصلت نشر إنتاجى القومى فى مجلة (الأداب).

فى عام ١٩٥٧ عينت مدرسة معيدة فى كلية التربية ببغداد أدرس النقد
الأدبى، العروض، وبعد عودتى من بيروت عام ١٩٦٠ تعرفت إلى زميل
جديد فى قسم اللغة العربية هو الدكتور عبدالهادى محبوبة، خريج جامعة

القاهرة. وفي منتصف عام ١٩٦١ تزوجنا، فكان لى نعم الصديق والرفيق والزميل.

وفي عام ١٩٦٢ صدر لى أول كتاب فى النقد الأدبى هو (قضايا الشعر المعاصر)، وقد درست فيه الشعر الحر دراسة خاصة مفصلة، ووضعت له عروضاً كاملاً اعتماداً على معرفتى للعروض، وعلى قوة سمعى الشعرى، وعلى كثرة قراءتى لشعر الزملاء من الشعراء، وقد أهديت الكتاب إلى الرئيس العربى جمال عبدالناصر، متحدية عبدالكريم قاسم الذى كان يقاته أشد المقات.

وفي عام ١٩٦٤ سافرنَا، أنا وزوجى، للعمل فى تأسيس جامعة فى البصرة؛ حيث كان الدكتور عبدالهادى رئيساً للجامعة، وكنت أعمل فى التدريس بقسم اللغة العربية، ثم انتخبت رئيساً للقسم واستمر عملنا هناك أربع سنوات، وغادرنا البصرة إلى بغداد أواخر عام ١٩٦٨ حيث عدنا إلى التدريس فى كلية التربية سنة واحدة، غادرنا العراق بعدها إلى الكويت للتدريس فى جامعتها.

وفي عام ١٩٦٤ دعانى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة إلى إلقاء محاضرات حول الشعر فى موضوع اختاره، فعكفت على كتابة كتاب عن الشاعر المبدع على محمود طه الذى كنت تأثرت بشعره خلال فترة الصبا، يوم كنت طالبة فى فرع التمثيل بمعهد الفنون الجميلة، وقد طبع هذا الكتاب (شعر على محمود طه) فى القاهرة عام ١٩٦٥. وكان عنوان طبعته الثانية (الصومعة والشرقة الحمراء)، وقد طبعته دار العلم للملايين.

وفي أول سنة ١٩٦٨ صدرت لى مجموعة شعرية رابعة عنوانها (شجرة القمر)، تطور فيها شعرى تطوراً واضحاً عما كان عليه فى المرحلة السابقة،

مرحلة (قرارة الموجة) التي كنت خلالها أميل إلى الفلسفة، والفكر فى شعرى، ونثرى جميعاً.

وفى عام ١٩٧٠ صدرت مطولتى الشعرية (مأساة الحياة وأغنية للإنسان). عن دار العودة ببيروت.

وبعد، فهذه خطوات مركزة مختصرة من سيرة حياتى كتبته تلبية لطلبات كثيرة ترد على من الباحثين، وطلبة الجامعات الذين يكتبون رسائل الماجستير، والدكتوراه. أما سيرة حياتى المفصلة، ففيها كثير من الغرائب الممتعة، وأرجو أن يتاح لى أن أفرغ لكتابتها يوماً قبل الموت.

مأساة الحياة
الطبعة الأولى ١٩٧٠

«أكثر هذه المطوِّلة قد نُظِم سنة ١٩٤٥ والقليل
منها امتد إلى ١٩٤٦ ، وكان عمري ثلاثة وعشرين
عاماً» .

تقدمة

- بقلم الشاعرة -

يضمّ الأثر الشعريّ الذي أضعه بين يدي القارئ في هذا الكتاب ثلاث صور شعرية لقصيدة واحدة، أولها قد نظم بين سنة ١٩٤٥ و ١٩٤٦، وثانيها قد نظم سنة ١٩٥٠ وثالثها متأخر التاريخ حتى ١٩٦٥، ولقد يمكن أن تعدّ قصيدة من هذه القصائد المطوّلة مستقلةً عن الآخرين، لولا أنني قد نسخت بعض الأبيات أحياناً فنقلتها من قصيدة إلى أخرى على اعتبار أنها مازالت ترضى ذوقي رغم مرور السنين، ولعلّ من المفيد أن أشرح الظروف الزمنية والنفسية والفكرية التي أحاطت بي خلال عشرين عاماً من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥م:

أما القصيدة الأولى فقد نظمتها عام ١٩٤٥ - وكان عمري إذ ذاك اثنين وعشرين عاماً- ولم يكن ديواني الأول (عاشقة الليل) قد ظهر إلى الوجود أو طبع، وكنت إذ ذاك أكثر من قراءة الشعر الانجليزي فأعجبت بالمطوّلات الشعرية التي نظمها الشعراء وأحببت أن يكون لنا في الوطن العربيّ مطوّلات مثلهم، وسرعان ما بدأت قصيدتي وسميتها «مأساة الحياة» وهو عنوان يدل على تشاؤمي المطلق وشعوري بأن الحياة كلها ألم وإيهاًم وتعقيد، وقد اتخذت للقصيدة شعاراً يكشف عن فلسفتي فيها هو هذه الكلمات للفيلسوف الألماني المشائم «شوبنهاور»: (لست أدري لماذا نرفع الستار عن حياة جديدة كلما أسدل على هزيمة وموت، لست أدري لماذا نخدع أنفسنا بهذه الزويعه التي تثور حول لا شيء؟ حتّام نصبر على هذا الألم الذي لا ينتهي؟ متى نتدرّع بالشجاعة الكافية فنعترف بأن حبّ الحياة أكذوبة، وأن أعظم نعيم للناس جميعاً هو الموت؟)، والواقع أن تشاؤمي قد فاق تشاؤم شوبنهاور نفسه، لأنه

- كما يبدو - كان يعتقد أن الموت نعيم لأنه يختم عذاب الإنسان، أما أنا فلم تكن عندي كارثة أقسى من الموت، كان الموت يلوح لى مأساة الحياة الكبرى، وذلك هو الشعور الذى حملته من أقصى أقاصى صباى إلى سن متأخرة.

وهكذا بدأت نظم المطولة، وقد اخترت لها بحراً عروضياً مرناً هو البحر الخفيف الذى يجرى بين يدى الشاعر كما يجرى نهر عريض فى أرض منبسطة، وقد بلغت القصيدة ألفاً ومائتى بيت نظمتها فى ستة أشهر تقريباً وانتهيت منها عام ١٩٤٦ وكان موضوعها فلسفياً يدور حول الموت والحياة وما وراءهما من أسرار، وقد تخلل القصيدة جزء منها شكوت فيه من المأسى التى سببتها الحرب العالمية الثانية التى كانت تستمر فى الغرب ودعوت إلى السلام وتغيت به ونددت بتجار الحروب وقاتلى البشر، ثم انتقلت إلى الحديث عن السعادة متسائلة إن كان لها وجود حق فى الدنيا، ثم رحلت أبحث عنها فى مختلف الأوساط فلا أجدها، بحثت أولاً لدى الأغنياء لعل السعادة فى قصورهم وحياتهم المترفة الناعمة، ولكنى لم أجدها لأن الغنى لا يستطيع أن يدفع وحشة القبر والأكفان بأمواله، ثم مررت بالرهبان والزهادين فوجدت عواطفهم المكبوتة تقلقل حياتهم ومضض الحرمان يظلل مساكنتهم ويبدو على وجوههم، ثم قلت لعل السعادة فى ارتكاب الشرور والآثام فطفت بأوكار اللصوص، والمجرمين، فوجدت أن ضمايرهم تعذبهم ولا تأذن لهم أن يرتاحوا، ووصلت إلى الريف بأشجاره وامتدادته الجميلة فوجدت سكانه فقراء محرومين يعيشون عيشة البؤس والعذاب، وصورت فى هذا القسم من المطوكة، راعياً صغيراً يأكله الذئب ثم وصفت الثلوج التى تهبط طوال الشتاء وتحرم الفلاحين من استنبات الأرض فيشتت الجوع والحزن بينهم وتغوت مواشيهم، ومن الريف انتقلت إلى دنيا الشعراء لعل السعادة عندهم، ولكن بارقة الأمل سرعان ما تخبو بسبب حساسية الشاعر وتأله للجياح والمحزونين

والمحرومين، ثم أنتقل إلى العشاق لعلهم ذاقوا السعادة، فلا أجد بينهم من يعرفها لأن الشهوة الجنسية تدنس الروح وتحدّ آفاق الفكر، وهكذا تنتهى الرحلة بالخيبة فلا تجد الشاعرة السعادة مطلقاً.

ولقد كانت «مأساة الحياة» صورة واضحة من اتجاهات الرومانسية التي غلبتني في سن العشرين وما تلت من سنوات، وكان من مشاعري إذ ذاك التشاؤم والخوف من الموت وهما مفتاح هذه الصورة الأولى من المطولة، صورة ١٩٤٥.

وكنيت في عام ١٩٤٦ أنوى أن أقدم المطولة للقراء بعد مجموعتي الشعرية الأولى «عاشقة الليل»، وعندما طبع هذا الديوان كان في آخره إعلان صغير عن «مأساة الحياة» ولكن الظروف حالت دون ذلك، فأصدرت مجموعتي الشعرية الثانية «شظايا ورماد» عام ١٩٤٩ وهي المجموعة التي دعوت فيها إلى الشعر الحرّ.

وفي عام ١٩٥٠ كان أسلوبى الشعرى قد تطور تطوراً كبيراً عما كان أيام نظمى للمطولة، فأصبحت مواردى الأدبية أغزر، وأسلوبى أكثر صوراً وثقافتى أغنى، فلم أعد راضية عن «مأساة الحياة» ولذلك قررت أن أعيد نظمها بأسلوبى الجديد فكانت صورتها الثانية، وعندما مضيت فى نظمها لاحظت أنها - رغم وحدة الموضوع - قد أصبحت قصيدة ثانية تختلف فى كل لفظة منها عن «مأساة الحياة» قرأت أن أهبا عنواناً جديداً خاصة وأنى بدأت أنظر إلى الحياة بمنظار جديد فيه مسحة من تفاؤل ووضوح بحيث لا أحتمل أن استبقى العنوان القديم ولذلك سميتها «أغنية للإنسان»، وقد مضيت فى نظمها حتى بلغت أبياتها ٥٨٦ بيتاً من الوزن الخفيف نفسه، وعند هذا بدأت أشعر بالضيق، فقد لاحظت أننى مقيدة بالنسخة الأولى مادمت أعيد نظمها فليس فى وسعى أن أخرج عن الإطار العام للقصيدة الأولى، وكان

على فى «أغنية للإنسان» أن أبحث عن السعادة فلا أعثر عليها، بينما كنت قد بدأت أدرك أن السعادة ممكنة ولو إلى مدى محدود، فكيف أوفق بين الموضوع القديم وآرائى الجديدة؟

واستعصى على الحل وقلت لنفسى إننى لا أستطيع مواصلة القصيدة ولا بد لى من تركها، وكان ذلك، اذ توقفت عن النظم وتركت القصيدتين خمسة عشر عاما من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٥ وقد كنت خلال هذه السنوات أشعر بالضيق كلما تذكرتها لأن «مأساة الحياة» كانت أجمل شعرى فى مرحلتى الأولى، مرحلة «عاشقة الليل» وكانت نسخة ١٩٥٠ أجمل شعرى فى مرحلتى الثانية، ولذلك عزّ على أن تبقى محجوبة عن القراء، وراح الدكتور عبدالهادى محبوبة (زوجى) يحتنى على إتمامها، وفكرت فى ذلك فعلا، ولكنى لاحظت أن أسلوبى الشعرى قد تطور وتغيّر ما بين ١٩٥٠ و ١٩٦٥ فلو أتممت (أغنية للإنسان) لظهر عليها فارق الأسلوب، وبقيت حائرة ماذا أصنع، ثم قررت أن أنشر (مأساة الحياة) كما هى دون تعديل، وجلست ذات صباح أنسخها معدلة كلمة هنا وشطرا هناك دون أن أعيد نظمها كما صنعت سنة ١٩٥٠.

ولكنى ما كدت أمضى صفحات حتى بدأت التغييرات تتسع وتشمل كثيراً من الأبيات، وبعد يومين وجدتنى أغير القصيدة القديمة تغييرا كاملا دون أن استبقى من المطولة الأولى لفظة واحدة، وهكذا ولدت الصورة الثالثة من القصيدة عام ١٩٦٥، وسوف يلوح للقارئ أننى أقرب إلى التفاؤل فى هذه القصيدة، والواقع أن آرائى المتشائمة كانت قد زالت جميعا وحل محلها الإيمان بالله والاطمئنان إلى الحياة، ولذلك راح جو مأساة الحياة يتبدد تدريجيا، وقررت أن تمجد الشاعرة السعادة فى هذه القصيدة، وعندما بلغت ستمائة بيت أو يزيد شغلتنى الحياة بأعمال وظروف معقدة فاضطرت إلى ترك المطوكة والانصراف إلى مشاغلى، ومنذ ذلك لم أعد إلى المطوكة.

واليوم إذ أقدم الصور الثلاث إلى المطبعة، أحسّ أنني أقدم عملاً أدبياً متكاملًا، لأن الشعر قد يقرأ لمجرد كونه شعراً، وهذه المطوكة بصورها الثلاث تدلّ على خط التطور في شعري ما بين السنوات العشرين من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥.

وبعد فلست أول من تعثر به هذه الحالات الشعرية في سنين مختلفة فإن الشاعر الإنجليزي جون كيتس مثلاً قد نظم قصيدة عنوانها «هايبيرون» HYPERION تناول فيها سقوط الآلهة الأوائل في الميثولوجي اليونانية، عندما حلّت مكانها أسرة جوبيتر Jupiter إله الآلهة الثاني، وقد صور «كيتس» في هذه المطوكة ميلاد (أبولو) إله الشمس وكيف حلّ محل الإله السابق هايبيرون إله الشمس الأول الساقط، وتعدّه هذه القصيدة من أروع شعر كيتس، وقد نشرها في مجموعته الشعرية الصادرة سنة ١٨٢٠، وعندما انصرم الوقت شعر كيتس أن قصيدته لم تعد تمثّل أسلوبه، فعاد ونظم منها نسخة ثانية سماها «سقوط هايبيرون» The Fall of Hyperion ونجد النسختين منشورتين في ديوان كيتس تدلان على تطوره الشعريّ من مرحلة إلى مرحلة.

وأنا إذ أقدم اليوم مطوكتي باشكالها الثلاثة إنما أرجو أن يعذرني القارئ بعد أن قصصت عليه التاريخ النفسى لها ووصلتها بالتيارات الخفية من عواطفى وأرائى وحياتى، ومهما يكن من أمر فإن نسخة ١٩٤٥ كاملة لا نقص فيها، وأما القصيدتان التاليتان فحسبى أنهما تقدّمان الحقيقة الشعرية التى تختلف عن الحقيقة القصصية، فالشعر أعمق وأجمل من مجرد الموضوع الذى يعالجه ولذلك يمكن أن ترتوى مشاعرنا بجزء من قصيدة، وأما القصة فإن تمام الحكاية فيها جزء من كمالها لا يفصل عنه.

وأود هنا أن أقتبس نماذج من موضوع واحد من القصائد الثلاث ليرى القارئ اتجاه التطور في شعري عبر عشرين عاماً، ورد في «أمسة الحياة» عام

١٩٤٥ فى موضوع البحث عن السعادة عند سكان الأديرة الآيات التالية:

أيهـا الراهب الذى يقطع العمـ	ر وحيداً فى كوخه المكفهر
هات حدثنى العشية عما	عند دنياك من نعيم وبشر
حدثونى عنكم فقالوا حياة	من نعيم وأنفس من نقاء
عجباً أين ما يقولون؟ مالى	لا أرى غير حيرة الأشقياء؟
ما الذى عندكم من البشر والآف	راح ماذا يا أيها الزاهدونا!
ليس إلا عمر يمرّ حزينا	يتهاوى كسابةً وسكونا

أما فى نسخة ١٩٥٠ فهذه هى الصورة التى صورت بها مشاعر الرهبان
وملكتهم التى تقوم على الكبت والحرمان:

شيدوها من كل لفظة شوق	فى العيون الحبيسة المحرومة
وسقوا أرضها الجدية من بر	كان تلك العواطف المكتومة
وحموها من أن تغازلها الشمـ	س بألوانها ولين شذاها
وأبسوا أن يلامس القمر المنـ	فعل الضوء فى المساء دجاها
وتمنوا ألا تمربها ريـ	ح عبيرية الصدى والنشيد
فشفاه الريح تكمن فيها	قبل عذبة وذكرى حدود
وتمنوا أن يقفل الليل عينـ	ه وتخبو نجومه السحرية
فعيون النجوم تقوى بأهدا	ب حريرية الرؤى قمريه

أما فى نسخة عام ١٩٦٥ فقد تحولت هذه المعانى إلى الصيغة التالية:

أيهـا الراهب الذى يقطع العمـ	ر وحيداً فى غرفة منسيه
ليس يدرى دفء المودة فى عيـ	نين فى قر ليـلة شتويه
حدثونى عنكم فقالوا ضياء	وكؤوس من الشذى روحية
وسمو إلى الذرى الطاهرات الـ	بيض فوق الرغائب البشرية

عجباً أين ما سمعت هنا شو قٌ و ن ا رٌ و ا ع ي نٌ م ف ت و ن ه
وهوى قيّدوه عطشان محرو ما فأين السلام أين السكينة؟

ولكن الذى يلاحظ أن نسخة عام ١٩٦٥ قد لمحت تلميحاً واضحاً إلى أن هذه الشاعرة لا تنتظر بعيداً ولا عميقاً وهى تبحث عن السعادة وإنما هى متشائمة لأن نظراتها تقع فوق السطوح ولا تغوص عميقاً وراء المظاهر الخادعة. وقد جاء هذا المعنى فى «أنشودة الرياح» التى خاطبت الشاعرة قائلة:

أنصتى تسمى فى السكون حفيف
وانظرى تبصرى أن جديى وريف
لك قلب غففا عن مماني الذرى
لك روح نسوى فى ضباب الكبرى

وهذا التطور فى النظرة هو التمهيد لفكرة عثور الشاعرة على السعادة فى ختام القصيدة.

وقد يتساءل متسائل: لماذا بقيت متمسكة بالبحر الخفيف فى القصائد الثلاث دون أن أخرج عنه إلى بحور أخرى؟ وجواب هذا أننى رأيت هذا البحر أكثر ملاءمة للمطولات فهو يسمح بالعبارة الطويلة على صورة تريح الشاعر الحديث، ولا يخفى أننا إنما دعونا إلى الشعر الحر لنمكن الشاعر العربى من إيراد جمل طويلة دون تقطع.

نازك الملائكة

بمحمود فى ١٩٧٠/٨/١١

مأساة الحياة

عبيثاً تخلمين شاعرتى ما	من صباح الليل هذا الوجود
عبيثاً تسألين لن يكشف السر	ولن تنعمى بفك القسيود
فى ظلال الصفصاف قضيت ساعا	تك حيرى تمضك الأسرار
تسألين الظلال والظل لا يعد	لم شيئا وتعلم الأقدار
أبدأ تنظرين للأفق المجر	هول حيرى فهل تجلى الخفى؟
أبدأ تسألين والقدر السا	خر صمت مستفلق أبدي
فيم لا تيأسين؟ ما أدرك الأسا	رار قلب من قبل كى تدركيها
أسفا يا فتاة لن تفهمى الأيد	سام فلتقننى بأن تجهليها
أتركى الزورق الكليل تسير	ه أكف الأقدار كيف تشاء
ما الذى نلت من مصارعة المو	ج؟ وهل نام عن مناك الشقاء؟
آه يا من ضاعت حياتك فى الأح	لام ماذا جنيت غير الملل؟
لم يزل سرها دفيناً فيا ضي	عة عمر قضيت في السؤال

هيام حتى ضاقت به الحكماء
قبل أسرارها فقيم الرجاء؟

جاء ملاين ثم زالوا وبادوا
هم؟ وأين الأفرح والأعياد؟

ت أقيمت على ضفاف الحياة
فى سكونِ بعالمِ الأمواتِ

وكم أذعنت له الأكسوانُ
ن فأين الذين بالأس كائوا؟

لك الأمانى وتخمد الأحلامُ؟
ويميش الظلام وهو ظلامُ

تن يذوى فى قبضة الإعصار
مد وتبقى سخرية الأقدار

ساة يا من قد سُميت بالحياة
هول ماذا ترى مصير رفاتى؟

هو سبرُ الحياة دقَّ على الأذ
فأياسى يا فتاة ما فهمت من

جاء من قبل أن تجينى إلى الدن
ليت شمعى ماذا جنَّوا من ليالى

ليس منهم إلا قبورٌ حزيننا
رحلوا عن حِمى الوجود ولاذوا

كم أطاف الليلُ الكئيب على الجوى
شهد الليلُ أنه مثلما كا

كيف يا دهر تنطفى بين كفى
كيف تَنزوى القلوبُ وهى ضياءُ

كيف تحيا الأشواك والزهر الفا
كيف تمضى إلى الفناء الأناشيد

حدثنى القلب أنتِ أيتها الما
ما الذى تصنعين بى فى الغد للجب

أى قبر أعددت لى؟ أهو كهفٌ	ملء اتحاته الظلامُ الداجى؟
أم ترى زورقى سيفرق بى يو	مأ فأتوى فى ظلمه الأتجاج
لهفتى يا حياة كم تلعب الأو	هام بى؟ كم يؤودنى التفكير
أبدا أسأل اللىالى عن المو	ت وماذا ترى يكون المصير؟
طالما قد سألت لىلى لكن	عز فى هذه الحياة الجواب
ليس غير الأوهام تسخر منى	ليس إلا تمزق واضطراب
هل فهمت الحياة كى أفهم المو	ت وأذنو من سره المكنون
لم يزل عالم النية لغزا	عزّ حلا على فؤادى الحزين
فليكن يا حياة لن أسأل اللى	حل عن السر فاحكمى كيف شئت
امنحبنى عمر الزهور فلن أب	ككى ومدى الأيام لى إن رغبت
ما الذى ينفع البكاء وما يضر	غى إلى الصارخين قلب القضاء
لن يزيد البكاء يوماً على عم	رى ولن يرحم المماتُ شقائى
ولتجرّ عنى الحياة كؤوس الـ	حزن واليأس ما يشاء شقاها
هل ستنصنى إلى رجائى المنايا	إن تمنيت صمتها ودجاها

هكذا جئت للحياة وما أد	رى إلى أين سوف تمضى الحياةُ
وساحياً كما يشاء لى المجد	يهول حيرى تلهو بى الظُّلماتُ
إن تمنيت أن أعيش فما يسد	تجمع الموت أو يمد السنينَا
أو تمنيت أن أموت فما يُر	حم حلمى ولست ألقى المنونا
هكذا، ما يريدك القدر المح	توم لا ما تُريدهُ آمالى
سيرتى الحياةُ أين ترى مَرُ	سى سفينى؟ وعند أى رمالٍ؟
ها أنا الآن حيرةٌ وذهولٌ	بين ماضٍ ذوى وعُمرٍ يمرُّ
لست أدري ما غابتنى فى مسيرى	أه لو ينجلي لعينى سرُّ
يا ضفافَ الأفراح يا ليتنى أم	رفُ شيئاً عن أفقك للجهولِ
لم أهد أستطيع أن أكتنم الشو	ق فأيان يا ضفاف وصولى؟
كلُّ شئٍ حولى يحدثنى عند	ك ولكن متى يحين اللقاءُ؟
فأرحمى من قبل أن يحطم المو	جُ شرعى وتصخب الأنواءُ
آه يا ضفّة السمادة ما أند	ت؟ خيالٌ أم واقعٌ مشهودُ؟
أترى قلبى الطمعينُ سيلقا	ك أخيراً أم أنت حلمٌ بعيدُ؟

طلما حدثوا فؤادي عن لقد جاك لکن ما زلت حلم صبي
لم أزل أمصرفُ الليالي أبكي وأغنى حزنَ الوجودِ الشقي

على تل الرمال

لم يزل مجلسى على تلى الرم	لى يصفى إلى أناشيد أمسى
لم أزل طلفة سوى أننى قد	زدتُ جهلاً بكنه عمري ونفسى
ليتنى لم أزل كما كنت قلباً	ليس فيه إلا السنا والنقاء
كل يوم أبنى حياتى أحلا	مأ وأنسى إذا أتانى المساء
أبدأ أصرف النهار على التل	وأبنى من الرمال قصورا
ليت شعرى أين القصور الجميلا	ت وهل عذن ظلمة وقبورا؟
ايه تل الرمال ماذا ترى أب	قبيت لى من مدينة الأحلام؟
أنظر الآن هل ترى فى حياتى	لمحة غير نشوة الأوهام؟
ذهبَ الأمسُ لم أهد طفلة نر	قُب عشّ المصفور كلّ صباح
لم أهد أبصر الحياة كما كن	ت رحيقاً يذوب فى أقداحي
لم أهد فى الشتاء أرنو إلى الأم	طار من مَهْدَى الجميل الصغير
لم أهد أحشى الحمامة إن غد	ت وألهو على ضفاف الغدير

ها الليالى شيئاً سوى الأشواكِ
خيالاً يؤودُ قلبى الباكي

كم زهور جمعتها لم تذو من
كم تعاليلَ صفتها فَنَبِتُ إلا

تُ فأرجع فردوسى المفقودا
لَكَ هذا جماله المعبودا

آه يا تلُّها أنا مثلما كنتُ
أى كَفْ أئيمة سلبتُ رَمَدُ

لى والآن لم تُعدْ غيرَ تلٍّ
لى وكان النعيم يتبع ظلى

كنتُ عرشى بالأمس يا تلى الرمد
كان شلُو الطيور رجوعَ أناشيد

رى فيا ليتنى أعودُ إليها
رَوليت الربيع يحنو عليها

كان هذا الوجود مملكتى الكب
ليت هذى الرمال تسترجع السح

رَ وأرعى النجوم فى كل ليلٍ
رى وهل غير هيكلى المضمحلُّ؟

لم أعدُ أستطيعُ أن أحكم الزَهْدُ
هل أنا الآنَ غيرَ شاعرةٍ حَبِ

تُ بحسَى الرهيف عن لهُو أسمى
نَ وهذى الحياة تُجرَحُ نفسى

ذهب الأملُ والطفولةُ واعتَضُ
كل ما فى الوجود يؤلمنى الآ

نَ أرى فى الأزهار غير البوارِ
مُ لمينى قاطفَ الأزهارِ

أين لونُ الأزهار لم أعدُ الآ
كلما شممتُ زهرةً صورَ الوهم

أين شدو الطيور ما عدت ألقى
كلّ لحنٍ لصادحٍ يتلاشى
فى صَفَاهُ من يأسٍ قلبى خلاصاً
فى ادِّكارى الصَّيَادِ والأقفاصا

أين همس النسيم لم تُعدْ الأند
فغدأً يهمس النسيمُ بموتى
سامُ تغرى قلبى بحبِّ الجمالِ؟
فى عميقِ الهُوى وفوقِ الجبالِ

أين متى مفاتنُ القَمَرِ السا
لم أعدْ أحشَقُ الظلامَ غداً أر
حر والصيف والظلام المثير؟
قدْ تحت الظلام بين القبورِ

ها أنا الآن تحت ظلٍّ من الصَفْدِ
أقطف الزهر إن رغبْتُ وأجنى الك
صاف والتين مستطاب ظليلِ
مرّ الحلو فى صباحى الجميلِ

وغداً ترسم الظلالُ على قب
وغداً من دمي غداؤك يا صف
رى خطوطاً من الجمال الكئيبِ
صاف يا تينُ أىُّ نارٍ رهيبِ

ذاك دأب الحياة تسلبُ ما نر
تتقاضى الأحياءَ قيمةَ عيشِ
طيه بخللاً لا كان ما تعطيه
ضمهم من شَقَاهُ أعمقُ نيهِ

هى هذى الحياةُ ساقية السَمِ
أو ماتٌ للعطاش فاعترفوا من
كؤوساً يطفو عليها الرحيقُ
ها ومن ذاقها فليس يُفِيقُ

هـى هـذى الحـىاةُ زارعةُ الأشـ
هـى نـىعُ الأثامِ نـسـتـلـهـمُ الشـر
سـواكِ لا الزهـرِ والدُّجى لا الضـياءِ
ونـحـيا فى الأرض لا فى السـماءِ

آدم وحواء

حَسْبُهَا أَنَا دَفَعْنَا إِلَيْهَا أَيُّ ذَنْبٍ جَنَاهُ آدَمُ حَسْبِي	ثَمَنَ الْعَيْشِ حَيْرَةٌ وَدُمُوعَا تَتَلَقَّى الْعِقَابَ نَحْنُ جَمِيعًا؟
وَلَيْكِنْ آدَمُ جَنَى حَسْبُهُ فُقِدَ حَسْبُهُ يَا حَيَاةُ أَنْ هَبْطَ الْأَرْضِ	لَدَانُ فَرْدَوْسِهِ الْجَمِيلِ عِقَابَا ضَرَّ لِيَحْيَا وَيَجْرَعَ الْأَوْصَابَا
حَسْبُهُ أَنَّهُ أَتَى الْأَرْضَ مَطَرُو حَسْبُهُ مَا رَأَى مِنَ الشَّرِّ وَالْإِثْمِ	دَا مِنْ الْخُلْدِ مُسْتَطَارًا حَزِينَا مَ وَمَا ذَاقَ مِنْ عَذَابِ السِّنِينَا
لَيْتَ شَعَرِي مَاذَا يَرُوقُ لَعِينِي كَيْفَ يَنْسَى جَمَالَ فَرْدَوْسِهِ الْمَقْدُ	هَ عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ سَحَرِ السَّمَاءِ قُودُ فِي عَالَمٍ دَجَى الْفَضَاءِ
كَيْفَ يَنْسَى الْأَمْسَ الْجَمِيلَ لِيَهْنَا لَيْسَ يَحْيَا فِيهَا سِوَى الْأَثْمِ الْجَبِّ	بَعْيَاةَ مُوسِمَةِ الشَّقَاءِ؟ يَا رَحْمَنَاهُ لِلضَّعْفَاءِ

قَابِيلُ وَهَابِيلُ

ولماذا ينسى وهل ثم في الأَر كلما لاذ بالخيالِ تجلّى	ضُرَّ عِزَاءٌ مِنْ حِلْمِهِ الْمَسْئُولِ لَأَسَاءُ مَا كَانَ مِنْ قَابِيلِ
أَو لَمْ تَسْمَعْ الْحَقُولُ صَدَى صِر أَوْ لَمْ يَشْهَدْ الْقَطِيعُ عَلَى الْجَا	خَةُ هَابِيلَ حِينَ خَرَّ قَتِيلًا؟ نَيَّ؟ أَلَمْ يَبْصُرِ الدَّمَ الْمَطْلُولَا؟
أَيْنَ هَابِيلُ؟ أَيْنَ وَقَعَ خَطَى أَغْدِ لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا ضَرْبُ كَنْيَبُ	نَامَهُ فِي الْحَقُولِ وَالْوَدْيَانِ؟ شَادَهُ فِي الْمَرَاءِ أَوَّلَ جَانِ
وَأَنْتَ ظَلَمْتَ الْمَسَاءَ عَلَى الْحَقْدِ لَيْسَ إِلَّا قَابِيلُ يَمْشِي كَنْيَبًا	حَلَّ وَعَادَ الْقَطِيعُ مِنْ دُونِ رَاعِي وَهُوَ نَهَبُ الْافْكَارِ وَالْأَوْجَاعِ
مَا الَّذِي تَنْفَعُ الْمِدَامُ يَا آ إِنْ يَكُنْ مِنْ فَقْدَتِ أَوَّلِ مَقْتُو	دَمٍ فِيمَا قَضَتْ بِهِ السَّنَوَاتُ لِ فُلَا يَا سُبُقَتْلُ الْعِشْرَاتُ
يَا لَأَحْزَانِ آدَمَ حِينَمَا أَبِ أَيُّهَا الْمُسْتَطَارُّ لَنْ تَرُدَّ الْأَفْ	صَرَ بَابْنِيهِ قَاتِلًا وَقَتِيلًا لَدَارَ حَتَّى إِذَا بَكَيْتَ طَوِيلًا

زّون يحيا في ظُلْمة الأرجاسِ
لُ القنيلَ الوحيد بين الناسِ

لَمْ مسدولة الرّوى مكفهره
أعقبتها من الأسى ألف قطره

استرح أنت، نَمْ، دع العالمَ المحـ
دعه في غيّه فما كان هايـ

إنها لعنةُ السماء على العا
كلما ذاق قطرة من نعيم

الحرب العالمية الثانية

لم يكد يستفيق من حربه الأو	لى ويهنا حتى رمثه الرزايا
رحمةً يا حياةً حسبك ما سا	ل على الأرض من دماء الضحايا
انظري الآن هل ترين سوى آ	ثار دنيا بالأمس كانت جنانا
ليس من سحرها سوى سود أحبا	ر تثير الدموع والأشجانا
أين نُمَاك يا بقايا القصور الد	بيض أين الأزهار والأطيّار؟
هجرتك الطيور غير غراب	وجفك الأريج والإخضرار
أين أهلوك؟ حدثني ماذا	يا ركام الانقاص كان المصير؟
أين يحيون؟ أى كهف من الأر	ض زواهم أساء والديجور؟
أين أهلوك يا قصور أمحت الد	لج أم مزقتهم القاذفات
أسفا ضاقت الميادين بالقن	لى وما عاد يُدقن الأموات
فى سفوح الجبال تحت ذرى الأشد	جار خلف القصور والاكواخ
ليس غير الموتى عظاماً وأثلا	ء وغير اكتآبة وصُراخ

يا ملاك السلام أقبل من الأجـ	واءِ واهبط على الوجود الكئيبِ
إيكِ المراقدين في وجْمة المو	تِ وأشرقْ على الظلامِ الرهيبِ
طف بهذى القُرَى لتلمسَ آها	تِ الحزائى والساغبينَ الظماءِ
وارحمِ الصارخينَ فى سُررِ الأمـ	راضِ بينَ الأحزانِ والأدواءِ
طُفْ بانقاضِ عالمٍ ليس يدري	هل سيحظى بمبهجاتِ الحياةِ؟
هو إن نامَ لحظةً هبْ مدعو	رأى لبيكى ويرملُ الأهاتِ
ما درى حينَ أضرمَ الحربَ إلا	حُلمَ النصرِ والفَخارِ العظيمِ
يا لقلبِ المسكينِ! ما ينفعُ المجد	دُ لقلبِ مُلوَّعٍ مَصْدومِ
فلَيْفَقْ حسبُه خيالاً وأوها	ما ليلقى ما قد جنتَ كفأه
عالمٍ مظلمٍ يضحُّ به المرُ	ضى ويشكو من الطوى أبناءُ
جفَّ زهرُ الرياضِ والورقُ التَفَضُّ	رُ وآوتْ إلى الجفافِ الحقولُ
أسفاً لم تدعْ لنا الحربُ شيئاً	وتلاشى الحُلمُ الطرُوبُ الجميلُ

من ترى يحرثُ الحقولَ ويشدو	أغنيات المراح وقتَ الحصادِ
أين لهوُ الأطفالِ عند البحيرا	تِ وفوقَ الشلوجِ فى الأعيادِ
أين؟ ضاع الخيالُ والحلمُ الفنا	تنُ ضاع الجمالُ ضاع الرخاءُ
ليس إلا دنيا من الجوع والفقد	ر عليها يمدُّ الأبرياءُ
يا قلوب الأطفال لا تخفى الآ	ن حنيناً لن يرجعَ الآباءُ
هكذا شاءتِ السنينُ فرفقاً	بميون قد عضَّ فيها البكاءُ

عيون الأموات

يا رُفَاتِ الأمواتِ فى الأرضِ ماذا أى رعبٍ وحَسْرَةٍ وشكَاةٍ	رَسَمَ الموتُ فوقِ هذى العيونِ؟ أى معنىٍ من الرجاءِ الحزينِ؟
كل عَيْنٍ فيهما صور تب كل عَيْنٍ تَسْخَرَانِ مِنَ الْعَيْدِ	كفى وترثى للعالمِ المغرورِ ش وتستهزآن بالمقدورِ
كل عَيْنٍ تنظرانِ إلى الألفِ آه يا ربَّ آه لو فُهمَ الأحـ	قِ بعيداً عن كل ما فى الحياةِ بِأ ماذا فى أعينِ الأمواتِ
يا فتاةَ الخيالِ حسبُكِ شدوا سوف يبقى الخصامُ والشرُّ ما عا	برثاءِ الموتى وحسبكِ، حزناً ش الأناسى والآناسيدُ تَقْنَى
هكذا شاءتِ المقاديرُ للما وهى النفسُ تحملُ الشرَّ والبغـ	لم إثمٍ وشقوةٌ وحُروبُ ض فماذا يُقيدُها التَهْذِيبُ
كم تغنىَ بالسلمِ والحبِّ والرخـ أسفاً ضاعتِ الأغاني ولم تبـ	حمةٍ من شاعرٍ ومن فيلسوفِ ق سوى ضجَّةِ القتالِ العنيفِ

يا لهذا الكون الممذب في قيد	سد من الشر والاذى والاثام
كيف ينجو من الآسى ومتى يشد	فى من الموجعات والالام؟
كيف ينجو والطبع والقدر القا	سى يسوقانه الى الاحزان؟
يا لقلب المسكين ليس له فى	حومة الشر والشقاء يدان
كم أراد السموم عن وهنة الشر	فحالت طباعه الاثامات
كم أراد النجاة من مخلب الغد	رفعزت على مناه النجاة
ما الذى رآه المسيح لكى ينج	زى بما كان ما الذى كان منه؟
ايها العالم الذى اقترف الذن	بأما أن أن تكفر عنه؟
أو لم يكفك الشقاء أما زل	ت مشوقاً إلى حياة الدماء؟
جف نبع الدموع والدم يا كو	ن فهلاً رثيت للاشقياء؟
لذ يبرج السماء من نشوة القت	ل ألا وليختم سجل الرزايا
وليكن من فقدت فى هذه الحر	ب ختام الذين ماتوا ضحايا

أنشودة السلام

أيها السادرون في ظلمة الار	ض كفاكم شقاوةً وذهولا
احملوا نادمين أشلاء موتا	كم ونوحوا على القبور طويلا
ضمخوها بالمطر لقوا بقايا	ها يزهر الكنار والياسمين
واحتفوا حولها بأنشودة السد	م ليها في القبر كل حزين
اجمعوا الصبية الصغار ليشدوا	بلحون الصفاء والإبتسام
أنقذوا الميتين من ضجة الحر	ب ليستشعروا جمال السلام
فيم هذا الصراع يا أيها الأح	ياء؟ فيم القتال؟ فيم الدماء؟
فيم راح الشبان في زهرة العند	ر ضحايا وفيم هذا العداة؟
أهو حب الشراء؟ يا عجب القل	ب! وما قيمة الشراء الفاني؟
في غد رحلة فهل يدفع الأمر	وات بالمال وحشة الأكفان
كل حي غدا إلى القبر مغدا	ه فهل ثم في المات ثراء
افتحوا هذه القبور وهاتوا	حدثونا أين الغنى والرخاء؟

لِ تَوَى الْأَغْنِيَاءَ وَالْمَعْدَمُونَ
مَوْتٍ فَوْقَ الْقُبُورِ وَالرَّاغِبِينَ؟

كَوْنٍ لِلْمَوْتِ وَالْأَذَى وَاللِّعَارِ
يَتَصَبَّبُ عَيْنِيهِ وَهَجُ النَّارِ

فَظَا! يَا لِلْأَوْهَامِ يَا لِلضَّلَالِ
حَمًّا وَهَبُوا مِنَ الْكَرَى وَالْخِيَالِ

حَمَى إِلَى لَيْلٍ عَالَمٍ مَجْهُولِ
لَيْسَ مِنَّا غَيْرِ الْأَسِيرِ الذَّلِيلِ

لَيْسَ يُجْدِي تَضَرُّعٌ أَوْ بَكَاءُ
رِ وَمَا يَسْتَشِيرُهُ الضُّعْفَاءُ

رِ وَنَحْنُ الصَّرَاحِيُّ الضَّعَافُ الْحَيَارَى
فَاتَذَبُوا مَا دَعَاؤُهُ انْتِصَارَا

فَرَّتِ الْحَرْبُ عَنْ غِلَابِ الْمَنَازِ
صَبْرٍ يَا رَحِمَتَا تِلْكَ الضَّحَايَا

انظُرُوا هَاهُنَا عَلَى الشُّوْكِ وَالرَّمَدِ
أَيُّ فَرْقٍ تَرَى وَهَلْ غَيْرُ صَمْتِ الدِّ

عَجَبًا مَا الَّذِي إِذْنُ سَاقِ هَذَا الدِّ
فِيمَ تَحْدُو الشُّعُوبَ أَطْمَاعُ غُرٍّ

نَشْوَةُ النَّصْرِ؟ يَا لِسُخْرِيَةِ الْأَدِّ
أَيُّهَا الْوَاهِمُونَ حَسِبْكُمْ وَهَدِّ

نَحْنُ أَسْرَى يَقُودُنَا الْقَدَرُ الْأَعْدِّ
لَيْسَ مِنَّا مَنْ يَسْتَطِيعُ فَكَأَكَا

أَبْدًا تَأْمُرُ الْإِلَهَالِي وَغَمَشِي
لَيْسَ يَخْشَى الْمَمَاتُ صَوْلَةَ جَبَا

هَكَذَا الْمَوْتُ غَالِبٌ أَبَدَ الدَّهْرِ
وَلَهُ النَّصْرُ وَالْفَخَارُ عَلَيْنَا

أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمُخْرَبُ قَدْ أَسَدِ
شَهِدَتْ هَذِهِ الْقُبُورُ لَهَا بِالنِّ

ثم ماذا يا ساكني العالم المحر	رزون؟ ماذا من القتال جنيتم؟
هل وصلتكم إلى النجوم البعيدا	تِ وهل من كفّ العذاب نجوتم؟
هل تغلبتُم على الفقر والأحد	زان والسقم أيها الواهمونا
انجسوتم من المآثم أم لم	يزل العيشُ فتنةً ومجونا
أسفأ لم تزل كما كانت الأند	حُفُسُ تحيا في إثمها الأبدى
لم تزل خمرة الضلال رجاء الد	آدميينَ في الوجود الشقى
لم تزل في الوجود أغنية الحز	ن يغنى بها الضعاف الجبيع
لم يزل في الوجود مرضى حيارى	أبدأ نعتريهم الأوجاع
كل شئ باق كما كان قبل الد	حرب غير الأيتام والأموات
غير ظلّ من الكآبة والحيد	رة يمشى على ضفاف الحياة
هؤلاء الأيتام بالأمس كانوا	صورة البشر والمراح الجميل
تحت ظلّ الآباء يقضون عيشاً	ما دروا غير صفوه الممسول
وأفاقوا من حلمهم فإذا الاقد	سار حربٌ والكون قتلٌ ونارٌ
يا عيونَ الأطفال لا تسألِي الدند	بيا علام اللظى؟ وفيهم الدمار؟

هولُ لا كان مجدهم لا كانا
عالم الحلو في اللهيب دخانا

كشباباً وفتيةً وكهولا
رسموها فلم تهش طويلاً؟

لم تمتهم قذائف النيران
نأعزأؤكم إلى الاوطان

نفرادي مهشمى الاعضاء
لم يُعدّوا في جملة الأحياء

قاضي عن أهلهم وعن مأواهم
برُشيشاً فيا لنار أساهم

داء بعبد الآلام والأدواء
رلكى يسقطوا أسارى الشقاء؟

يأء في كل قرية وصعيد
هو مفتاح حلمنا المفقود

في سبيل للجد المزيف هذا الد
في سبيل النصر المموء عاد الد

هؤلاء الصرعى على الصخر والشو
كيف كانوا بالأمس أبة رؤيا

أيها الأشقياء في الأرض يا من
عبثاً تأملون أن يرجع الآ

أنظروا ها هم الجنود يعودو
آه لولا بقية من حياة

عبثاً يبحثون في هذه الأند
عبثاً يسألون ما يعلم العا

كيف ذاقوا مرارة الخيبة السو
هل نجوا من برائن الموت والأس

أيها الأشقياء يا زمر الأح
أن أن نستعيد ماضى حب

كان سر القتال والأحقاد؟
شرع في أيدي الخطوب الشداد

ما الذي بيننا من البغض ماذا
أيها الناقمون نحن جميعا

سرّه فهو غيبٌ مجهولٌ
هـ سناها؟ وفيم كان الأفول؟

نحن نحيا في عالم ليس يُنرى
تطلع الشمس كل يوم فما كُنْ

نِ مساء؟ ما كُنْ هذا الوجود؟
دجاء؟ هل خلقه من حلود؟

ما الذي يُطلعُ النجومَ على الكو
أى شئ هذا الفضاء وما سر

هل مصوغاً في صورة الإنسان؟
ذا إذن سرُّ ذلك الطُغيان؟

نحن هل نحن في الوجود سوى الجهـ
كلُّ ما في الأكوان يحكمنا ما

ن وما في الوجود أضعف منا
حقى البراكين والرياح علينا

فيم نطفي؟ وكيف تنسى قوى الكو
ينخر الدود ما نشيد ولا تبـ

ت وغضى السنين يأساً وحرزنا؟
ورد سرعان ما يموت ويفنى

فيم نقضى حياتنا في العداوا
كيف تنسى أنا نعيش حياة الـ

رُ كياناً لكائن بشري
قباد ولنحى في الوداد النقي

لن تدوم الأيام لن يحفظ الدم
فلندع هذه الضفائن والأحـ

البحث عن السعادة

قد بحثنا عن السعادة لكنْ	ما عشنا بكوخها المسحورِ
أبدأ نسأل الليالى عنها	وهى سرُّ الدنيا ولغزُ الدهورِ
طلما حدثوا فؤادى عنها	فى ليالى طفولتى وصبايا
طلما صوروا لمينىَّ لقيها	ها وألقوا أنباءها فى رؤيا
فهى أنا ليست سوى المطرِ والأد	وانِ والأغنيات والأضواءِ
ليس تحيا إلا على باب قَصر	شيدته أيدى الفنى والرخاءِ
وهى أنا فى الصوم من مُتَع الدنـ	يا وعند الزهادِ والرهبانِ
ليس تحيا إلا على صخر المعـ	جدٍ بين الدعاء والإيمانِ
وهى حيناً فى الإثم والمتع الدنـ	جا وفى الشرِّ والأذى والخصامِ
ليس تصفوا إلا لقلب دنىءٍ	لائذٍ بالثـشـرور والآنـامِ
وهى فى شـرع بمضهم عند راعٍ	يصرف العمر فى سفوح الجبالِ
يتفننى مع القطيع إذا شاـ	ء ويغفو تحت الشَّذى والظلالِ

وهى فى شرع آخَرِينَ آبَةُ العُزِّ
ليس تحيا إلا على فم غريرِ
لَهِ والفنّ والجسمال الرفيع
يدِ يغنى أو شاعرٍ مطبوعِ

وهى حيناً فى الحبّ يلهمها سَهْدُ
ليس تحيا إلا على شفة العا
مُ كيويد قلبَ كلِّ محبِّ
شق يشلو حياته لحنَ حُبِّ

حدّثونى عنها كثيراً ولكن
لم أزلْ أصرفُ الليالىَ بحثاً
لم أجدها وقد بحثتُ طويلاً
وأغنى بها الوجودَ الجميلاً

مرَّ عمرى سدى وما زلتُ أمسى
لم أجدْ فى الرمالِ إلا بقايا الـ
فوقَ هذى الشواطئِ المحزونة
شوك! يا للأمنيةِ المنجونة

أين اصداقك اللوامعُ يا شطُّ
هاته رحمةً بنا، هات كنزاً
إذن أين كنزك الموعودُ؟
هو ما يرتجيه هذا الوجودُ

هاته حسبُ رملك البارد القفا
يا لحلمٍ نزيدُ منه اقترباً
سى خداعاً لنا وحسبكُ هُزءاً
وهو ما زالَ أيها الشطُّ يتأى

لم تعد قصة السعادة تغريد
عبثاً أرغى العشور على الكند
بنى فدعنى يا شاطئِ الآهاتِ
زفلا شئٌ غيرُ صمتِ الحياةِ

أين من هذه الحياة ابتساما
كيف يحيا فيها السعيد وليست
تُ الأمانى ونشوة الأفراس؟
غير بحر تحت الدجى والرياح

طال بحثى يا رب أين ترى ذا
ليس حولي إلا دياجير كون
ك السعيد الجذلان أين تراه؟
ليس يقنى بكاؤه وأساه

كل يوم مبيت يسير به الأح
يا لأسطورة الخلود فما الخا
بياء باكين نحو دنيا الظلام
لد غير القبور والآلام

يا دوى الشوآح فى الأرض آيا
ومتى ينتهى الشقاء متى ير
ن يكف الباكون والصارخونا؟
تاح كون ذاق العذاب قرونا

عالم كل من على وجهه بشد
جرعته السنين حنظلها المر
حقى ويقضى الأيام حزنا ويأسا
فعاف الحياة عيناً ونفسا

إيه أسطورة السمادة هاتى
أين ألقاك؟ أين مسكنك المر
حدثنى عن شرك المنشود
موق؟ فى الأثق أم وراء الوجود؟

سرت وحدى تحت النجوم طويلاً
أسفاً لم أجلك فى الشاطئ الصخر
أسأل الليل والدياجير عنك
رى حيث المياه تفتأ نبكى

تَحْتَ عَيْنِ الْإِيَّامِ وَالْأَقْدَارِ
بِجَنُونِ الْأَنْوَاءِ وَالْأَعْصَارِ

ثِي وَلَاعْشَبَ فِي جَدِيبِ الْمَرَامِي
بُخْلَ دَهْرٍ مَزِيْفٍ خَدَّاعٍ

هَوْبٌ يَهْوَى فِي عَشَّةِ الْمَضْفُورِ
حِ وَيَتَوَى الْقَمَرَى بَيْنَ الصَّخُورِ

لِحَيَاةٍ سَوَادُهَا لَيْسَ يَقْنَى
هُوَ سَخَرِيَّةُ الْمَقَادِرِ مَنَا

جِيَاء: مَاذَا تَحْتَ الدُّجَى تَبْتَغُونَا؟
فَانْظُرُوا يَا مَعْشَرَ الْحَالِمِينَ

حَيْثُ تَبْقَى الْأَشْوَاكُ وَالْوَرْدُ يَنْوِي
حَيْثُ يَقْنَى الصَّفَاءُ وَاللَّيْلُ يَأْنِي

حَيْثُ تَقْضَى الْأَغْنَامُ أَيَّامَهَا غَرَّ
أَبْدَأُ تَتَبَعُ السَّرَابَ وَتَشْكُو

حَيْثُ يَحْيَا الْغُرَابُ، وَالْبَلْبَلُ لِلْمَوِّ
وَيَقْنَى الْبُومُ الْبَغِيضُ عَلَى الدَّوِّ

حَيْثُ تَبْقَى الْغَيُومُ فِي الْجَوِّ رَمَزاً
حَيْثُ تَبْقَى الرِّيحُ تُصَفِّرُ لَحْناً

حَيْثُ صَوْتُ الْحَيَاةِ يَهْتَفُ بِالْأَحَدِ
انْظُرُوا كُلُّ مَا عَلَى الْأَرْضِ يَكُنِي

بين قصور الأغنياء

سرتُ بين القصور وحدى طويلاً	أسألُ العابرينَ أينَ الطروبُ؟
فإذا فتت القصور ستاراً	خادعٌ خلفه الأسَى والشحوبُ
لم أجد في القصور إلا قلوباً	حائزات وعالمات محزونا
ليس إلا قوم يضيقون بالآيد	سام ضيقُ الجياع والبائسينا
ليس ينجيهم الغنى من يد الأشد	جانٍ ليست تُنجيهمُ الكبرياءُ
ليس يعفو المماتُ عنهم فهم حز	نٌ وصمتٌ وحيرةٌ وبكاءُ
كم وراء القصور من مقل تب	كفى وتشكو قساوة المقلوبِ
كم قلوبٌ تودُّ أن تبذل القصـ	رَ بكوخٍ على حِفاف الغديرِ
إن يكونوا نجوا من الجوع والفق	ر ولم يفترسهمُ الحرمانُ
فلقد طلما أحسوا بجوع الـ	روح واستمبذتهمُ الأحزانُ
إن يكونوا يقضون أيامهم يـ	من الحريرِ الملونِ الجذابِ
فغداً تعبّرُ الدهورُ وهم مـو	تّى على الشوكِ والحصى والترابِ

هواء ما يُرجع الظلام ضياءَ
ظلمة الليل بكثرة ومساءً

إن يكن في قصورهم من سنا الأضد
فغداً يخمد الضياء وتبقى

ن إذا طاف بالقلوب دجاء
مُفرقاً في أنيته وبُكاه

ليس تُتجى القصور من ريقه الحز
كم غنى يقضى الحياة شقياً

حوال لا يستطيع دفع الشقاء
غنياً بساعة من هناء

كل ما في هذا الوجود من الأمد
كل تلك الكنوز ما غمرت قط

د جمال القصور يحلوا لعيني
لم أجد غير ظل يأس وحزن

يا طريقى ملئى المشية ما عا
لم أجد ومضة السعادة فيها

عند الرهبان

سِرُّنا نحو ذلك المعبّد القّا
سِرُّنا سرّ بنا لعلّ لدى الرُّه
ثم فوق الصخّور بين الجبال
بيان سرّ النعيم والآمال

هؤلاء الرُّهّاد في القنّة البّيب
علّهم يعرفون ما قد جهلنا
ضياء حيث الصفاء ملء الوجود
عن شهاب السعادة المفقود

قد سألت الرهبان عن كنزنا السّخّ
لم يُجِبْنِي منهم سوى صوتٍ محزو
رى لكن لم ألقَ منهم جواباً
نِ يفتنى ويجرّعُ الأوصابا

لم أجد في تلك الصوامع غير الـ
لم أجد غيرَ وحشةٍ تبعثُ اليأس
أوجهُ الشاحباتِ والديجورِ
سَ وصمتٍ كمثل صمتِ القبورِ

هؤلاء الأشباحُ ماذا تراهم؟
فيم جاءوا هنا وأيّةُ سلوى
آدميّونَ أم بقايا طُيوفٍ
وجدوها ما بين هذى الكهوفِ

في بعيدِ الأفاق تحت دياجير
حيثُ ما زالت الحياةُ كما كا
بر وجودٍ تمضي الكأبةُ فيه
نت على عهدِ آدمٍ ونيه

حيث لا زهر لا عرائش لا أشد
لا جليلٌ فيه سوى موتٍ حيٍّ

جدار لا شئَ غير هذا السكونِ
من بنيه ما بينَ حينٍ وحينٍ

أيها الراهبُ الذي يقطعُ العُمْدَ
هاتِ حَدَّثِي العشيَّةَ عما

رَوحيداً في كوخِ المكفهرِ
عند دنيالك من نعيمٍ وبشرٍ

حدِّثوني عنكم فقالوا حياةً
عجباً أين ما يقولون؟ ما لي

من نعيمٍ وأنفسٍ من نقاءِ
لا أرى غيرَ حَيَرَةِ الأشقياءِ

ما الذي عندكم من البشر والأف
ليس إلا عُمُرٌ يمرُّ حزيناً

راح؟ ماذا يا أيُّها الزاهدونا؟
يتهاوى كآبَةً وسُكُوناً

حدِّثوني عنكم فقالوا قلوب
ونفوسٌ صيغَتْ من الزهرِ والمط

نُسجتُ من نقاوةٍ وثراءِ
رِ وهامت مع السَّنا والنَّقاءِ

أين هذا الذي يقولونَ عنكم
إسمُ (تاييس) لم يَزَلْ يملأُ الكو

نَ فإينَ الذي أضلَّتْ خُطاهُ؟
أيُّها الراهبونَ؟ أينَ تراهُ؟

ما نَسِينَا غَوَايَةَ الرَّاهِبِ الْمُسَدِّ
يا له بائساً بابنة الإثمد
كَيْنِ فِي حَبُّهَا، وَكَيْفَ هَذَا!
سَمَّ إِلَى قَمَّةِ السَّمَاءِ وَتَاهَا

أَيُّهَا الرَّاهِبُونَ لَنْ تَنْبِتَ الْأَزْ
عَبْثاً تَهْرَبُونَ مِنْ مُفْزِيَّاتِ الدِّ
هَارُ وَالْمَطَرُ وَالسَّنَا فِي النَّفْسِ
عَيْشِ كَمْ فِي الْوُجُودِ مِنْ تَائِسِ

لَنْ تَذُوقُوا شَهْدَ السَّعَادَةِ مَا دَمَ
كُتِبَتْ هَذِهِ الطَّبِيعَةُ لِلْأَحَدِ
سَمَّ أَنْسَى مِنْ تَرَابٍ وَمَاءِ
يَاءِ أَنْ يَكْرَعُوا كَوْوَسَ الشَّقَاءِ

أَوْ تَنْسَوْنَ أَنْكُمْ لَمْ تَزَالُوا
لَمْ تَزَلْ فِتْنَةُ الْوُجُودِ تَتَادَبِ
مِثْلَمَا كُنْتُمْ حَيَارَى حَزَانَى
كَمْ وَتُهْفِكُمْ إِلَى مَا كَانَا

لَمْ تَزَلْ ذِكْرِيَّاتُ أُنْسِكُمْ الْمَهْ
وَخِيَالٌ مِنْ عَالَمٍ فَاتِنِ الْأَلْ
جُورِ نَحْيَا فِي الْأَنْفُسِ الْمُحْزُونَةِ
وَأَنْ مَلَأَ الْمُشَاعِرِ الْمَغْبُونَةِ

أَيُّهَا الرَّاهِبُونَ مَاذَا إِذَنْ نَفْ
أَهْ عُودُوا إِلَى مِصَارِعَةِ الدَّمِ
عُ اعْتَزَالِ تَشْوِيَهُ الصَّبَوَاتُ
رَ وَعِشُوا كَمَا تَشَاءُ الْحَيَاةُ

أيها المعبودُ الحزين وداعاً
لم أجدُ في حِمَاكَ زهرةَ أحلا
أنت يا من لاذتُ به آمسالي
مى فيا ضَيِّعَةَ السُّرَى والكلالِ

لم أجدُ زهرةَ السَّعادةِ والأند
أه ضاعتْ أيامُ عُمري وما زَا
سراحِ عند الزَّهَادِ والراهبينا
لَ شِراعى يطوى فراغاً حزيناً

عند شط الحياة ألقىْتُ مَرَمَى
أرقُبُ الساترينَ فى الشاطئِ الصخ
زورقى فى الضبابِ تحت الظلامِ
سرىً بين الوهادِ والأكامِ

أين القاكِ يا سعادة؟ هاتى
طال تيهى فنبئينى متى يب
حلتينى فقد بحثُ طويلاً
بلغُ قلبى مقَرَّكَ للمجهولِ

أولم أقطعِ البحارَ إلى الرُّف
أولم تُنكرِ الفضيلةَ ألوا
جبانِ والزاهدينَ فى الصَّحراءِ
نَكَ يا لهفتاه ضاع رجائى

مع الأشرار

قد رقيتُ الأشرارَ حيناً فلم أحم
فهمُ البائسونَ تطحنهم أيد

ورأيتُ الطفلةَ يحيون محزو
ليس يشفيهمُ من الحزن واليأ

فإذا أحمدا هتافات مظلوا
ذلك الراقبُ الإلهي في النف

أبدأ ساهرٌ يراقبُ أقدا
أبدأ يرمقُ الحياةَ من الأعد

فإذا حادت القلوبُ عن الخي
فهو الناقمُ النبيلُ على الشرِّ

كيف ينجو الأشرارُ من شقوة الرو
لا ملاذ من حاكم يملكُ الرو

شر لديهم على سناك الحبيب
لدى الليالي بما جنوا من ذنوب

نمين بين الأوهام والأشباح
من دواء فالدهاء في الأرواح

م فما يخدمون صوت الضمير
من لسان الهدى وصوت الشعور

ر الليالي وسطوة الأيام
حاق، مستهزئاً من الأعوام

ر علا صوت ذلك الجبار
وقاضى الطغاة والأشرار

ح وصوت الضمير بالمرصاد
ح بما في كفيه من أصفاد

عجباً أين تلتقيك حباتي؟
جبتُ هذا الوجود أبحتُ لكن

يا ضفاف السعادة المنشودة؟
لم تزالِ الحقيقةُ المفقودة

جهلتك الدنيا فلا أحدٌ يع
كلُّهم يسألون عنك ولكن

لم ما أنت واقعٌ أم خيالٌ؟
لم تحدثَ بسرِّكَ الأزالُ

ها أنا ذى حملتُ قلبي على كَفِّ
أسألُ العابرينَ هل فيهمُ من

سى وسرتُ الحياةَ أبحتُ عنك
قد روى قلبهُ المشوقُ منك

فى الريف

عند هذى الأكواخ شاعرتى ألد
أنظرى أى عالم فاتنِ المجد
فى المراسى تحتَ الفضاءِ الصاخبِ
لى بعيدٍ عن ضَجَّةِ الأتراحِ

أنظرى علّنا بلغنا أخيراً
بعدَ ليلٍ من المسيرِ طويلٍ
ذلكَ الشاطئَ الذى نتمنى
ضاعَ فيه عمرى كلالاً وحُزناً

أنظرى أنظرى هنا العُشبُ الأخـ
عندَ نبعٍ من قُتّةِ الجبلِ الأبـ
ضرُّ نشوانٍ فى سُفوحِ الجبالِ
يضى يَجْرى تحتَ السُنا والظلالِ

الصباحُ الجميلُ قد توجَّ الود
ما أحبُّ الحَيَاةَ فى هذهِ الجندِ
يان بالضوءِ والجمالِ البهيجِ
ةٍ تحتَ الضياءِ بينَ المروجِ

ما أحبُّ الصفاءَ يحتضنُ الأشجـ
ما أرقُّ الأزهارِ فى مَهْدِها الورـ
جدارَ والواديَ النضيرِ الخصيبـ
دى ما أعطرَ الرُبى والسهوبـ

كلُّ شئٍ فى هذهِ الجنةِ الحُلـ
ها هنا شاطئُ السعادةِ هذا
سوةِ يوحى بأننا قد وصلنا
حُلْمُ قُلُوبِنا فما ألدَّ وأهنا

نَمَّ صَفَاءُ الْحَيَاةِ بَعْدَ أَسَاهَا
مَرٌّ بِالْقَلْبِ بِأَكْيَأَ أَوَّاهَا

نَا غِنَاءُ الرُّعَاةِ عِنْدَ الْجِبَالِ
لِي يُغْنِيَ عَلَى تَلَوْلِ الرِّمَالِ

لِي وَالْفَجْرُ وَالنَّدَى وَالنَّسِيمُ
يَ وَالطِّيفُ وَالصَّدَى وَالْغَيْومُ

لَا نَاسِيْنَ حَادِثَاتِ الْحَيَاةِ
كَأَنَّ الْحَيَّ مِنْ خِيَالِ الْمَاتِ

فَنَسِيمِ الْأَسَى وَفَسِيمِ الْبُكَاءِ؟
نَامَ يَوْمًا؟ وَهَلْ تَعْرِى الْقَضَاءُ؟

بُ جَمَالَ الدُّنْيَا وَسِرَّ الْخُلُودِ
مَدُّكُمْ فِي الْأَعْشَاشِ مِنْ غُرَيْدِ

رَفَانٍ تَقْنُ فَالشَّلَى غَيْرُ فَنَانِ
يَوَانَ مِنْ بَعْدُ فِي فُضَاءِ الْمَغَانِ

فَلْتَطْفُفْ بِالْعَرَائِشِ الْخُضْرُ فَلْتَقَدْ
فَلْتَجِفْ الدَّمُوعُ فَلْيَمُضْ أَمْسٌ

وَلْنَمُشْ لِلصَّفَاءِ يَفْتَنُ دُنْيَا
وَنَشِيدُ تَدِيرُهُ شَفَتَا طَفَا

وَقَطِيعُ الْأَغْنَامِ فِي الْمَرْجِ نَحْتِ الظِّ
وَلِيَالِي الْحَصَادِ وَالْقَمَرُ السِّحْرِ

فَلْتَقْضُ الْحَيَاةَ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ
هَاهُنَا فَتْنَةُ الطَّبِيعَةِ تُنْجِي الدَّ

هَاهُنَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَفْهَمَ السَّرَّ
هَلْ خَلَّتْ هَذِهِ لِلْجَالِي مِنَ الْأَعْدِ

هَاهُنَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ الْقَلْدِ
كُلُّ حَيٍّ بَاقٍ فَلِنْ مَاتَ غُرَيْدِ

هَاهُنَا كُلُّ زَهْرَةٍ تَبْعَتْ الْعَطْ
كَمْ زَهْوٍ سَتَشْرُ الْمَطَرُ وَالْأَلْدِ

ممن نَحْوِ الْمَغِيبِ كُلِّ مَسَاءٍ
شَاعَرِيُّ الْأَلْوَانِ وَالْأَضْوَاءِ

رَرٍ وَنَحْنُو عَلَى مَجَارِي الْجُدَاوِلِ
بِهَارٍ فِي الْمَاءِ تَحْتَ ظِلِّ الْحِمَائِلِ

هَانُ؟ أَيْنَ الْفَلَاحُ وَالْقُطْعَانُ؟
وَأَيْنَ الْأَمَالُ وَالْأَلْحَانُ؟

سَاكِنِيهِ وَأَيُّ وَادٍ حَوَاهِمُ؟
مَنْ أَطَلَّتْ؟ وَمَا تَرَى نَجْوَاهِمُ؟

شَيْءٌ يَمِيدُ عَنْ قَسْوَةِ الضَّرَاءِ
لَا أَمُّهُمْ كَسَائِرِ الْأَشْقِيَاءِ

مَدَّ وَلَهُوْنَ فِي لِيَالِي الْحَصَادِ
سَمٌّ بَيْنَ الْمَطُورِ وَالْأَوْرَادِ

هَوْنٌ بَيْنَ الْجَمَالِ وَالْأَحْلَامِ؟
أَمْ تَرَانِي أَمْسَعَنْتُ فِي أَوْهَامِي

هَاهُنَا إِنْ يَسِرْ أَبُولُو بِضُوءِ الشَّمْسِ
فَالنَّجُومُ الْمَلَائِكَةُ جَمَالُ

هَاهُنَا تَنْطِقُ الْعِمْرَاتُشُ بِالشَّمْسِ
هَاهُنَا تَسْتَحِمُّ إِلَهَةُ الْأَنْدِ

كُلُّ شَيْءٍ حُلُوٌّ فَإِنَّ تَرَى السَّكْ
فِيمَ لَا يَمْلَأُونَ عَالَمَهُمْ لَهْ

سَرْتُ فِيهِ وَحْدَى أَسْأَلُهُ عَنْ
أَيُّ لَحْنٍ يَرْتَمُونَ إِذَا الشَّمْسُ

كَيْفَ يَحْيُونَ فِي صَفَاءِ مِنَ الْعَيْدِ
أَظَلَّنَهُمُ السَّمَادَةُ بِالْأَحْدِ

أَتَرَاهُمْ يَرْتَمُونَ الْأَغَارِيدِ
تَحْتَ ضُوءِ النُّجُومِ وَالْقَمَرِ الْبَا

أَتَرَاهُمْ أَوْلَتْكَ الْبَشَرُ اللَّا
أَتَرَاهُمْ كَمَا تَخِيلُ قَلْبِي؟

يا رُعاة الأغنام في السفح عند الذ
حدثوني عن أغنياتكم الجذ
بيع بين العرائش السندسيه
لّي وعن بسمة القرى الشاعريه

حدثوني عن الربيع إذا مرّ
حدثوني عن الحصاد ومجنى الد
على هذه القرى والشطوط
زهر والبرققال والبلوط

حدثوني ما لي أراكم حزانى؟
كل راعٍ جهم الملامع لا يشد
كل راعٍ في وحشة واكناب
لحو ولا يزديه سحر الغاب

أنت يا أيها الحزين أجبن
أى قبيد من المرارة واليا
أى حزن في مقلتيك أراه؟
س أظلتك يا كئيبٌ يده؟

كيف يشقى من فى حمى هذه الجذ
كيف يشقى الراعى وبين يديه
ة يحيا ونحت هذى السماء
جنة من مفاتن وضياء

أسفاً قد خدعت لم تصدق الأح
لم أجذ عند ذلك الشاحب
سلام فيما رسمن من أفراح
الصامت إلا مرارة الأقداح

فهو عند ينبوع ينظر فى الظل
ممعناً فى الجمود والصمت كالو
إلى الأفق شاحباً مصدوماً
ننى يتأجى الفضاء يرعى الغيوم

لم تزل قُربَهُ على العُشبِ النا
هو ذاك الراعى الصغيرُ الذى را
دى عظامُ لكائنٍ مقتولٍ
حَ طعاماً للذئبِ بين الحقولِ

إيه راعى الأغنامِ يا أيُّها المقد
كيف ماتَ الراعى ولم تَمُتِ الأغد
تولُ فوق العُشبِ الندى النضيرِ
نامُ يا لَلْمَقْدَرُ الْمُسْطَوِرِ

يا لحكمِ الأقدارِ يا راعىَ الأغد
كيف تَفْنَى الأشواكُ حارسَةَ الزهد
نامُ يا ظَلَمَ ما تُريدُ الصرُوفُ
رِ ويَقى الوردُ الرقيقَ الضعيفُ؟

إنها قصَّةُ الطبيعةِ يا را
إن تكنُ قد قُتلتُ فالشارُّ باقٍ
عى قَتالٌ وأدمعٌ وشكاةُ
وغداً تَقْتُلُ الذئبُ الرُعَاةُ

نازعَتنا البقاءَ فى هذه الأر
فلنا النصرُ مرةً ولهم أخذُ
ضِ وحوشُ الأحراشِ والأطيارُ
رى كما تبتغى لنا الاقدارُ

فمراءٍ يا أيُّها الجَسَدُ المص
قد بكاكُ الراعى الصديقُ وما زا
روحُ فى غمرةِ الكرى الأبدى
لَ غريقاً فى حُزنِهِ الأخوى

لم يَزَلْ جامداً على حافةِ النب
يرقب الماءَ شاكياً قسوةَ الاق
مع وفى مقتلتهِ دمعُ الشجونِ
مدارِ مستكرأ ضلالِ المنونِ

نام حيرانَ في ضَبَابِ الوجودِ
غى مُشبحاً عن الشذى والورودِ

خولَ والذئبَ فاستردَّ أمه
هولَ ماذا ترى يعيدُ صفاهُ؟

هى ويا ضَيعةَ السنا والجمالِ
صافٍ والوردِ فى سُفوحِ الجبالِ

ويلفُ الجبالَ بالأخزانِ
رددتهُ ضفادعُ الغدرانِ

هى تعالى تحتَ الدُجى المنشورِ
سارُ فى الأرضِ بين صَمَتِ القبورِ

رِ وجُوعِ وتبسمِ الأضواءِ
نَ كأنَ ليس فى الحياة شقاءُ

بقرية البائسين من آلامِ
رَعشاتِ ولوعةٍ وسَقامِ

صامتاً ساهماً بعيداً عن الأذى
رازحاً تحتَ وطأة الأثمِ الطامِ

كلما جفَّ دمعهُ ذَكَرَ المَقْدَمِ
يا لأحزانهِ المُلحَّاتِ يا لِدَمِ

السَّنا والجمالِ؟ يا حَيرةَ الرا
بعد حينٍ ستعصفُ الريحُ بالصَفَدِ

بعد حينٍ يأتى المساءُ كئيباً
ويسودُ السكونُ غيرَ هُتافِ

غيرَ صوتِ النشيجِ فى قريةِ الرا
غيرَ صوتِ القَدومِ يُعملُهُ الحَفَدِ

ثم يمضى الليلُ العميقُ إلى غيبِ
ويعودُ القَمَرُ يَصُدِّحُ جَدلاً

غيرَ دارٍ ماذا يَمُدُّبُ أهلُ الدِ
غيرَ دارٍ ما خلفَ أكوأخهم من

ما وراء الأكواخ من حِرمَانِ
ليس يدرى مرارة الأحزانِ

ليس يدرى القُمرىُّ لا ليس يدرى
ليس يدرى أن الطبيعة تَقسو

بين هذى من وحشة وظلام
سودَّ من لهفةٍ ومن آلامِ

ليس يدرى ماذا وراء بيوت الط
ليس يدرى ماذا يهزُّ الخيام الـ

سلاح فى كوخهِ وليس يراه
ضى عليه وما يغيبُ أساهُ

ليس يدرى القمرىُّ ما يُخزنُ الف
ليس يدرى أن الأماسى قد تمـ

نُ باهلِ الأكواخِ كلَّ شتاءِ
ج وتطفئُ عواصفُ الأجواءِ

ليس يدرى ما يفعلُ الجوعُ والحز
حينما تغمُرُ الثلوجُ تُرى المر

رى يموتُ القطيعُ موتَ غَيبِ
لوز والبرتقال والياسمينِ

حينما فى حضائرِ القرية الحـ
حينما تُذبلُ المواصفُ زهر الـ

قمح يا رحمتاه بالفلاحِ
فى ظلامِ الأكواخِ كلَّ صباحِ

حينما تدفنُ الثلوجُ حقول الـ
حينما بصرخُ الجلياعِ الحيارى

سُوح طرُ عن هذا الوجودِ الأليمِ
واحى أنتَ الجذلان بين الفسيومِ

أيتها الصادحُ المفردُ فوق الـ
دعُ أساهُ يا طيرُلى أنا وحدى

دفعه لى دَعْ آمَالَ قَلْبىَ تَذِيل
دع فؤادى يَعدُ إلى ظُلْمَةِ الأحـ

بعد بحسب الطويل فى الكون عنها
رَزانِ واخلى يا بلبلِ أنتَ منها

خَبِثَ هذه القُرَى حُلُوَ أحلا
ليس يدرى الراعى المَلُوبُ ماؤا

مى فلا رَسَمَ للسعادة فيها
ها ولا كان مرةً من بينها

خلدتلى الأوهامُ ليس لدى الرا
فهو ذاك المكدودُ تصهرهُ الشمـ

مى رخاءُ الحَيَاةِ ليس لديه
سُوقُ ويقسو الحَصَى على قَدَمَيْهِ

يَتَمَنَّى أن لو تبسَّلَكَ بَيْتُ الطـ
وَيُرِيدُ الحَيَاةَ لهوًا فلا اغـ

حين قصرأ على حفافِ المدينة
نَامَ تشغو ولا نُفُوسَ حَزِينَةٍ

يا لوهم المسكين، كم من شقى
ليس للمال أن يُثَبِّقَ فؤاداً

فى ظلال القصور كم مصلوم
بشرى معنى الرضى والنعم

يا سفينى ما عاد فى القرية الحد
ليس تحت الصنفاص إلا بيوتُ الطـ

حوة مرسى لنا ففيم البقاء
حين والسُقم والطوى والبكاء

أقلعى أقلعى بنا قد سئمتنا
قد رأينا الدموع فى كلِّ عينٍ

صَرَخَاتِ الجِياع فى كلِّ شُعبٍ
وشَهْنَتِ الشقاء فى كلِّ قلبٍ

ما الذى يا سفين يُغرى بأن نبـ
هل وجلنا طيفَ السعادة هل فى
بقى إذن؟ ما الذى نرى يُيقينا؟
هذه الأرضِ فرحة تُغرينا؟

بين الفنانين

انشرى يا سفينُ أشرعةَ السيد	ر وشُقَى عُبابَ هذى الحياةِ
ثم ارمى بنا على شاطئِ الفنِّ	ويبين الأشعار والأغنياتِ
علَّنا واجدونَ فى ذلك الشا	طى ظلَّ السمادةِ المُنمى
علمهم قد ترشَّفوا شهداءَ السا	حرَ حتى صاغوه شعراً وفناً
طلما صوِّروا لأحزانهم ما	قد دَعَوْهُ بنشوةِ الفنانِ
طلما حدَّثوا عن الأملِ الخلد	سوِ وغنَّوا بالنور والألوانِ
فلنقف عندهم إذن ولترقبْ	ركبَ أيامهم وكيفَ تمرُّ
أتراها ليلٌ ودمعٌ وحزنٌ؟	أم تراها فجرٌ وضحكٌ وبشرٌ؟

مأساة الشاعر

قد هبطنا في شاطئِ الشعرِ والفنِ
ها هو الشاعرُ الكثيبُ وحيداً
فماذا فيه من الأفراح؟
تحت سمع الأصال والأصباح

أبدأ سـامـمٌ يراقبُ آيـا
لا يرى الواهمون غير ضحـاها
مَ حياة لاتنقضي بـلـواها
ويمعشُ الفنـانُ تحت دُجـاها

يرقبُ الأشقياءُ في ظُلْمة العـشـ
ويمصوغُ الألمانُ يرثى لبـلـوا
شـ ويـكـى لهم بكاءَ غـبـينِ
هـم ويـكـى على الوجودِ الحـزـينِ

طالما باتَ ساهـدَ الطرفِ حـيرـا
لا يـرى في الحـياة إلا وجـوداً
نَ يُسـرُّ الظلامَ أحـزانَ شـاعـر
ظَلَلَنـهُ يـدُ الشـقاءِ العـاصـرِ

أبدأ لا يـرى سـوى مـسـرحِ المـا
ومستاراً من الدُجـى يتجلى
ساة بين الدموع والتهـيـد
كلَّ يومٍ عن مُـيـتٍ وولـيـدٍ

واكتئاباً يمشى على صور الكـو
ودموعاً تلوحُ في كل عـيـنـيـه
نَ جـمـيـعاً ولوعاً وشـقاءَ
نَ ودهرأ يخادعُ الأحياءَ

قلب حيران في هموم الحياة
عمر دمع الأسي على المأساة

لوزر أن الأسي العميق عليه
جال دمع الرثاء في مقلتيه

روعين قد طهرت بالدموع
سرّها غير شاعر مطبوع

لّة صُصراً، يمرّ كالآزال
غير صوت الصرّار تحت الليالي

حسّ أو لحن بلبل مهجور
يحّ وصوت الرعود في الديجور

عسر في ليله الطويل الجديب
أبدأ في حمى الأسي والشحوب

لّ وحيداً مستغرقاً في الجمود
(أبولو) ووحشيّه المنشود

ليس يلقى الحياة إلا حزين الـ
كلما أنّ باتس ذرف الشا

وإذا أذبل الجليسد زهو الـ
وإذا ماتت البلابل ظمأى

فهو قلب قد صيغ من رقّة الزهر
وحياة حسامة ليس يدرى

هي عمر ظمآن تمصّره العزّ
في سكون لا صوت يُسمع فيه

غير همس الحمام في الجبل المو
وحفيف الأشجار في قبضة الر

غير همس الأشباح ملء دجى الشا
يتلقى الأشعار عنها ويحيا

أيها الشاعر الذي يسهر اللب
مُحرقاً روحه بخوراً على حبّ

ساعداً حانياً على القلم الشا	عر يرثى الدجى ويكى السنيناً
راسماً للحياة صورتها المرّ	ة بين الجبّاع والبائسينا
أطفئ الضوء أيها الشاعر المت	عبُ وارحم فؤادك الموجدوا
كاد يخبو ضوء السراج وثاني	ظلمات الدجى عليه جميعا
رقد العالمُ الممذّبُ تحت الد	ليلٍ فارقد وأترك بقايا التشديد
حسبك الآن ما سهرت مع الحا	رمٍ ترثى ليلته المكلودِ
قد أوى الحارسُ الكتيبُ إلى الكو	خ إلى غمضة الكرى والطيوفِ
فكفّ يا حزينُ عطفاً على الكو	ن ورفقاً بقلبك الملهوفِ
عجياً كيف تُسهر الشاعرُ المُلد	همَ أحزانٍ من عن الحزن ناموا
كيف ترقا مدامُ الورد في الحقد	مل ويكى على أساها الحَمَامُ
آه يا شاعري الممذّبُ ماذا؟	أكذا تصرف الحياة غبيناً؟
في سبيل الوحي السماويّ تحيا	شاحب الوجه متعباً محزوناً
بعتَ بالشعر لهوَ أيامك الظمأ	ى وعُفت الحياة عيناً وقلبا
ونذرت الشبابَ والحبَّ للفن	لتحيا على الجراح مُحباً

ليس يعنك أن تراقبك الأحـ
ليس يُرضيك غيرُ لحنِ تغنيـ

زانُ ما دمت مُلهمًا صَدًا
هـ وإن صفتَه أسيّ ونواحا

ليس تُعطى الحياةُ للشاعرِ المجد
ليس تسمو الأرواحُ إن لم تظهرْ

مد إذا لم يَنقُ هموم الحياةِ
ها معاني اللامع والاهاتِ

فيذا أشحبَ الأسيّ وجنةُ الشـ
وإذا عضَّ قلبه مُخلبُ الحزـ

عمر أو بات ليلةُ أوأما
ن وضاعت حياته بأساها

خاطبتهُ الحياةُ: يا شاعري اللـ
النجومُ الوضاءُ لا تبعثُ السحـ

هم يا ابن الشحوب والآلامِ
ر إذا لم يُسدلْ سَـارُ الظلامِ

والذي يجمعُ الزهورَ يدوسُ الـ
والذي يعشقُ الطبيعة لا يثـ

شوك يا شاعري ويمشي عليه
قلُ صمتُ الدجى على منمعيه

فاحتمل ما استطعتَ أحزانَ عمر
وادفنِ النورَ في جفونك مَيّتاً

هو لولا الأحزانُ ما كان شيئاً
وابعثِ الشمعَ من فؤادك حياً

غنّ هذا العذابَ صف الحياة النـ
صف لهم كيف يصرفُ العمرَ حيرا

اس ماذا يُبكي فؤادَ الشاعرِ
ن ويحيا على أساءِ العاصرِ

صفّ لهم ذلك الصراعُ صراعَ الـ
كلّما أخفتَ النعيمُ صراعَ الـ
فكر والقلبِ فى ظلامِ الحياةِ
قلبُ ضجّ الفكرِ الآتِى العاتِى

فهما فى حياته نبعُ أحزا
وهما الشائرانِ لأبدٍ عن صو
ن يَرِدُ الحياةَ أفقاً كثيباً
تَهما وليكن دماً ولهيباً

شرعة الفكر أن يفرّد بالشعر
ومنا السمو للعالم الأعم
ر ويشدو وإن يكن محزوناً
لى وإن يلق فى الطريق المنونا

فهو أفقُ حرٍّ يريد حياة الـ
وسواءٌ لديه أن يشحبَ الشا
عقل فى معزل عن الإحساس
عرُّ أو أن تقسو عليه المآسى

أفليس الشحوبُ والألمُ العا
أو لا تنزعُ الحياةُ من الشا
صرُ نبعاً للشعر والألحانِ
عر باللحنِ فى حِمى الحرمانِ؟

فيمَ كان الصراعُ يعمشه القلـ
فيمَ يأبى الحياةُ فى وحشة العُز
بُ إذن فيم؟ فيم لا يطمئنُ
لِ والفكر فيم يمضى يثنُ؟

هكذا تصرّخُ الخواطرُ بالشا
ورأى الراعى الصبى يسوقُ الـ
عر فى ليله، فإن جاء فجرُ
غنم الظلماتِ لم يبقَ شعرُ

ومضى القلبُ صارخاً أين حَيٍّ؟ أين لهوى؟ وفيمْ أبقى أسيراً
أبدأ لا أنى أضحي بأفرا حي، وأحيا ذاك الحزينَ الكبيراً

من بكائي تصوغُ شمركَ للكو نِ ومنى المُنَى ومنى الحنينِ
من دمي هذه الملاحمُ فارحم نى أنا العاشقُ الشجى المغبونُ

انطلق بي دعنى أُنقِ فرحة الحبِّ لعلنى من الشقاء أفرُّ
ما غناء الأشعارِ يا شاعري الله عِبَ إن كانتِ الحياةُ تمرُّ؟

ليس يُغنى عنكَ النشيدُ إذا متَّ حزيناً وليس يرويك لحنُّ
لا تُقلُ في غدٍ غداً ندَمٌ قـا سِ على ما مضى وبأسٍ وحزنُ

تحت ثقلِ الشرى وفي وحشة المـو ت سيخجو هذا النشيدُ ويغنى
فإذا لحنك الذي صفتَه يا ساً وحزنناً للتاعمين يُغنى

وستنسى أنت الذي ملأ الدنـ يا جمالاً وماتَ ظمآنَ جَهما
وسيبلى الترابُ ما يتبقى منك يا مستطارُ لحمأ وعظما

ثم ماذا؟ غداً يقولون قد كا نَ فتنى بيننا طواه الهزالُ؟
ما رأينا منه سوى طيفِ إنسا نِ فقدناه واصطفاهُ الخيالُ

سيقولون شاعرٌ ركبتهُ
أبدأ يرقب الفضاء يصيد النـ
لُوثَةً فانزوى وعاشَ غريباً
جَمَ أو يحصدُ الظلام الكثيباً

يرمق الزهر من بعيد وفي عـ
جامداً قانماً بعُذرى حبٍّ
نَيْهِ أحلامٍ عاشقٍ ولهانٍ
يكتفى بالمطرورِ والألوانِ

أيها الشاعرُ السجينُ كفانا
حسبك الآن ما خضعت لصوت
غربةً في حياتنا ووجوما
العقل وارحم شبابك المحروما

ويمرّ النهار والشاعر المغـ
بين همس الصوتين يحيا كئيباً
جون حيران بين فكّي أساهُ
ويناجي طيوفهُ ومُناهُ

فاذا جاش قلبهُ بمعانى الـ
لائذاً باليراع يسكب فيه
جاس ألقى أحزانه في النشيدِ
ما يُعاني من العذابِ الشديدِ

ساكباً روحهُ على كل بيت
راضياً بالشُحوب والسُقم حبّاً
ناحنأ من فؤاده الأحسانا
لأبولو مُستسهلاً ما كانا

كلُّ بيت من شعره يتقاضا
فهو في لحنه يُليبُ صباهُ
هُ شحوباً ورعشةً وسَقاما
ويضيعُ الشباب والأحلاما

صَارُ، والزهرَةُ الجميلةُ تنزى
وإذا النجمةُ الوضيئةُ تهوى

ثم ماذا؟ سرعانَ ما يزأرُ الإعم
وإذا الضوءُ فى الأعالي يُخبو

ليس تبكى له سوى الأمطارِ
ويقايا القيثارِ والأشمارِ

ويغيبُ الضياءُ فى ليلِ قبر
ليس يرثيه غيرَ ذوى صباهُ

عمرهُ باكياً على كلِّ باكٍ
رزانَ ذاكَ الملقى على الأشواكِ

ذلك الشاعرُ الذى كان يحيا
ذلك العاطفُ النبيلُ على الأحـ

حش تحت الرياحِ والظلماتِ
بَّ ولا دمعَةً على المأساةِ

نبذتهُ الأيامُ فى قبره المو
حيثُ لا آهةُ يُصعقُها قلـ

ساعرِ الملهمِ الرقيقِ وتُسى
وينوقُ الآلامَ كأساً فكأساً

هكذا فى العذابِ تمضى حياةُ الشـ
هكذا يملأُ الوجودُ جمالاً

يا سفينى عن عالمِ الشعراءِ
صفِ بينَ الآهاتِ والأدواءِ

هكذا كلُّ شاعرٍ فارحلى بى
ولتدعهم فى ذلك الشَّجَنِ العا

ـا ونلقى المرسى على كلِّ ساحلٍ
يتجلى بعندِ الظلامِ القاتلِ

ولنسر فى بحرِ الحياةِ كما كنـ
ربما يا سفينُ نلقى ضياءً

عند العشاق

ربما كان فى حياة المحب
ربما كان عندهم ذلك الإك
من رجاء أو دفقة من ضياء
سسير بين الخيال والأهواء

شاطئ الحب أيها اللامع الخا
صف مناهم ويشرهم وأساهم
دع هات الحديث عن ابتائك
صف لنا ما اختفى وراء صفائك

صف لنا كيف يعصر العاشق الشو
كيف يلهو به الخيال فيمضى الـ
ق إلى من ينام عن بلواه
ليل سهران غارقاً فى مناه

صف حياة الذى استبد به الحب
ومضى فاتحاً ذراعيه للنو
فخال الحياة جنة سحر
ريصوغ الحياة ديوان شعر

يلثم الزهر فى الحقول ويشدو
راقصاً كالقراش للقمر الخلد
لليالى الحصاد لحن هواه
وخلياً من بأسه وأساه

راسماً للغد الجميل من الأح
سادراً فى أوهامه غير دار
لام ما لا تطيقه الأقدار
أن هذى الحسياسة هولاً ونار

له على مسمع النهار ويشرب
ع يُغنى له الشقاء فيطرب

فى يديه كأسُ الرحيق يغنيه
وعلى ثغره ابتسامة مخلو

ويُفريق النشوان بالآهوام
لا فراش لا شيء غير الظلام

ثم يخبو الضياء ذات مساء
فإذا الحقل ذابل لا زهور

وأيّن الوجه الحبيب التضيّر
مدّ لقلب جنّى عليه الشعور

أين تلك الأحلام؟ كيف ذوى الحب؟
يا لفتنر الأيام لم تحفظ العهد

جور قلب دام ووجه شاحب
ضى ويكى على الفرام الذاهب

وتمرّ الحياة والعاشق المهـ
أبدأ يُرجع الخيال إلى الما

من وراء الدموع والأحزان
بَ ويقسو على الأسى الإنسانى

أبدأ يرمق الحياة كنيباً
ويراها الذنب الذى ينهش القلب

شارد الفكر أين الحان قلبي
شود؟ ماذا أضاع أحلام حبي؟

أبدأ يسأل الظلام حزينا
أين زهرى وأين بلبلى المنـ

من حياتى ومن فؤادى ولغنى
مى وتمحو غشاوة الحزن عنى؟

أين تلك التى سكبت عليها
أين تلك الميون تلهم أحلا

يا لقلب المسكين تلهذه الذك
هكذا قد قضى عليه كيويـه
رى وتُخَي غرامه وأساه
دُ فماذا تُفِيدُهُ شكواه؟

فليجدْ في الخيالِ والشعرِ والذك
وليَقْضِ الحِياةَ بينَ حقولِ الد
رى دواءَ لَحَبِّهِ المَصْدومِ
قمحِ والقطنِ تحتِ ضوءِ النجومِ

وليحَبِّ الغيومَ والفجرَ والنهـ
يتغنى فيمَشِّقُ الزهرُ موسيـ
رَ ويُمَضِّى الأيامَ بينَ التلالِ
قاهُ عندَ الهوى وفوقِ الجبالِ

فحياةُ الخيالِ أجملُ منِ وا
وهنا يا مَصْدومُ حُرِيَّةُ الرو
قِ حَبِّ مَلَقِيعِ بالرمادِ
ح فماذا يُغْريكَ بالأَصْفادِ

سل كيوييد عن شقاوة صرعا
كيف يَحْيَوْنَ في جحيمٍ من الشكِّ
ه وماذا يَلْقَوْنَ من تعذيبِ
وليلٍ من الضنى والشُّحوبِ

إن قضتْ بالحرمانِ أيامُهم عا
يشتكون الأقدارَ والزمنَ العا
شوا حَزَاتِي معذِّبِينَ حَيَّارِي
تى ويحيون أشقياءَ أسارى

وإذا ما تحقَّقَ الحُلُمُ العَذْ
ويعودُ الضياءُ ليلًا دجياً
بُ أشاحوا عن سحره كارهِينا
وتمودُ الأزهارُ شوْكَاً وطنينا

هكذا يخمد الغرامُ وتخبو
فالسعيدُ السعيدُ من دَفَنَ الحبَّ

شعلةُ الحبِّ والنوى والحنينِ
وعاشَ الحياةَ غيرَ سجينِ

يا دموعَ العشاقِ قد شيعَ العما
قد ملأنا الكونَ الجميلَ دموعاً

لم يؤمأً فلا تَزِيدِ أساهُ
وشبعنا من صمتهِ ودجَاهُ

فانضبي أنتِ حسبنا شَجَنُ العي
حسبُ هذى الأرضِ الكثيةِ دمعِ الد

خس ويلوى الحياةَ والأيامِ
بائسينَ الجِيعِ والأيتامِ

انضبي واطردى خيالَ كيويـ
لن ينالَ العشاقُ يوماً سوى أد

دَ وحسبُ الغرامِ هذى الضحايا
مع حبٍّ حَفَّتْ سناهُ المنايا

قيس وليلى

كيف مات المجنون؟ هل سَعدتَ ليـ على؟ سلوا هذه الصحارى الحزينه
اسألوها ما حدثَ الريحَ قيسُ الـ أمسٍ ليلاً وكيف عاشَ سنينهُ

ذلك الشاعرُ الشريدُ الخياليُّ صديقُ الظباءِ فى الصحراءِ
ونجى الرمالِ والوحشِ والبـ يدِ وطيفِ الشحوبِ والأدواءِ

سحقَ الحبُّ قلبهُ المرهفَ الغضُّ فمأش الحياةَ دونَ مقرِّ
فوق تلك الرمالِ يَنشُدُ أشما رَهْواه لكل هوجاءَ تسرى

راسماً فوق صفحةِ الرملِ ما كا ن من الشوقِ والأسى والحنينِ
لائماً كلَّ موضعٍ خطرتَ ليـ على عليه فى ماضياتِ السنينِ

يومَ كانتَ ترعى الشبَّاهَ ويرعى قيسُ أغنامهُ فتشَلو ويشَلو
وتدوى باللحنِ تلك الرمالُ الـ سُمُرُ حيثَ الظباءُ تلهو وتعلو

يومَ كانتَ يا لهفَةَ الشاعرِ العا شقٍ ماذا قد أبقتِ الأقدارُ؟
نضبتُ فرحةَ الصبا ودَوَّى الوا دى وجفَّتْ فى رَحْبِهِ الأزهارُ

وتَبَقَّى قَبْرِي عَلَى قَدَمِ التُّلِّ
وَحَنَّتْ فَوْقَهُ شَجِيرَةٌ وَرَدَ

ذَوْتُ نَحْتِهِ مُعَالِمَ لَيْلِي
تَخَذَتْهَا الْأَشْلَاءُ فِي الْقَبْرِ ظِلًّا

وتَبَقَّى قَيْسُ الْمَعْدَبِ يَكِي
رَاقِدًا عِنْدَ حَافَةِ الْقَبْرِ لَا يَفِي

مَا تَبَقَّى مِنْ عُمْرِهِ الْمَصْلُومِ
شَأْ يُشْكُو إِلَى الصَّبَا وَالْغَيْومِ

يَنْمُنِي لَيْلَ الْمُنَايَا وَيَدْعُو
وَيَفْتَنِي لِلْمَوْتِ أَجْمَلَ الْحَا

هُ إِلَيْهِ بِأَعْزَبِ الْأَسْمَاءِ
نِ هَوَاهُ تَحْتَ الدُّجَى وَالضُّبَا

ثُمَّ جَاءَ الصَّبَاحُ يَوْمًا وَقَيْسٌ
لَيْسَ تَبْكِيهِ غَيْرُ تَهْلِيلَةِ الرِّيدِ

فِي يَدِ الْمَوْتِ ذَاهِلٌ مَصْرُوعٌ
حِجٌّ وَصَوْتُ الْبُومِ الْكَتِيبِ دَمُوعٌ

يَا قُلُوبَ الْعَشَاقِ حَسْبُكَ حَبًّا
هِيَ هَذِي الْحَيَاةُ لَا تَمْنَحُ الْأَحْيَا

وَاقْبَسِي مِنْ مَأْسَاةِ قَيْسٍ مِثَالَا
يَبَاءُ إِلَّا الْعَذَابَ وَالْأَهْوَالَا

خَدَعْتَنَا بِالْحُبِّ وَالشُّوقِ وَالذِّكْرِ
عَالِمٌ سَافِلٌ يَضِجُ مِنَ الْإِنِّ

رَى وَمَا خَلْفَهَا سِوَى الْأَوْهَامِ
مِ وَيَحْيَا بَيْنَ الْهُوَى وَالظَّلَامِ

فى أحضان الطبيعة

أيها الشعرون يا عاشقى النب
ابعدوا ابعدوا عن الحبِّ والمنجوا
بل وروح الخيال والأنعام
بأنفانيكم من الأنام

أهربوا لا تلتفتوا عالم الفن
أحفظوا للفنون معبدها السا
بهذى العواطف الأدمية
مى وغنوا أنغامها القدسية

قد نعمتم من الحياة بأحلى
يعمه الآخرون فى ليلها الدا
ما عليها وفزتم بجناها
جى وأنتم تحيئون تحت سناها

اقنعوا باكتسابكم واشفقوا الفن
وغدا تهتفُ العصورُ بذكرا
وعيشوا فى عزلة الأنبياء
كم وتحيون فى رحاب السماء

اقنعوا من حياتكم بهوى الفن
واحلموا بالطيور فى ظلل الأف
وسحر الطبيعة المعبود
صان بين التحليق والتفريد

اشفقوا الثلج فى سفوح جبال الـ
وأصيخوا لصوت قمرية الحق
أرض والورد فى سفوح التلال
بل تغنى فى داجيات الليالى

اجلسوا فى ظلال صَفْصَافَةِ الوَا
دى وَأَصْفُوا إِلَى خَرِيرِ المَاءِ
وَاسْتَمِدُّوا مِنْ نَعْمَةِ المَطَرِ السَّا
قَطِ أَحْلَى الإِلَهَامِ والإِيحَاءِ

وَتَغَنُّوا مَعَ الرِّعَاةِ إِذَا مَرَّ
وَاحْبَبُوا النَّخِيلَ وَالْقَمْحَ وَالزَّهْدَ
وَاعْلَى الكُوخِ بِالقَطِيعِ الجَمِيلِ
رَوَّاهِمُوا فِى فَاتِنَاتِ الحَقُولِ

شَجَرَاتِ الصَّفْصَافِ أَجْمَلُ ظِلًّا
مِنْ ظِلَالِ القُصُورِ والشُّرَفَاتِ
وَعَنَاءُ الرِّعَاةِ أَطْهَرُ لِحْنًا
مِنْ ضَجِيجِ الأبْوَابِ وَالْمَجَلَاتِ

وَعَبِيرُ النَّارَنِجِ أَحْلَى وَأَنْدَى
مِنْ غُبَارِ المَدِينَةِ المتَرَاكِمِ
وَصَفَاءُ الحَقُولِ أَوْقَعُ فِى النَفْسِ
حَسٌّ مِنَ القَتْلِ والأَذَى والمَائِمْ

وَعِرَامُ الفَرَّاشِ بِالزَّهْرِ أَسْمَى
مِنْ صِبَابَاتِ عَاشِقٍ بِشَرَى
وَنَسِيمُ القُرَى المَفَازِ أَوْفَى
لِمَهْوَدِ الهَوَى مِنَ الأَدَمَى

وَحَيَاةُ الرَّاعِي الخَيَالَى أَهْنَا
مِنْ حَيَاةِ الغَنَى بَيْنَ القُصُورِ
فِى سَفُوحِ التَّلَالِ حَيْثُ القَطِيعُ الـ
حَلُولُ يَرعى عَلَى ضِفَافِ الغَدِيرِ

حَيْثُ تُتَغَوُّ الأَغْنَامُ فِى عَطْفَةِ المَرْ
وَيَنَامُ الرَّاعِى المَغْرَدُ تَحْتَ السَّ
جِ وَتَلْهَوُ فِى شَاسِعَاتِ المَجَالَى
رَوَّاهِمًا لَأَيْدَى الخَيَالِ

في يديه النأي الطُروبُ يَنَاجِيهِ
مستمدّاً من همسٍ ساقية السفح
هـ ويشدو على خُطَى الأَغْنَامِ
حَ لَحُونُ الشَّبَابِ والأَحْلَامِ

أه لو عشتُ في الجبال البعيدا
وأغنى الصفصافَ والسَّروَ أنفا
ت أسوقُ الأَغْنَامَ كلَّ صَباحٍ
مى وَأَصْغَى إلى صَفيرِ الرِّياحِ

أعشقُ الكَرَمَ والعرائشَ والنب
كلَّ يومٍ أمضى إلى ضِفَّةِ الوادِ
ح وأحيا عُمرى حَيَاةَ إلهِ
دى وأرنو إلى صفاء المِياهِ

أصدقائي الثلوجُ والزَّهرُ والأغ
ومى في الجبال ديوانُ شِعْرِ
خام، والعود مؤنسى ونجوى
عبقريُّ شاعِرٍ عبقريُّ

أنغنى حيناً فُتُصِّغى إلى الح
وأناجى الكتابَ حيناً وقري
خى مِياهُ الوادى ومرتفعاتُه
هدعدُ شاعِرٍ صَفَّتْ نغماتُه

وخيرٌ من جلول مُعشِبِ الضِفِّ
وثغاءٌ عذبٌ من الغنمِ النَّشِ
ة يجرى إلى حفافِ الوادى
وى وهمسٌ من النسيمِ الشادى

أه لو كان لى هنالك كوخٌ
فى سكون القُرى ووحشتها أقد
شاعرى بين المروجِ الحزينة
ضى حياتى لا فى ضجيجِ المدينة

ليتنى ليتنى من بنات تلك الجبال الـ	غُنَّ حَيْثُ الْجَمَالُ فِي كُلِّ رُكْنٍ
ليتنى ليتنى وهل تبعث الأحـ	لَامُ إِلَّا الدَّمُوعَ فِي كُلِّ عَيْنٍ
قَدَّرْتُ لِي السَّيْنَ أَنَّى هُنَا أَقْدُ	خَضَى حَيَاتِي قَلْبًا رَقِيقًا شَجِيًّا
فِي ضَبَابِ الْخَيَالِ أَمْشَى وَحَوْلِي	عَالَمٌ لِلْفَنَى يَمُوتُ وَيَحْيَا
قَدْ أَحْبَبُوا أَيَّامَهُمْ وَتَمَرَّدَ	تُ عَلَيْهِمَا فَعَمِشْتُ فِي أَحْلَامِي
إِنْ أَكُنْ قَدْ وُلِدْتُ فِي هَذِهِ الضُّجَّةِ	ةٍ فَلَا تَجِيْ إِلَى أَوْهَامِي
وَلَا عَشْرُ فِي الْخَيَالِ حَيْثُ تَهَيَّمُ الـ	رُوحُ بَيْنَ الْمَرْجِ وَالْقَطْعْمَانِ
هَكَذَا تَهْدَأُ الْأَمَانِي إِلَى حَيـ	نٍ وَتَخْبُو مِرَاةُ الْأَحْزَانِ
هَكَذَا أَدْفِنُ الطَّمُوحَ كَمَا يَدُ	فِنَّهُ كُلُّ طَامِحٍ بِشَرِّ
وَعَيُونَ الْأَقْدَارِ يَضْحَكُنْ مِنِّي	هَازِنَاتٍ بَضْمَفِي الْأَدْمَى
يَا عَيُونَ الْأَقْدَارِ لَا تَرْمَقِي دَمـ	حِي وَلَا تَهْزَأِي بِقَلْبِي الْحَزِينِ
إِنْ يَكُنْ فِي دَمِي طَمُوحٌ نَيِّ	فَأَسَى الْيَائِسِينَ مَلَأَ عَيُونِي
كَانَ هَذَا الطَّمُوحُ لَعْنَةً أَيَّا	مِي فَيَا لَيْتَنِي عَصِمْتُ هَوَاهُ
كَلِمَا حَقَّقَ الزَّمَانُ لِقَلْبِي	حُلُمًا صَوَّرَتْ حَيَاتِي سَوَاهُ

لست أدري ماذا سيجنيه قلبي
أبدأ أرتقى النجوم وأرنو
من سُرودى فى كل أُنقٍ ونجمٍ
لجَاهِلِ عَالَمٍ مَدْلِهِم

لست أدري شيئاً أنا اليأس يا أر
أنتِ وحىٍ ومنكِ تنبُحُ أحلامِ
ضُ و أنتِ ابتسامتى ودموعى
مى، وإن كنتُ فى حماكِ الوضعِ

أرغمينى إلى السماء إذا شئتِ
وأصيدى منى إذا شئتِ للطيفِ
ستِ بوحىٍ من سحركِ الشاعرى
من فتاةٍ تبكى على كل حىٍّ

أضحكنى وأطلقينى ورقاء
أو دعينى أبكى على أشقياءِ الـ
تغنى بحسبكِ القُتَانِ
أرضِ بين الحنينِ والحُرمَانِ

ضاع يا أرضُ فيكِ معنى الأمانى
وخبئتُ فى كآبةِ الموتِ أصوا
وتبقى الشقاءُ والأكدارُ
تُ الأغاني واستسلم القيثارة

فعلام المراءُ والأملِ المو
ولم الأشقياءُ يُخفونَ بلوا
هوىً فى حومةِ الدنجى المدلهمِ
هُمُ وَيَحْيَوْنَ فى خداعِ وهمِ

قد وصفتُ الشقاءَ فى شعرى الباءِ
وشدوتُ الحياةَ لحناً كئيباً
كى وصورتُ أنفُسَ الأشقياءِ
ليس فى ليلهِ شمعاً ضياءِ

فأثارت كآبتي عَجَبَ النَّاسِ
ما أدروا أنني أنوح على ما
سِ حاروا في سرِّها للجهولِ
ساتهم في ظلامها المسدولِ

أنا أبكى لكل قلب حزينٍ
وأروى بأدمعي كلَّ غصينٍ
بعثرت أغنياته الأقدارُ
ظامي جفَّ زهره المعطارُ

القصر والكوخ

كلُّ فجرٍ أرى الرعاةَ يَمُرُّوْ	نَ فأبكي على حياةِ الرعاةِ
فى ثلوجِ الجبالِ أو لَهَبِ الشَّمِ	حسَّ يريقون مبهجاتِ الحياةِ
ويمرُّ القطيعُ بى فأرى الأغر	نامَ بين الذَّبَّاحِ والسَّكِينِ
يا حياةَ الإنسانِ لا فرحةً فيه	لكِ إذا لم تُصحبْ بدمعِ غبينِ
فكنوزِ الغنى يجمعها الفسلاً	حُ فى عُمُرهِ الشقى الكبيرِ
ذلكَ الكادحُ المَئذِبُ فى القَرِ	يةِ بين المحراثِ والناعورِ
كلُّ صيفٍ يسقى البساتين تحت الشد	حسَّ، والقصرُ هاجعٌ وسنانُ
فهو يُلْقَى البذورَ والمترفُ لها	نئى يجنى وتشهدُ الأحزانُ
يا لىالى الحصادِ ماذا وراءَ الـ	حقلِ والحاصدينَ من مأساةِ
شهد الكوخُ أنه يحمل الحز	نَ لتحظى القصورُ بالخسراتِ

كيف يجنى الأزهار والقمح والأشجار
ويموتُ الفلاحُ جوعاً ليفتر
لعمري رب القصور النعيم
حمار من لم يجرح يديه القُدوم؟

كيف هذا يا رب؟ رفقا بنا رف
وطفت في الفضاء آهاتنا الحبي
لعمري نفنى رجاءنا المصروع
لعمري قد غصت الكؤوسُ دموعاً

كآبة الفصول الأربعة

نحن نحيا في عالم كلُّ دم
تشتقى عناصر الزمن القا
حُ وعُمُر يفيض بأساً وحزناً
سى بآهاتنا وتسخرُ منا

في غموض الحياة نسربُ كالأشد
كلُّ يوم طفلٌ جليدٌ وميتٌ
بالح بين البكاء والآهاتِ
ودموعٌ تبكى على المأساةِ

ثم ماذا؟ فى أىِّ عالمنا المُحد
عند وجه الطبيعة الجهم أم عن
حزنٍ نلقى العزاءَ عما نقاسى؟
مدفُود الزمانِ وهو القاسى

قد عبرنا نَهراً الحياة حَيَارَى
وثبتنا على أسانا خريفاً
فى ظلامِ الفصولِ والسَّنواتِ
وربعاً فما جمالُ الحياةِ؟

طللاً مرَّ بى الخريفُ فأصغى
وأنا فى سكونِ غرفتى الدج
تُ لصوتِ القُمُريةِ المحزونِ
يأهٍ أرنو إلى وجومِ القنصونِ

طللاً فى الخريفِ سرت إلى الحق
كيف لا والكآبةُ المرَّةُ الخسر
ل وأمعنتُ فى وجومى وحزنى
سأهٌ قد رفرتُ على كلِّ غصنٍ

شاشَ سَمانٌ من وجومِ السُهبِ
سرةَ والمِيشَ في حقولِ الجنوبِ

راقِ والزهرُ ذابلٌ مكفهرٌ
راقِ والسُحبُ في الفضاءِ ثمرٌ

سعى صوتُ الأوراقِ تحتَ خطايا
راقِ فاستجمعتْ بعيدَ أسايا

سَتْ ولونِ الفضاءِ أسودٌ غائمٌ
من بعيدٍ بين النخيلِ الواجمِ

غلقتَه أيدى الخريفِ الكئيبِ
جونَ أغنامهم قُبيلَ الغروبِ

سَمَوْا إليه ولا صفاءَ جميلٍ
شئٌ والصمتُ والرَبى والنخيلُ

وإذا الروحُ ضائقٌ بأساءِ
حسَّ إصباحه وأقسى مساءِ

والحمامُ الجميلُ قد هَجَرَ الأعـ
وطيورُ الكنارِ آثرتِ الهَجـ

وغصونُ الأشجارِ مصفرةُ الأو
ورباحُ الخريفِ تعبثُ بالأو

طلما سرتُ في المساءِ وفي سمـ
كلما سرتُ خطوةً أنتِ الأو

أرمتُ الحقلَ والجداولُ قد جفـ
وأحسُّ اليومَ الكئيبَ يُغنى

وأرى النهرَ من بعيدٍ كسرٌ
لا رُعاةَ على شواطئه يزُ

لا اخضرارٌ يغرى الحزاني بأن يَسـ
ليس إلا رطوبةُ الأرضِ والوحد

فإذا رمشةٌ تضمُّ فؤادى
ما أمرُ الخريفِ يا ربَّ ما أو

طار والريح فى سكون الليالى
و بقاء الإصباح والأصال

حج ويمرو الأشجار لون الزوال
جور أو فى كهف وراء الجبال

هل يكى على شجا الإنسان
ل وترى لكل قلب عان

ه وأيامه وما أفساه
د والقلب مفرق فى أساه

صار بين النخيل والصفصاف
ر ووقع الأمطار فوق الضفاف

فى لىالى الشتاء ذات الرعود
ء فى صمت غرفتى المهود

صحبتى فى فرحتى وشقائى
رى من الحزن فى لىالى الشتاء

ثم يأتى الشتاء بالثلج والامر
وتمر الأيام موحشة الخط

وتموت الأزهار فى قبضة الثلج
وتغيب الأطيار فى الموقد المه

ويجىء للساء بالمطر المن
وتقل الرياح تمصف بالنخ

أه ما أكاب الشتاء لىالى
حين أخلو لنار موقدى الحمام

لست أصنى إلا إلى ضجة الإم
واصطفاف الأمواج فى شاطئ النه

كل شىء فى الكون حولى كتيب
كل شىء حولى سوى ساعتى الصم

ايه يا ساعتى الكتيبة يا من
ما الذى تبعثين فى نفسى الحيد

ردِّ الليلِ مُظْلِمٍ ممدودٍ
عِ ليلٍ ممدَّبٍ منكودٍ

أبدأ تخففين في معصى البيا
لحظات تمرُّ في ثقلِ السبا

ساتك الحائرات في مسمعيّا
مى وكنّت الرسولَ منها إليّا

كم سهرت المساءَ أضغى إلى دق
أنت يا من أحصيتِ ساعاتِ أيّا

ما تبقى يا ساعنى من حياتى
طارِ فوقِ الحقولِ والربواتِ

رحمةً فى الشتاءِ بى لا تعدّى
واتركينى أضغى إلى نغمِ الأمرِ

مرِّ أحلى من صونك الجبّارِ
خى وصوتَ الأحداثِ والأقدارِ

اتركينى فنغمةُ المطرِ الها
يا رسولَ القضاءِ والزمنِ المُفدِّ

مكفهرًا تحت البروق طويلا
طارِ يا ساعنى وكُفّى العويلا

اتركينى وحدى وإن كان ليلى
اتركينى أضغى إلى الرعدِ والأمرِ

عقرباكِ للحببانِ لعينى
أنغنى به ويصمدحُ قنى

وغداً يُقبلُ الربيعُ فيحلو
وتعود الدقاتُ منك نشيداً

جبيضِ والزهرِ والسنا والمطورِ
م وتشدو طيورُها فى البكورِ

الربيعُ الجميلُ فصلُ الطيورِ الـ
عندما تكتسى العرائشُ بالكر

عندما يخرجُ الرعاةُ إلى الوا
دي بأغنابهم وتزهو الضفافُ
عندما يزهر البنفسجُ والخبثُ
سازُ والبرتقالُ والصفصافُ

وتذوبُ الثلوجُ في القممِ المُدْ
طى بين الأعشابِ والأورادِ
ويعودُ البطُّ الجميلُ إلى الشا

ويمود القلاحُ يخرجُ للحق
تحت شمسِ الربيعِ يسقى جذورَ الـ
سُنينِ والبرتقالِ والتفاحِ
لِطروبِ الفؤادِ كلَّ صباحِ

وتعود الطيورُ لوطنِ المهـ
في ثنابِ الأعصانِ تتخذُ الأعـ
جورَ جَنَلَى مفتونةً بالربيعِ
شاشَ تحتَ النورِ النقيِّ البليغِ

والقمارىُ تستحمُ وتلهو
وتغنى للنهرِ أعذبَ ألحـ
بين زهرِ الخبّازِ فوق الضفافِ
نِ الأمانى في مِسمعِ الصفصافِ

وزهورُ السفوحِ تضحكُ للنحـ
وقطيعُ الأغنامِ يَصرُحُ والرا
لِ وتُحنى رؤوسها للنسيمِ
عِى يُقضى النهارُ تحتَ الكرومِ

وصبايا القُرى يرحنَ ويفلـ
منشداتِ أحلامهنَّ على سمـ
نَ نَشَاوى على ضفافِ السواقي
عِ الينابيعِ والورودِ الرقراقِ

وسماء الحياة تزخر بالوح	سى ويصحو الشمور والأحلام
أى أدونيس آه لو عشت فى الار	ض فعاش السنا ومات الظلام
آه لو لم يكن مقامك فى عا	لنا المكفهر حلماً قصيرا
آه لو دمت يا أدونيس للار	ض وأبقيت عطرك المسحورا
يا ضياع الأحلام فى منمع المو	ت وماذا نُفيلدنا الأحلام
ليس يبقى الربيع إلا قليلاً	ثم يخبو الجمال والأوهام
مثل زهر الصحراء سُرعان ما تقد	خله الشمس والرياح الهوج
وتعود الواحات قفراً كما كا	نت ويذوى العشب النضير البهيج
هكذا يرحل الربيع سريعاً	وتمود الحياة للأحزان
وموت الأمال فى كل قلب	وتميش النفوس للحرمان
فكان الحياة لم تبسم إلا	لتلقى سوادها فى رؤانا
وكان الزهور لم تتشر الأش	لذاء إلا لكى تُشير أسانا
وكان النضارة الحلوة الجذ	لى حذاء بنا لصمت القبور
وكان الطيور ترسل لحن الد	موت فى سمع كل حى غريب

يا شبابَ الحياة ما أنتَ بالحا
ليس تُبقى على نَصارتك الأَد
لد إلا خلودَ زهرِ الربيعِ
مدارُ في حومةِ الأسَى والدموعِ

أسفاً يا ربيعُ يا وردُ يا عط
أكذا يخفتُ الضياءُ ويبقى الصر
رُ أهذا ختامُ كلِّ جمالِ
حتُ والحزنُ في سكونِ الليالي

قصّةُ الحبِّ والجمالِ أهذا
تصدى لها يدُ الزَمَنِ الما
ما إليه تكونُ بعد صباها؟
حي فتبلى ضياءَها وصداها

هكذا يا ربيعُ يُخنتمُ النند
ويعيشُ الإنسانُ تعصرهُ الذك
بيانُ والصمتُ كلُّ شيءٍ جميلِ
رى ويبكى على أساءِ الطويلِ

فإذا عَضَّتِ الكأبةُ قلبي
فعلى مصرعِ الفراشاتِ أبكى
في أضاحي الربيعِ واشتدَّ حزني
وذبولِ الوادي الشجيرِ الأغنُ

يا ممانى الزوالِ والعَدَمِ الرا
لا تُطلّي على من كلِّ شيءٍ
نع رحماكِ وارفقي بصبايا
في وجودي فقد سئمتُ أسايا

اتركيني أَر الربيعَ طيوراً
ولتكن زهرةُ البنفسجِ في عي
ليس ينوى لها الأذى مُغتالُ
نى خلوداً لا يَغترّيه زوالُ

ودعيني أعش مع الذكريات الد
عل هذا يجلو أسى الصيف عن قل
بيض في أمسى الجميل الراحل
بى ويخى موات حُلُمى الذابل

فلقد جفت الرياض الجميلا
وانطوت فرحة الربيع ومات الد
ت فلا زهرة ولا أشداء
مُشَبُّ في أرضها وجف الماءُ

لم تعد في العشاى قمرية تش
كيف تحيا الطيور في لهب الشم
لدو وتسقى أفراخها في النهار
س وتلهو تحت الظى والنار

لم يعد للنسيم قلب يحب الد
لم يعد للأزهار لون جميل
هر والمرج في ظلام الأماسى
يتجلى لمهفى الإحساس

كل شيء في الصيف ينطق بالقس
تشكى عريشة الكرم لكن
وة والشمس شعله ولهيب
ليس يجدى توسل ونحيب

آه ما أكاب الظهيرة في الصب
وتلاشى في الجو كل هُتاف
ف إذا لاذ جومها بالسكون
غير صوت الطاحونة المحزون

وبكاء الحمامة الخافت النا
وايز من تحلة تملأ القلب
نى وصوت الغراب بين الكروم
ب ملالاً بصوتها المسووم

فَإِذَا أَقْبَلَ الْمَسَاءُ الدَّاجِيُ ؟
تِ وَحَزَنَ الْأَشْجَارِ خَلْفَ السِّيَاحِ

نَ بَاغِنَاهُمْ حَيَارَى بَطَاءَ
سَ مَلَالاً وَشَقْوَةً وَعِنَاءَ

لِ يَعُودُونَ فِي الْمَسَاءِ الْكَثِيبِ
نَهَارٍ مُؤَذٍ وَعَيْشٍ جَدِيدِ

لَدَ يَعْمَزِي صَيَّادُهُ الطَّوَافَا
رَ وَصَافَ الْمِيَاهِ وَالْمَجْدَافَا

رَقِ سَامَانَ وَاجِمَ الْأَلْحَانِ
هَآ إِلَى خَافِقِ الْحَيَاةِ الْجَنَانِ

غَرِ يَمْشِي مَعْتَباً مَصْدُومَا
سَمِ الْعَيْشِ وَالْوُجُودِ الْأَلِيمَا

سَادُ فِي حُومَةِ الشَّقَاءِ الْمَخِيفِ
يِيَادُهُ السُّودُ كُلَّ قَلْبٍ رَهِيفِ

ثُمَّ مَاذَا؟ مَاذَا تَرَى الْعَيْنُ فِي الصَّبِي
هَلْ سَوَى مَنْظَرِ التَّخِيلِ الْبَعِيدَا

هَلْ سَوَى مَنْظَرِ الرِّعَاةِ يَعُودُوا
بَعْدَ يَوْمٍ أَمْضَوْهُ تَحْتَ لَغَى الشَّمْسِ

هَلْ سَوَى الصَّائِدِينَ فِي النَّهْرِ الضَّحَى
لَمْ يَصِيدُوا وَصَادَ أَرْوَاحَهُمْ حَرُّ

كُلَّ يَوْمٍ يَمْضِي النَّهَارُ وَلَا صَبِ
يَا لَقَلْبِ الْمُسْكِينِ قَدْ سَمِمَ النَّهْ

فَهُوَ عِنْدَ الْغُرُوبِ يَرْجِعُ بِالزَّوْ
إِنْ تَغْنَى فَبِالشَّكَاةِ يُزَجِّبِ

كَمْ رَأَيْتُ الصَّيَّادَ فِي الشَّارِعِ الْمَقْدِ
عَكَسَتْ مَقَلَّتَاهُ أَحْزَانُ قَلْبِ

لَسْتَ أَنْتَ لِلْحَزُونِ وَحْدَكَ يَا صَبِي
هُوَ سَجَنُ الْحَيَاةِ قَدْ كَبَلَتْ أَقْدِ

ذلك شأنُ الإنسانِ يا أيُّها الصيِّدُ
فى صراعٍ مع العناصرِ لا يَهْدُ
سأدُ يا شاكياً ظلامَ الرزايا
بدأ حتى ياوى لواءى المنايا

فى سبيلِ الحياةِ يبدلُ أفرا
فهو يجرى وراءَ حلمِ كنوبٍ
ح صباهُ ويستطيبُ أساهُ
رسمتهُ أو هامتهُ ورؤاهُ

ومجيبُ أنا نذوقُ سوادَ الـ
أى عُمرٍ هذا؟ وأيةُ مأسا
عيشِ واليأسِ والملالِ لنحيا
ة بلونا سوادها الأبدى؟

أبدأ نحنُ فى كفاحٍ مع الأقدارِ
يتحدّى أحلامنا الواقعُ المرَّ
لدارِ والحادثاتُ تُبلى وتُفنى
ويقسو زماننا المتجنى

ونخافُ الغدَ الدجى ولا نـ
يا ظلامَ المجهولِ ما أُرهبُ التفـ
لمُ ماذا يكونُ فيه المصيرِ
كبيرَ لا كانَ سرُّكَ المَسْـنُورُ

آه لو كانَ فى الحياةِ مفرٌّ
فى شهابِ الهدوءِ يا ليتنا نلـ
من شقاءِ الأوهامِ والأفكارِ
قى بأعباءِ خوفنا الجبارِ

أسطورة نهر النسيان

مِخْلَبُ الخوفِ والتشاؤمِ قد جَرَّ	حَ أَيْماننا وأذمى صِيباننا
لَيْتَ نَهْرَ النسيانِ لم يَكُ وهماً	صورتُهُ أحلامنا لأساننا
لَيْتَهُ كانَ لَيْتَ أخبارُهُ حقُّ	لننسى ما كان أو ما يكونُ
ونعيشُ الأحرارَ من قَيْدِ بلوا	نا ويعفو عنا القَدُّ المجنونُ
يا ضفافَ النسيانِ قد جاءك الشا	عرُ فلترحمى جراحَ أساه
انضَحِيهِ بمائك الأسودِ البَا	رِدِ ولتُشْفِقِ على بلواه
فهو ذاكَ القلبُ الذى طَوَّقَنهُ	حادثاتُ السنينِ بالأشواقِ
منحَنهُ الحسَّ الرهيفَ وقالتُ:	لتكن فى الحِياةِ أوَّلَ باكِ
يا ضفافَ النسيانِ يا لَيْتَ هذا الـ	موجُ يَطفئُ على الوجودِ الحزينِ
يفسلُ الإثمَ والدموعَ ويأسو	كلَّ جرحٍ فى قلبه المَطْمونِ

وشقاءُ المماتِ أقوى وأقسى
نَ ونفى عما قليل ونُسى

ألمُ العيشِ يا ضفافُ قوى
فى ظلامِ الحياةِ نضطربُ ألا

فى كتابِ الحياةِ كفُ الزمانِ
وتلُوبُ الحروفُ فى الأكفانِ

كلُّ عُمرٍ قصيدةٌ كتبناها
وغداً يمحو الكتابُ جميعاً

أنشودة الأموات

لحظة الموت لحظة ليس رعد
وسباتي اليوم الذي نحن فيه
جبتها في وجودنا المرّ حامى
ذكريات في خاطر الأيام

كل رسم قد غيّرته الليالى
دفنت عُمُرنا السنين كأن لم
كل قلب قد عاد صخرأ أصمّا
غلا الأرض بالأناشيد يوما

ليس إلا صوت العواصف فوق الد
وحفيف النخيل في رعشة الريد
مخدّن الصامت الرهيب الستور
ح ونوح الأمواج بين الصخور

قد سمعنا صوت الرياح المدوّى
وعشّقنا صوت النخيل وهِمنا
حين كان الوجود ملك يدينا
بخيرير الأمواج قلباً وعينا

وعبدنا أشعة القمر الضا
وشدّونا الأنغام تحت سناه
حك في الصيف وابتسمنا إليه
ورسمنا الأحلام بين يديه

وضحكنا مع الزمان وسرنا
تارة ساخرين من كل ما نك
فى ظلام الحياة مُبتسمينا
قى وأخرى تحت الدجى باكيـنا

مَسَّ يَوْمًا إِلَى جِوَارِ الْقُبُورِ
مِنْ دَمَاءِ الْمَوْتَى غَذَاءَ الزَّهْوَرِ

وَبَيْنَمَا قَصُورُنَا تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ
وَزَرْعُنَا زَهْوَرُنَا وَتَخْلِفُنَا

بِالدُّجَى وَالرِّيَّاحِ وَالْأَسْطَارِ
وَرَقَصْنَا عَلَى حِفَافِ النَّارِ

وَضَحَكْنَا إِذِ الطَّبِيعَةُ تَبْكِي
وَسَخِرْنَا وَالدَّهْرُ غَضِبَانُ جَهْمُ

تَ نَفُورُ الْأَزْهَارِ فَوْقَ ثَرَانَا
نَا وَدَاسُوا عِظَامَنَا وَدَمَانَا

فَإِذَا غَنَّتِ الْعَصَافِيرُ وَافْتَرَّ
وَتَمَثَّى الْأَحْيَاءُ فَوْقَ بَقَايَا

وَسَخَرِيَّةُ الزَّمَانِ الْعَمَاتِي
تَ مِنْهَا فِي عَالَمِ الْأَمْوَاتِ

فَهُوَ نَارُ الطَّبِيعَةِ الْبَارِدِ الْمُرِّ
وَحَقُودُ الْحَيَاةِ لِأَبَدٍ لِلْمَيِّتِ

تَ يَمُودُ الْمَاضِي الْجَمِيلُ إِلَيْكُمْ
رَى؟ لَعَلَّ الصَّبَاحَ يَقْضِي عَلَيْكُمْ

يَا جَمْعَ الْأَحْيَاءِ فِي الْأَرْضِ هِيهَا
فَاغْنِمُوا لَيْلَكُمْ وَغَنُّوا فَمَنْ يَذَّ

رَكَمُ فِي الْوُجُودِ يَا أَحْيَاءُ
فَقَرِيبًا يَضِيعُ هَذَا الْمَسَاءُ

عَلَيْهَا اللَّيْلَةُ الْأَخِيرَةُ مِنْ عُمْرِ
لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ يَضْمَنُ الْغَدَ فَاثْلُدُوا

تَ تَرَابِ الْقُبُورِ وَالْأَحْجَارِ
بِأَنْ بَعْدَ الْكَؤُوسِ وَالْأَوْنَارِ

رَبَّمَا كُتِمَ مَسَاءَ غَدٍ تَحْتِ
يَتْبَاكِي عَلَيْكُمْ الْيَوْمُ وَالْغَرُ

لسواكم من ضاحكى الأحياء
فى سكونِ المنيةِ الخرساءِ

من أغانىكم ووقع خطاكم
كم ويؤذى المماتُ حصنَ صباكم

جارٍ والنبعِ فى صفاءِ المغنى
لا تشيدُ فى قبضةِ الأكفانِ

تم ففتوا ولا تتوحوا عليها
بهاءِ والسَّمِ كامنٌ فى يديها

ها ورووا الظَّمَاءَ قبلَ المماتِ
رَـ وصوغوا فواتنِ النغماتِ

هر يا أشقياءَ قبلَ الرحيلِ
مَتِ والهَمُّ والظلامُ الطويلِ

وِ وغتوا النسيمَ كلَّ مساءِ
فى البلىِ والسكونِ والظلماءِ

وتمودُ القصورُ والزهرُ ملكاً
ويظلُّ القمرى يشدو وأنتم

وتمودُ الحقولُ فى الفجرِ خلواً
ويذيبُ النسيانُ ذكرَ أمانى

ويظلّ الراعى يغرّدُ للأشد
وتنامون أنتم لا حراركُ

لن تنوحَ الحياةُ إن مُتُّم أنـ
فهى تلكَ الخُلوبُ تبسمُ للأحـ

فانعموا فى ظلالِ أفراحكم فيه
وامرحوا فى الحقولِ واستشقوا العطـ

ودعوا هذه الشوارعَ عندَ النـ
ودعوها فليس فى القبرِ غيرُ الصـ

وابسموا للنجومِ والقمرِ الخلدِ
أى غبنٍ إن تفقدوا كلَّ شىء

مرثية للإنسان

أيُّ عَيْنٍ أَنْ يَذْبَلَ الْكَائِنُ الْحَيُّ	ويذوي شبابه القَيْنَانُ
ثُمَّ يَمْضَى بِهِ مَحْبُوءُ جَسْمَا	نَا جَفَنَهُ الْأَمَالُ وَالْأَلْحَانُ
وَيُنِيْمُونَهُ عَلَى الشُّوكِ وَالصَّخْ	رٍ وَتَحْتَ التَّرَابِ وَالْأَحْجَارِ
وَيَمُودُونَ تَارَكِينَ بَقَايَا	هَ لَدُنْيَا خَفِيَّةَ الْأَسْرَارِ
هُوَ وَالْوَحْدَةُ الْمُرِيرَةُ وَالظُّلْمُ	حَمَةٌ فِي قَبْرِهِ الْمَخِيفِ الرِّهْبِ
تَحْتَ حُكْمِ الدِّيدَانِ وَالشُّوكِ وَالرَّمِّ	لِ وَأَيْدِي الْفَنَاءِ وَالنَّعْمِذِيبِ
وَهُوَ مِنْ كَانَ أَمْسٍ يَضْحَكُ جَذَلَا	نَ وَيَشْدُو مَعَ النَّسِيمِ الْبَلِيلِ
يَجْمَعُ الزَّهْرَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَلْهُو	عِنْدَ شَطِّ الْغَدِيرِ بَيْنَ النَّخِيلِ
ذَلِكَ الْمَيِّتُ الَّذِي حَمَلُوهُ	جُثَّةً لَا تُحِسُّ نَحْوَ الْقُبُورِ
كَانَ قَلْبًا بِالْأَمْسِ تَمْلُؤُهُ الرِّغْ	بَةُ وَالشُّوقُ بَيْنَ عَطْرِ الزُّهْرِ
كَانَ قَلْبًا لَهُ طَمُوحٌ فَمَاذَا	تَرَكَ الْمَوْتُ مِنْ طَمُوحِ الْحَيَاةِ
يَا لِحُزْنِ الْمُسْكِينِ لَمْ تَبْقَ أَحْلَا	مٌ سِوَى ظُلْمَةِ الْبَلَى وَالْمَمَاتِ

أَهْ يَا حَامِلِيهِ نَحْوَ سَكُونِ الدِّ
اتْرَكُوهُ يُوَدِّعُ الْعَالَمَ الْفَسَادِ
قَبْرِ لَا تُسْرِعُوا وَسِيرُوا الْهَوَاتِ
تَنْ قَبْلَ الرَّحِيلِ ظِلْمًا وَغُبَاتِ

وَاكْشِفُوا جَسْمَهُ الْغَيِّبِ لَضَوْءِ الشَّمْسِ
لَنْ يَرَى بَعْدُ ذَلِكَ الضُّوْءَ لَنْ يَنْ
حَمْسٍ وَالْعَطْرِ فَهِيَ آخِرُ مَرَّةٍ
شَقَّ فِي سَجْنِ قَبْرِهِ عَطَرُ زَهْرَةٍ

لَا تَتَوَحَّوْا عَلَيْهِ وَلِيَكُنِ الشَّدَّ
حَسْبُهُ أَنَّهُ يُوَدِّعُ دُنْيَا
وُخْتَامًا لَمَّا وَعَتَ أَذُنَاهُ
هُ إِلَى قَبْرِهِ وَتَفْنَى مَنَاهُ

فَاتْرَكُوا نَعْمَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ حِينًا
رَبِّمَا كَانَ خَائِفًا مِنْ دُجَى الْقَبْرِ
قَبْلَ أَنْ تَقْبِرُوهُ تَحْتَ اللَّحُودِ
رَحْرِصًا عَلَى جَمَالِ الْوُجُودِ

رَبِّمَا كَانَ رَاغِبًا فِي وَدَاعِ الدِّ
قَبْلَ أَنْ تَتْرَكَوهُ فِي وَحْشَةِ الْمَوْتِ
أَرْضٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْوَدَ الظَّلَامُ
تِ وَتَخْبِوُ الْمَطُورُ وَالْأَنْفَامُ

اتْرَكُوهُ يَرَاكُمُ أَنْتُمْ يَا
وَهُوَ مِنْ كَانَ أَمْسٍ مَلَأَ أَمَانِي
مَنْ دَفَعْتُمْ بِهِ إِلَى الظُّلْمَاءِ
كَمْ فَصَارَ الْفِدَاءَ مَلَأَ الْفَنَاءِ

هَكَذَا الْأَدْمَى يُسَلِّمُهُ أَحَدُ
رَبِّ لَا كَانَتْ الْحَيَاةُ وَلَا كَتَدُ
بَابُهُ لِلتَّرَابِ وَالْدِيدَانِ
لَا هَبَطْنَا هَذَا الْوُجُودَ الْفَانِي

ليت حواءَ لم تذُقِ ثَمَرَ الدو	فيمَ جئنا هنا؟ وماذا يعزّيـ
ليت الشيطانَ لم يتجنا	سنا عن العالم الذي قد فقدنا
علمتنا ثمارها فكرة الشرِّ	فكان الحزنُ العميقُ العاصِرُ
وفهمنا معنى الفناءِ وأدرك	سنا صراعَ البقاءِ تحتَ الدياجِرِ
وهبطنا هذا الوجودَ لنشقى	منذ فجرِ الحياةِ حتى المغيـ
كلنا نستغيثُ من شَجَنِ العيـ	س فيا لليلِ الحزينِ الرهيـ
يا لظلمِ الأحزانِ ما سَلِمَ الأطـ	فقالُ من أسرها ولا الشبَّانُ
كم وليدٍ يبكى وما تعلم الأمـ	لماذا يبكى وما الأحزانُ

مأساة الأطفال

ودموعُ الأطفال تجرحُ لكن
هؤلاء الذين قد منحوا الحسَّ
ليس منها بدُّ فيا لَلشقاءِ
وما يملكونَ غيرَ البُكاءِ

منحتهم كفُّ الطبيعة قلباً
ورمتهم في كفةِ القَدَرِ الغا
بشرّاً يستشعرُ الآلاما
شمِ جسماً لا يستطيعُ كلاما

ربما كان خلفها ألَمٌ معنى
ربما كان خلفها الألمُ القا
تلُّ أو رغبةٌ مع الريحِ تَفنى
فلإذا ما بكوا فأدمعُ خُرْسِ

ربما ربما وما ينفعُ الظنُّ
وللدا صارخينَ بينَ يدِ الأقد
ونوحُ الأطفال ملءُ الحياةِ
سدارٍ فليصرخُوا ليومِ المماتِ

عليهم يدركونَ ما لم نقفْ نحن
ويرونَ الحياةَ ليلاً من الشرِّ
نُ عليه من ظُلْمةِ الأسرارِ
تدلى على حفافِ النارِ

فهمُ يصرخونَ من ألمِ المُقْ
أو لم يُقبلوا على غَيبِ العا
جلٍ أو يندبونَ ما قد أضاعوا
لم حيثُ المحبِا أَسَى وصراعُ

لم يَزَكْ في نفوسهم أَثَرُ المَا
حين كانوا في عالم عبقرى
ضى النقى الجميلِ أو ذكرَاهُ
كلُّ حىٍّ على ثراهُ إلَه

عالمٌ غيرُ عالمِ البَشَرِ المرَّ
ليس فيه أَسَى عَنيفٌ ودَمْعٌ
بعميدٍ عن الدُّجَى والفَناءِ
وقبورٌ تلقَعَتِ بالخَفَاءِ

ليس فيه طبيعة جَهْمَةُ المر
ليس فيه معذبون حَيَارَى
أى تلوسُ الأحياءَ والأَيامَا
وئكَالى نَحْتِ الدُّجَى ويتامَى

ليس فيه شرٌّ وظَلَمٌ وتعذيب
ليس فيه هذا النزاعُ على الخُبْ
بٌ ولا فيه مولدٌ ومماتٌ
زٍ ولا فى صفاته مأساةٌ

يا جموع الأطفالِ يا مُرهَفَى الحسِّ
لم تزلوا فى أوَّلِ العُمُرِ المرَّ
كفاكم تفجعاً وبكاءَ
ولأيا ستعرفونَ الشقاءَ

لاتنوحوا على الذى قد فقدتم
وأصبحوا لما تم القَدَرُ الظَا
من جمالٍ ومتعةٍ وسموٍ
لم فى عاصفِ الحَيَاةِ اللُدوى

لم تزالوا براصمًا لم تُفْتَحْ
ها الليالى على ظلام الحياة
فاضحكوا الآنَ قبلما يزأُرُ الهو
لُ وتستتيرُ الهمومُ العواتى

قبلما تلهُمُ أصمارُكم نَحْ
تَ غيومِ الشبابِ والاحلامِ
وتروُنَ الوجودَ قفراً فما فيهِ
سوى الليلِ والأسى والقنāmِ

إنما ترسلوا عيونَكمُ الظم
سأى فشمَّ الأهوالُ والأضغَانُ
وتضيعُ الأمالُ والمثلُ المُلْدُ
يا وتبقى الآهاتُ والأحزانُ

امرحوا الآنَ فى ظلالِ أبِ يَشْ
حقى وأُمُّ جَنَّتْ عليها الحياةُ
فغدًا تحملون أنتم همومَ الـ
معيشِ إذ ذاك تُسْفِرُ للأساءَ

شيدوا فى الرمالِ أبراجَ أحلا
مكمُ وابتسموا للهو الطفوله
كلُّ طفلٍ غداً فتى ضائعُ الأحـ
لامِ تحتَ المقادرِ للجُهوْلِه

وغداً تدركونَ ماذا أضعتُم
من صفاءٍ ومُنعةٍ ونقاءٍ
وترونَ الحياةَ منبعٍ شرٍ
ليس منه منجىٌ وليلُ شقاءٍ

ذابلٌ تحت رحمة الإعصار
بِ وَأُتِمَّ عَلَى شَفَاءِ النَّارِ

وَإِذَا مَا بَنَيْتُمْ أُمْسَ زَهْرٌ
وَإِذَا كُلُّ رَغْبَةٍ كَوَكَبٌ خَا

سَى وَتُلْقَى عَلَيْكُمْ بِالرَّزَايَا
ي وَتَلْهَوْ عَلَى رُقَاتِ الضَّحَايَا

تَشْفَى بِكُمْ يَدُ الْقَدَرِ الْقَا
وَتَبِيعَ الشَّبَابَ بِالْأَدْمُعِ الْحَرِّ

بَعْدَهَا فِي شَبَابِكُمْ أَلْفُ عَبْرَةٍ
لَيْسَ تَجْلُو سِوَى الْمَتْنَةِ سِرِّهِ

فَإِذَا كُلُّ ضُحْكَةٍ مِنْ صَبَابِكُمْ
وَإِذَا عُمْرُكُمْ مَسَاءً حَزِينٌ

أحزان الشباب .

يا هموم الشباب فيم تكوني أنت يا من يصوغك القدر الظا
من أحرّ الهموم والأحزان؟ لم ليلاً على الوجود الفاني

فيم كان الشباب مرمك يا أح حنّنا يا أحزان ما ذقناه
زان ماذا ترى الشباب جنّاه؟ حنّنا يا أحزان ما ذقناه

سوف يطوى شبابنا الزمن المسدّ روع والحلم ينطفئ ويضيع
ونميت الشيخوخة المرة السوء داء أحلامنا ويمضي الربيع

فاتركينا رحماك ننعم به الآ ن لننسى ما في غد سيكون
قبل أن تخمد الأمانى ويَفنى في الدياجى شبابنا المغبون

ها أنا في الشباب تقتلنى الوح حلة والصمت والأسى يا هموم
أينما أتجه فشمّة أحزا ن أراها ووحشة ووجوم

كل شيء أراه يملؤنى حُرْ نأ ويأساً من مُبهجات الحياة
يا لعمرٍ يمرُّ جهنماً مخيفاً تحت عبء الأحلام والآهات

ومعاني الفناء المحبها حو
فى دوى الرياح فى نغم الطير
لى فى كل ما تراه عيونى
بر وفى ظلمة المساء الحزين

فلذا أنت الرياح الحزينا
ورأيت القبور تحت يد الريد
ت تذكرت خلدها وفنائى
ح وصوت الأمطار والأنواء

واذا غنت الحمامة فى الوك
وتذكرت أنها سوف تتوى
بر تبرمت بالنشيد المشير
فى غد تحت عشبها المهجور

وإذا أقبل المساء ولف ال
وحملت العود الكئيب الى الوا
كون بالصمت والدجى والهموم
دى أغنى شعري لضوء النجوم

صرخت نفسى الكئيبة لا يخ
كم شعوب غت له فمحاها
مدعك هذا الظلام يا اختاه
وهو ما زال فى ربيع صباه

نحن تحت الليل العميق ضيوف
فاحفظى يا اختاه الحانك الظم
وقرياً تدوسنا قدامه
لى فما ترحم الشجأ أذناه

أين أمضى يا رب أم كيف انجو
ضاق بى العالم الفسيح فيا لل
من قيود الفناء والأيام؟
هول أين المفر من آلامى؟

كلُّ يومٍ أرى شَبَابَ حَيَاتِي في حِمَى الوَحْلَةِ المَرِيرَةِ يَدْوِي
وأراني أسيرُ مَرَعْمَةَ الأَدَى لُحَامٍ في عاصِفِ الزَّمَانِ لِلنَّوَى

لستُ ألقى حولي سوى عالمٍ يَشُدُّ حَقَى وَيَلْقَى عِزَّاهُ في الشُّرُورِ
ويبيعُ الحَيَاةَ بِالتَّمَعِ الحَمْدِ قِطَاءِ والإثْمِ والأَذَى والغُرُورِ

ويرَى اللّهُو في الحَيَاةِ أَمَانِي به ويدعو الخَيَالُ والشَّعْرُ حُمُقَا
يا لَجْهَلِ الإنسانِ فليبقَ حَيْرَا نَ إِذْنٍ وَلِيظَلَّ يَأْسِي وَيَشْقَى

ولاعنُ في ظلالٍ وَحَدَتِي الخَرِ ساءَ أبكى ولا مُصَيِّخَ إِلْيَا
لا فَوَادُ أَبْنَاهُ أَلَى المَرِّ ولا خَافِقُ يَحْنُ عَلَيَا

وليقولوا إِنِّي فتاةٌ جَنَى الشَّعْرِ رُ عَلَيْهَا فَعَمِشْتُ لِلأَحْزَانِ
وعبرتُ الحَيَاةَ كَالشَّيْخِ الضَّلِّ حِلٍ في غَيْهَبِ الوجودِ الفَانِي

يا ظلالَ الشَّبَابِ فابْقِي إِذَا شِئْتَ سَتَ مَعِي أَوْ فَاسْرَعِي بِالرَّحِيلِ
لستُ أُعْطِي بِظُلُوكِ الشَّاحِبِ المُقْدِ لِقَ مَا دَمْتُ في خَيَالِي الجَمِيلِ

سوفَ أبْنِي إِذَا رَحَلْتُ شَبَابَا لِقَوَادِي أَمِيشُ نُحْمَتِ سَمَائِهِ
من رَحِيقِ الخَيَالِ والشَّعْرِ والأَدَى خِطَامِ أَسْقَى الزَّهْوَرِ في أَرْجَائِهِ

وجمالُ الحياة يَنزوى ويُفنى
فليضعُ عُمري الحزينُ كما شا
ه الأسَى والدموعُ والآهاتُ
ءَ فَمَندى من الشعورِ حياةُ

فإذا أدبرَ الشبابُ وأود
ظلَّ قلبى الحساسُ ذاكَ الفتى الفيد
تُ لظلُّ المشيبِ والأسقامِ
نَانَ بينَ الخيالِ والأحلامِ

ثم ماذا؟ من قالَ إني سَأبقى
كيف أدري أُنَى سَألبث فيه
فى الوجودِ الحزينِ يا آمالى
رَيمًا متُ فى صباىِ الحالى

رَيمًا تنقضى حباتى قريبا
قَبْلَ أن أسمعَ الحياةَ أناشيد
وتموتُ الألحانُ فى شَفَتَيَا
لدى ويصنُفُ سمعُ الوجودِ إلَيَا

رَيمًا... لستُ أعلمُ الآنَ شيئاً
ولأحبَّ الحياةَ ما شئتُ من أج
فلأعيشُ فى انتظارِ ما سيكونُ
لِ نَشيدى وإن رَمَتْنى المُنُونُ

ولتجئْ بملها المنايا كما تر
لستُ ألقى فيه حياةً اغتَـ
جو فما فى الوجودِ ما يُفرينى
ها فىا بؤسَ عُمري المَغبونِ

أو لم أتركَ الحياةَ وما فيه
أو لم أَرَضَ عَزَّتْنى فى ظلالِ الشد
ها إلى معبدِ الأسَى والشعورِ
حمرِ والعودِ والخيالِ الطُّهورِ

فإذا ما أتممتُ لحنى كما أمه
ليس فى الكونِ بعدَ شعرى ما يغى
حوى فمأذا أريدُهُ من حياتى؟
رى فؤادى فمرحباً بالمماتِ

سوف ألقى الموتَ للحبيبِ روحاً
وفؤاداً يرى المماتِ شباباً
شاعرياً يُحبُّ صَمْتَ الترابِ
للمنى والشعورِ أىَّ شبابٍ

سوف ألقاكَ غيرَ محزونةٍ يا
وعزائى أنى تركتُ ورائى
موتٌ فى ميعةِ الشبابِ الغريدِ
لحنى السرمدى ملءَ الوجودِ

لستُ وحدى التى تموتُ وما زَا
تَمَسَّتْ هذهَ الحياةُ فكم قد
لَتَ شباباً لم تَسْقَه الأنداءُ
ماتَ فى ميعةِ الصبَا شغراءُ

أذبلتُ عُمرَهُم يدُ القَدَرِ الجَا
يسكبونَ الشبابَ والحبَّ والأحـ
نى وكانوا نشيدَ هذى الحياةِ
سلامَ لحناً مرقرقَ النفثاتِ

ويُضيمونَ عُمرَهُم وصباهم
وإذا عاصفُ المنايا الكُدوى
ليصوغوا الحياةَ لحنَ صفاءِ
يَتَمَعَّلى على لحنِ الغناءِ

يا يدَ الموتِ فيمَ كان نصيبُ الشـ
فيمَ لا تَظفنينِ إلا مناهُ؟
أعمرَ القَدْرَ منك هذا التجنى؟
وهو فى ميعةِ الشبابِ الأغنُ؟

ألكى تكتسى الخلودَ لذكرى
أم لكى تُنقذه من شَجَن العُزْ
هُ على الأرض وهو غَضُّ يافع؟
لِة والفكرِ والآسى والمدامع؟

أم ترى تبخلين بالنفَم العَذْ
فتضمين للدُجى والننايا
ب على العالم الأثيم الشقى
كلَّ شادٍ فى الأرض أو عبقرى

أم ترى سَنَةَ الوجود تَرى ما
فهى تَسرى كما تشاء المقادير
ليس يَدْرِى الأحياءُ أو يُدركونا
رُ وتُضمي شبابنا المطمعونا

وسواء على المقادير موتُ الشَّ
فهو جسمٌ على الثرى بشرى
عمر الفدِّ فى الصبَا أو حياته
ضيَعته أحلامُهُ وشكاته

فاذا ماتَ فى صِبَاه فما اختا
واذا عاشَ ما يشاء فما لَدِ
رته كَفُ النون للأكفان
موتٍ فى عُمُرِهِ الطويل يدان

نبئىنى أهكذا الأمر يا أَدِ
أترانا كالزهر يقطفه الفلا
دارُ أم قد ضللتُ فى أفكارى؟
حُ فى الفجرِ شاردًا غيرَ دارٍ؟

ليس تمنيه هذه الزهرة الخلد
وهو يَجْنى منهم ما هو دان
حوة ما دام فى يَدَيْهِ سواها
منهُ ما دمن فى الشَّدَى أنسابها

سَعَى إِذْنٍ فِي ظِلَامِ هَذَا الْوُجُودِ
فَةِ؟ يَا لِلشَّقَاءِ وَالتَّنْكِيدِ

أَكْذَا يَا أَقْدَارُ؟ مَا أَخْيَبَ الْمَسْدُ
أَكْذَا تَتْرَكِينَ حَكْمَكَ لِلصُّدُ

مَا سَيْلَقِي فِي يَوْمِهِ مِنْ شَقَاءِ
لِ سَاعِ النَّهَارِ أَوْ فِي الْمَسَاءِ

كُلَّ حَيٍّ مِنَّا إِذْنٌ لَيْسَ يَدْرِي
رَبِّمَا كَانَتْ الْمُنْيَةُ فِي أَوْ

ثَعِ مِنْذُ الشَّرُوقِ حَتَّى الْمَغِيبِ
يَا لَهَذَا الْعُمْرِ الشَّقِيُّ الْكَثِيبِ

فَهُوَ يَحْيَا عَلَى شَفَا الْأَكْمِ الرَّا
كُلَّ يَوْمٍ يَقُولُ: حَانَ رَحِيلِي

رِ إِذْنٌ نَمَّةٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ
فَ وَيَقْنَى فِي دَاجِيَاتِ الْفَنَاءِ

أَفَلَيْسَ الْمَمَاتُ فِي مِيعَةِ الْعُمْدِ
حِينَ يَنْجُو الْحَيُّ الشَّقِيُّ مِنَ الْخَوْ

هَهَا مِنْ الزَيْفِ وَالْأَسَى وَالظَّلَامِ
نَيَّ وَنَوَّحَ الشَّيْخُوحَ وَالْأَيْتَامِ

تَارِكاً هَذِهِ الْحَيَاةَ وَمَا فِيهَا
بَيْنَ كَفِّ الرِّيَّاحِ وَالْقَلْدَرِ الْعَا

آلام الشيخوخة

يا دموعَ الشيوخِ في الأرضِ هبها
تَتحقِّقنِ في الميُونِ الشقيَّةِ
أى شيخٍ لا يَلْتَرِفُ الأدمعَ الحرَّ
ى على ما مضى ويشكو البليَّةِ

فهو ذاكَ المحزونُ قَضَى صَبَّاءُ
ثم ذاقَ الشبابَ كأسَ دمعٍ
فى لهيبِ الهمومِ والأحزانِ
ما لىَّ على قَلْذَها يدانِ

ثم غابَ الشبابُ فى ظلمةِ العُمدِ
كلَّ عامٍ يرى الأحبَّاءَ يَفْتَنُوا
رِوماتِ الأحبابِ والأنصارِ
نَ وتُحَوِّ ذكراهمُ الأقدارُ

يا لركبِ مثنى به القَدَرُ الحما
رامياً فى فمِ المنيةِ فرداً
دعُ تحتَ الرياحِ والظَّلْماءِ
منه فى كلِّ بُكْرَةٍ وَمَسَاءِ

يا شتاءَ الحياةِ لم يبقِ فى الظلِّ
ذهبوا كلُّهم إلى الموتِ إلَّا
حمةِ إلهِ هذا الشقى الغُصينِ
هُ فلدوى نحيبُهُ المحزونِ

وهو ذاكَ المسكينُ أضعَفَهُ العُمدُ
ومضتْ ظلمةُ الحياةِ بعينيه
رُ وحلَّتْ بجسمِهِ الأدواءُ
به وغابتْ عن وعيه الأشياءُ

وهو يدري أنَّ المماتَ قسريبٌ منه قُرْبَ الأحزانِ والأوجاعِ
كلَّ يومٍ يكادُ يُلقى على العا لم والعُمرِ أغنياتِ الوداعِ

يا غموضَ الحياةِ من أسلمَ الإنـ حانَ للحادثاتِ والأقدارِ
ذلك البائسُ الضعيفُ الذي يـ تى ويمضى ولم يَزَلْ غيرَ دارِ

فهو ما زالَ هائماً بهوى العا لم والعيشِ فى ظلالِ الزهورِ
يتغنّى بحبِّه رغمَ ما يـ تى من الحُزنِ واحتدامِ الشمورِ

فإذا ما بَدَتْ له ساعةُ المو ت ولم يبقَ فى الحياةِ رجاءُ
رسمَ الحزنِ فى محيَّاهُ رعباً ما رأى مثلَ هَوْلِ الأحياءِ

وأطَلَّتْ عيناهُ تلقى على الكو نِ تحايا الوداعِ والحُرمـانِ
فى ذمولٍ وروعةٍ يملآنِ الـ قلبَ حقداً على الوجودِ الفانى

يا معانى الذهولِ فى جبهةِ الميـ ت، لا لن أخافَ هذى المعانى
سأرى فيك بَلَسَماً يُنقِذُ الأحـ ياءَ مما يَلْقَوْنَ من أحزانِ

سأرى فى المماتِ خُلْدَ حياتى حينَ تعفو عني المُنَى والجروحُ
وينامُ الجسمُ الوضيعُ على الأزـ ضٍ وتختالُ فى السماءِ الروحُ

عندما تخفتُ الأعاصيرُ في سَمَدٍ حى وأنسى الأصواتَ والأشياءَ
كلُّ شيءٍ في العالمِ الأحقَّ الجأ هل يخبو ويستحيلُ هباءَ

فلإذا أَمِنَ النشأوى بكأسِ الـ إثم في اللهو والصُرَاخِ الأثيمِ
لم يجثنى من صوتهم أىُّ همسٍ وتفرَّدتُ بالسكونِ المقيمِ

وعمرُ السنينُ لا أَلَمٌ فـ هـا ولا إثمٌ فى ظلالِ الخلودِ
عالمٌ ليس لى التغفلُ فيه الـ أنْ فلا مضى فى غناءِ نشيدى

ولأعشٍ فى هذى الحياة مع الأحـ لأم تحت النهارِ والظلماتِ
أعشقُ الفتنَةَ النبيلةَ فى الور دوفى ضجّةِ الرياحِ العواتِ

وأسلى نفسى وقلبى بمرأى الـ عابثينَ الأشرارِ والواهمينا
هؤلاء الذين يقضون أيا م صباهمُ فى هذرهم سادرينا

ليس تَعْنِيهِمُ الفضيلةُ والنبـ لُ وما يحزنون للأشقياءِ
فلإذا ما رأوا حزيناً معنَى رجموه بالشوكِ والأقذاءِ

وضِعَافُ الطيورِ فى ظِلِّ الأغـ صان تلقى منهمُ صنوفَ النكالِ
وزهورُ الخبازِ فى رغبةِ الحقـ ل يدوسونها فيما لَلضَّلَالِ

سدة والفكر عندهم كالجنون
كنت للأحياء كف السنين؟

وحياة الفنان في عالم الوح
يا لهدى المأساة يا رب ماذا

جو المقادير والاسى والظلام
ن تقسمو عليهمو الأيام

ولتسر هذه الحياة كما تر
وليظل الأحياء في التيه يشقو

لم أبكى على أسى الأحياء
بين فك الأثام والأدواء

ولاعثن ما يشاؤه القدر الظا
هؤلاء الصرعى الظمء الحيارى

بين يدي الله

المساكينُ يا سماءُ فمدّني
لأساهم كُفّيك يَفنّ الشقاءُ
إن يكونوا جنّوا فقلبكِ أسمى
أو يكونوا ضلّوا فأنتِ السماءُ

ليس يُعصى كَفّ الألوهة أن تم
فهى نبعُ الحياةِ والخيرِ والفنّ
ححو حُزنَ الممّذين الجِباعِ
وَبُرءُ الأحزانِ والأوجاعِ

جئتُ يا ربّ تحتَ لبلى الطويلِ الد
حينَ ضاقتُ بى الحياةُ وأسلم
حمرُّ أبكى حزنى وحزنَ الوجودِ
ستُ قِصادى لليأسِ والتّكيدِ

جئتُك الآنَ يا إلهى ومالى
أنا من قد رسمتُ مأساةَ هذا الد
غيرِ قلبى ونغمتى من شَفيعِ
كونَ شعراً رويتهُ بدموعى

ها أنا قد مددتُ كُفّى يا ربّ
وهو لحنى الأخيرُ يا ربّ ذوبِ
وعودى مُلقَى على قَسَميَّا
تُ حياتى فيه وحُلُمى النقيّا

فإذا لم تصلِ سماءكُ الحما
وإذا ما تركتني لشقاء الد
نى فمُعذرى كيئانى البَشَرى
معيشٍ يلهو بى الدجى الأبدى

فهو حظي من الحياة قسطه
كلّ حيٍّ لابدّ أن يقطع الممّ

شرعة الدهر والوجود الأبد
مرّ صريعاً على تراب الوجود

بين فكّ الرّحى يغنى ويبكى
آه لابدّ من أسانا فماذا

ويذوقُ الحياة بشرّاً وحُزناً
نفعُ هذى الشكوى الحزينة منا

فلنلذّ بالإيمان فهو ختامُ الد
يمسحُ الأعينَ الحزينة من أد

جأسِ والدمعِ والشقاءِ العاني
معها الهامراتِ فى الظلمات

فاصرخي يا رياحُ فى شُعَبِ العا
واصغبي يا بحارُ ما شئت فى سم

لم وامضى تفجّعاً وعويلاً
حى واستمرخي الضحى والأصيل

واطغى يا ليلُ بالأسى ومعانى الد
لن تنالَ الأهاتُ متى بعس الد

جأسِ فى قلبى الرقيق الكئيبِ
آنَ حتى إن عشتُ فوقَ اللهبِ

فوراء الحياة معنىٌ صميّقُ
هو معنى الألوهةِ الحسالدُ المر

ليس تفنيه سورة الأحزانِ
جوُّ خلفَ الوجود والأزمانِ

الرحيل

فوداعاً يا كلّ ما فى الوجود الـ	معبقريّ العميق من آهاتِ
كنتِ فى قلبي الخياليّ ماساً	ةً وأنتِ الغداة سرّ حياتي
سوف أهواك يا دموعي وأحزنا	نى ما عشتُ فى الوجود الجميلِ
فاصحبيني إذا أنا عشتُ فى العا	لم أو حانَ عن نراهُ رحيلي
يا حياتي فى هذه الأرضِ أما	أنتِ فامضى كما يشاءُ الزمانُ
انشرى ذلك الشراعَ وسيرى	وتَغنى ما شاءتِ الألمانُ
وإذا ما هبت رباحُ الردى يـو	ماً وهزّت كفُّ القضاء الشراعا
فابسمى للأمواج مغمضةً المـيد	من وقولى يا أغنياتُ وداعاً
هكذا تبلغ السفينةُ يا شا	عرة الحزن شطّها الأبدية
شاطئ الموتِ شاطئ الوحي والأسـ	رارِ ذاك المحجّب المخفيّ

أغنية للإنسان

- ١ -

”نظمت هذه القصيدة عام ١٩٥٠“

في عميق الظلام زمجرت الأمطارُ في ثورة وجنَّ الوجودُ
طاش عَصْفُ الرياح والتهب البرقُ وثارت على السكون الرعودُ

ثورة ثورة تمزق قلب الـ
ثورة تحت عصفها رقد الكو
ليل والصمت بالصدى بالبريق
نُ عميق الأسى كجرح عميق

صرخات الإعصار أيقظت الرم
تتلوى الأشجار ضارعة والـ
بَ بقلب الطبيعة المذلهم
مطر البارد الشائى يهمى

تتلوى في رعدة، في جنون
تتلوى كأنها روح إنسا
وفؤاد الإعصار في غليانه
ن يريد الخلاص من أحزانه

كل شيء في ثورة وانفمال
وأنا مثلها تمزقنى الثو
كل شيء في ليلى المحزون
رة والحزن، مثلها في جنون

أنا حيث الألام تُطبق جُنح
أدمع في محاجرى، ولهيب
ها المخيفين فى الدياجير حولى
فى دمي واكتئاب فوق ظلى

لم أزل في كآبتي وشرودي أرقب الليل والأصبرَ حَبيري
في عيوني آثارَ حُلُمٍ جميلٍ كان يوماً وأصبح الآن ذكرى

في جمودٍ وقفتُ أرقب من نا فلنتى ثورة الدُجى وجنونة
ورشاش الأمطار يلطم وجهي وأنا في خواطري المحزونة

يا أصبِرْ من دمائي خذى النا رَومن حزنِي العميق الشديدِ
يا دِياجِرْ من فؤادي خذى الظل حمةً إنني في غيبِ مملودِ

عصرتنى الحياة لم يبقَ معنى لوجودي لأدمعي لحياتي
كل شيء يلوح لي عدماً مرّاً ولنفرّاً مكفناً بالشكاة

كلُّ شيء تلقَّه ظلمة أم لوجودي لأدمعي لحياتي
ظلمة كالممات تخنقني خد قساً هي اللانتهاء واللاشيء

ظلمة في امتدادها يخبط الأح يباءُ في ضفلة عن الأقدارِ
أين ثشي ما عدتُ أحتمل الجهد هل متى الفجرُ؟ طال بي انتظاري

في ضباب الأحلام والشعر مرَّغ ستُ غرامي ونشوتي وصبايا
في بحار الخيال تاه شراعي فيم؟ ماذا جنيتُ غير أسايا؟

لم طموحي ولم أزل في هيامي
في إحساس فكري الترامى

حق شعوري وحسّ المشبوب
سعى وكرهى؟ من هدأتى ولهيبى؟

لى وجود مقببـاً موبوء
حق هدونى فلم يعد لى هدوء

لغز يبقى لُغزاً عميقاً خفياً
ت وبقي الحياة ليلاً دجياً

ض طويلاً واستبشروا وأحبوا؟
من أحاسيسهم يشور ويخبو

ت تبقت على ضفاف الحياة
فى مكنون بمالم الأموات

هم أقاصيص كلها أحزان
ن فأين الذين بالأس كانوا؟

ودفنتُ الشبَابَ والحبَّ من أجـد
حرقه الاطلاع تصهر أحلا

وشعورى الرقيق؟ أوآه من عمـد
كيف أنجو من الأحاسيس من حـد

كيف أنجو من الأسى إن يكن حو
ألف جُرح فى صدره ثار فى عمـد

وأكفَ الحياة تجرحنى والـد
تحدى الأحياء قهقهة المو

أين أين الذين غنوا على الأر
لا صدئ من غنائهم لا لهيب

ليس منهم إلا قبور حزينـا
جف نبع الحياة فيهم فلانوا

المساء الجميل حدثنى عنـد
شهد الليل أنه مثلما كا

كيف يا دهر تنطفئ بين كَفِّب
كيف تذوى القلوبُ وهي ضياءُ
لك الأمانى وتخمدُ الأحلامُ؟
ويعيشُ الظلامُ وهو ظلامُ؟

كيف تحيا الأشواكُ والزهرُ الفا
كيف تمضى إلى الفناء الأناشيـ
تنُذوى فى قبضة الإعصارِ؟
مدُ وتبقى مرارةُ الأقدارِ؟

وأكفَ الحياةُ تجرحنى فيـ
فى ربيع الشباب ما أعمق الجرح
مَ بقائى؟ حسبي أسى وعذابا
حَ إذا كانت الحياةُ شبابا

الشبابُ الذى يسمّونه نُفـ
والشبابُ الذى أسميه إحسا
حى شباب الشعورِ والرغباتِ
سأ عميقاً بكلّ ما فى الحياةِ

الشبابُ الكئيبُ حين يفيق الـ
ويرى فى تفجّعِ جنةِ الما
حالمُ القلبُ شاردأ مستطارا
ضى الغريقِ الشاوى وكيف تُوارى

ذكرياتُ الطفولةِ العذبةُ البـ
وظلالُ البساطةِ الفجةُ الحـ
ضياءُ راحتِ تنهار فى استسلام
سوءُ ذابت فى مُنحنى الأيّامِ

والفرّادُ الرقيقُ يصدمه الإحـ
واقع لم يحسّه قط من قبـ
ساس بالواقع الغريب الجديد
ل وأفقٌ من عالمٍ مفقودِ

ليس يلدرى ماذا يُحسُّ لماذا
مُثُلٌ في تَمَزُّقٍ واصطِراعٍ
تَبَقَّى أعماقُهُ في انتِفاضٍ
وأحاسيسُ ما وعاما ماضٍ

رَغَبَاتٌ كالليل غامضةٌ الأصـ
وشمورٌ بفورةٍ في الدم الجا
لدا تَرْغى فيما وراء الشعورِ
رفٍ تَبَقَّى كناقمٍ موتورٍ

وانبثاقٌ يريد أن يملك النجر
واندفاعٌ إلى معانٍ وراء الـ
مَـ ويسطو على ذرى الآفاقِ
حسٍّ في المستحيل في الأعماقِ

كل هذا يُحسِّه قلبي الدا
ليتني لم أثبَّ بعدُ عن المشـ
مى بجُرحِ الشباب والإحساسِ
ر ولم يَسْتَفِقْ شعوري الناسِ

ليتني لم أزل كما كنتُ قلباً
كل يوم أبني حياتي أحلا
ليس فيه إلا السَّنا والنقاءُ
مأً وأنسى إذا أثنى المساءُ

فوق تلِّ الرمال أصرف أيَّـ
لا أحسن المأساة حولي ولا أسـ
مى وأبني مستقبلاً من رمالٍ
سمَّعُ في الرمل ألفَ ألفِ سؤالٍ

كالمصافير لم أحير أحاسـ
فوق تلِّ الرمال أرسَمُ أثبا
سى يوماً بما تقول الرياحُ
ه قصورٍ سكَّانها أشباحُ

وتمر الساعاتُ بي وأنا أب
أى يوتوبيا فقدتُ وعزَّ الأ
نى خفايا مدينة الأحلام
ن إدراكها على أيامي

تلك يوتوبيا الطفولة لو تر
إيه تلّ الرمال ماذا تُرى أب
جع لو لم تكن خيالَ منام
حقّيتَ لى من مدينة الأحلام؟

هوذا أنت، مثلما كنتَ تلاً
وأنا لم أزل أمزج أحلا
شاعرياً مكلاً بالجمال
مى وأبنى... لكن قصور رمال

كنتُ عرشي بالأمس كنت لى الأو
كان فى هذه الرمال وجودُ
لمب والآن لم تعد غير تلّ
شاعري يلفُّه ألفُ ظلّ

ذهب الأمسُ لم أعد طفلة تر
لم أعد أبصر الحياة كما كا
قبُ عشّ المصفور كل صباح
نتُ رحيقاً يذوب فى أقداحي

لم أعد فى الشتاء أرتقب الأم
لم أعد أتبعُ الحمامة إن غَدَ
حُطار من مهدى الجميل الصغير
تُ وألهو على ضفاف الغدير

لم أعد أستطيع أن أحكم الزم
لم أعد أمزج الوجود بقلبي
ر وأرمى النجوم فى كلّ ليل
وأعدُّ الحياة قصّة طفل

سَتْ بِحُسَى الرهيفِ عن لهُو أَمْسِ
نَ وَلونَ الحَيَاةِ يطمعن نفسى

طَوَى سِرَّهُ ذَبُولَ الرَمَادِ
رَ رَهيباً مَلْفَعاً بالسَّوَادِ

حينَ مَرَّتْ به يدُ الأعوامِ
وحنينَ الجمالِ فى أحلامى

ةُ جُنَحَى نَسْرِ مخيفِ السكونِ
لَكَ أَهْذَى عَقْبَى المنى والحنينِ؟

نَ نَشِيداً وضحكة استبشارِ
معى بأقدام قاطفِ الأزهارِ

نَ شَفَاءَ لَأدمى وخلاصا
جِيَادَ والصائدين والأتفاسا

نَ كَمَا كَانَ فرحةً فى كيانى
مَوَاتَ تحت السكون والنسيانِ

ذَهَبَ الحُلُمُ والطفولة واعتَضد
كل ما فى الوجود يجرحنى الآ

أين شعر الوجود؟ أسفر عن شىء
كل شىء قد عاد أشبه بالقب

النشيد القديم ضاع صداه
كل شىء ينهار إلا عنادى

وحوالى تُطَبَّقُ الخبيبةُ المرّة
أيها الواقعُ الثقيلُ حنانيّ

رِعرشات الأزهار لم تعد الآ
بعضُ شىءٍ فيها يمرّ على سَمَدٍ

وغناء الطيور لم يعد الآ
بعضُ شىءٍ فيه يذكّرنى الأتد

وعبور النسيم لم يعد الآ
بعضُ شىءٍ فيه يذكّرنى الآ

واختلاج الأمواج في النهر ما عُدَّ	تُ أراه إلا دُجى مسلّهما
بعض شيء فيه يذكّرنى جسـ	سم غريقٍ رأيتُهُ فيه يوماً
ومرور الأيام ما عاد يبدو	لى ريماً ملوّناً سحرّاً
بعض شيء فيه يذكّرنى الأتـ	لدار والموت والأسى الأدميا
وجمال الوجود ما عاد يبدو	لى مشيراً لنشوة لا تُحدُّ
بعض شيء فيه يلخّص لى القصـ	ة فى لفظتين: مهّد ولحدُّ
عُدْتُ أخشى الحياة، أفرق منها	وأراها دعابةً لانتطاقُ
إنها الآن قصّةٌ حاكها بالدّ	مع والنار مارداً عملاقُ
حسبُها أننا دفعنا إليها	ثمنَ العيش حُرقةً ودموعاً
أى ذنب جناه آدم حسـتى	تتلقى العقاب نحن جميعاً؟
أى ذنب جشّه حواءُ؟ ماذا	عرفت من ثعبانها المشؤوم
ليتها لم تمسّ دوحته قطُّ	ولم تصبُ للجنّى السّموم
ليتها لم تمسّ بالشرّ والخبيـ	ر ولم تذرِ للتمرد طعماً
ليتها حافظت على جهلها اللطـ	يف ما دامت القباوة نُعمى

وليكن آدمٌ وحواءُ قد ثارا
أو لم يكفِ أن أضاعا جنانَ الد
وداما السماءَ في إصرارِ
خُلْد؟ لم تكفِ سورة الاحتقار؟

وسدىَ يحشان في عالم يسد
السماء التي أضاعها خلودُ
كنُ فيه الغموض والأسرارُ
وهنا يحكم الردى الجبّار

هبطا في تعثرٍ صامت الآ
يسحبان الذكرى الكثيرة في صم
هات غرقان في جمود الذهولِ
تِ ويستحييان جَدْبَ الحقولِ

ليه حواءُ! كيف عوقبت بالنف
أنتِ يا من بعتِ الخلودَ بأحرزا
سي ولولاك ما عَرَفْنَا النورا
نِ لياليك واشتريتِ الشعورا

الخطايا التي اقترفتِ ستبقى
كخطايا الرب سرق الننا
شُمْلًا في وجودنا وضياءَ
رَ لعباده ونال الشقاءَ

آهة في الوجود تُسمع يا حو
كيف ألقىتِ رأسك الحلو في يا
اءُ رُوحى حديثك للمجهولا
سِ على صخرة ونُحتِ طويلا

وعلى بمعد خطوتين حنا آ
شمرهُ الأشقرُ الجميلُ تهاوى
دم في صمته الرهيبِ الحزينِ
خُصَلاتِ على شحوب الجبينِ

ل لقلبكما بقايا هناء
حى بئرية من الأشقياء

لدا رجع من ماضيات القرون
ء خطى تستثير قلب السكون

دى حديثاً عن سيرة بشرية
غير همس فى الأنفس الشاعرية

ولفته بالضباب الليالى
ع يغنى الرياح فوق الجبال

غنم الظلمات كل صباح
من حياة السماء والأرواح

يذويان فى صفاء المراعى
صر من فتنة ومن إبداع

ه ويغفو على ظفائر شعره
ثم هابيل فى صفاء وظهره

إهدأ أيها الكتيبان ما زأ
بعض ذكرى من السماء غداً تم

فى الجبال التى تموت بها الأصم
وكانى هناك أسمع أصدا

شبه أقصوصة يرجعها الوا
مسحتها الأيام لم تبقى منها

حدثنى الوديان عن زمن مر
عندما كان فى الوجود فتى را

كان ينهى هابيل كان يسوق الـ
كان فى روحه بقية ذكرى

مقلناه حلمان بالشعر والحب
شفتاه ارتعاشتان لما يـ

يسقط الليل بالتدى فوق جفتي
ذلك الحلم، ذلك الأبد النا

كان يوماً ينام في ظلة الجسو
حالمًا بالآفاق كفاء في الما
ز على شطّ جدول نهمسان
العبيرى في سكون المكان

نشوة ملء روحه، روحه الظم
ليس يصنى إلا إلى هممة الما
سأى إلى كل فائن مسحور
وخطو القطيع قوى الصخور

لم يشاهد قابيل تقتله الغيد
في يديه سكينة الحاقد المسد
رة يمشى في نقمة محمومة
موم في مقلته طيف جريمه

لم تكن غير صرخة، غير تأويد
هدأ الجسم بعدها وثوى الرا
حة حزن غير اضطراب قصير
على النبيل المقتول عند الغدير

وأنت ظلمة المساء على الحق
ليس إلا قابيل يمشى رهيب ال
حل وعاد القطيع من دون راعى
خطو نهب الأفكار والأوجاع

عبثاً يطرد الجريمة والمق
كلما قاتل الأسى عاودته
تول عن ذننه الأثيم المسى
في الدجى صرخة القتل البرى

أولم تسمع الحقول صدى آن
أولم يشهد القطيع على الجا
ة هابيل حين خرّ قتيلًا
نى ألم يصصر الدم المظلولا

نامه فى الجبال والوديان؟
شاده فى العراء أولُ جان

صرّ بابنيه قتلاً وقتيلاً
مدارَ حتى إذا بكيتَ طويلاً

ثم يسكر على نشيش الدماء
ت غداً تستبدّ بالأحياء

ر وتبقى تحزّ فى الأعصابِ
ضَ قبوراً والناسَ محضَ ذئابِ

مُ يصيحُ الجنونُ فى رغباته
ليصبّ المزيدَ من طعّاته

هُ هذى الثمالة المسمومة؟
فى عروقِ الأبناء نبضَ الجريمة

يترك الكون فى الفضاء شظايا
سال فى الأرض من دماء الضحايا

أين هابيل؟ أين وقع خطى أغد
ليس منه إلا ضريح كئيب

يا لأحزان آدم عندما أب
أيها المستطارُ لن تردّع الأتد

استرح أنت، نم دع القتاتل الآ
لَعَناتُ القَتيل لن تعرف الصم

لعنات تظل تصرخ بالثأ
وتحمّل الأيدي مخالبَ والأر

سوف يأتى جيل من الناس محمو
يتمنى لو كانت الأرض لحماً

وانبشاقُ الدماء يُغريه ما لذ
إنها اللعنة القديمة أبقت

ذلك النبض لن ينام إلى أن
ذلك النبض لو يحدثُ عما

حماق هذى السلالة العمياء
المآقى ويرتوى بالدماء

على ولون الشرود والنسيان
شيء فى غفلة من الأزمان

ساخرأ من وجودنا المجنون
والموت فى لظى وجنون

وانطوى خلف لونها ألف سر
ترمق الموت فى ابتهاال ودُغر

ر لها لا بداية لا نهايه
مطفأ ليس فى تلاشيه غايه

ت وتلك التى تلوح ذهولا
نُ وتبكي شبابها المقتولا

لُ وتمحو ضياءها الظلمات
ض كأن ليس فى الوجود حياه

حدثينا يا فتوة الشر فى أمد
عن جنون الطموح يقات من ضوء

من جمود الرجاء فى أمين القن
المبيون التى تحلق فى اللا

من عيون كأن فيها فتورا
وعيون كأنها تقذف اللعنة

وعيون ترسب الصمت فيها
وعيون أخرى يضج أساها

والمبيون التى تحلق لا قم
والمبيون التى استحالت رماداً

والمبيون التى تحقر فى صم
والمبيون التى يغلفها الحز

والمبيون التى يعقرها الرم
والمبيون التى تحلق فى الأر

حواتٍ بين الدماء والأشلاءِ
مَيّتِ الحسّ خادر الأعضاءِ

حينٍ من لونها العميق الرهيبِ
تَ وتبقى في حقلها المشبوبِ

د وتبقى غصبي تفيض جنونا
مكانٍ يحسّ بالميتينا

هل وتعوى في كلّ قلب أصمّ
في كلّ قادم مدلهمّ

جيانُ فهي ارتجافة في الشعورِ
وسياط تنصبُّ فوق الضميرِ

جيلَ خلف استنامة اللاشعورِ
م أفاقت من كهفها المسحورِ

من أقاصي الدُجى المخيف الجليدِ
تل غرقان في جمود رهيبِ

وعيون العدل الصريع مع الأمر
من رآها استحال صخرأ أصمأ

أين أين المفسرُ من هاته الأعم
إنها لا تنام لا تعرف المو

إنها لا تغضُّ أحداقها السو
إنها في السماء في الأرض في كل

في هدوء المروق تصرخ في اللي
في جمود الضمائر الميتة الشلاءِ

ليس يقوى على فظاعتها النند
وانعصار في الروح يغلى جنونا

وكوايسُ كالسعالِ تجوسُ الد
كلما أخلد الضميرُ إلى النو

ودعت موكبَ الخطايا فخفتُ
موكب قادم خطوهُ الندم القا

أين أين المنجى؟ وكيف تنامُ الر
أى نوم يذوق راحته الجلاً
وحُ فى ضجّة الضمير المُهانِ؟
دُ؟ هل للذنوبِ من نسيانِ؟

يا حبال الجلاّد لقي على الأمل
انسجبتها من رجع أغنية الأمل
سناق أفعى الذنوب والآثام
حواتٍ من لعنة الجراح الدوامِ

اجمعها من كل عمر طوتهُ
القطى لحنها من الموكب الأخ
كفُ (أريس) وهو ما زال غضاً
رسم ما بين ناكلين ومَرْضَى

من شفاه الأطفال تحلم بالما
من عيون الصبيان ترسم فى الظل
سوى وبالدفء فى رياح الشتاء
ماء أحلام عودة الآباءِ

من جنون الرياح تعصف كالآق
حيث كانت تقوم أبراج تلك الـ
مدار فوق الخرائب المشورة
معدن العبقرية المسحورة

حيث أمست تمتدّ مملكة الغر
عالم يحكى التآكل فيه
بان والليل والمنايا السود
ليس فيه غير الصدى من جديدِ

وأماسيه لا تمرّ كما كا
إنها الآن مسكنُ الرُعب تأوى
نت عليها الأوتار والأقداحُ
لنراها الرياح والأشباحُ

سم على منجل الردى القتالِ	القصور البيضاء هبت من الخلد
ست وتنهـار فى سكون الليالى	تتهاوى أحجارها السود فى صمد
ناعسات الأجفان والأعمار	ذلك الحلم فى عيون الصبايا الـ
فع فانهـار خامد الأوتارِ	حصدته فى الفجر قهقهة المد
ت على لحن حبها المبتورِ	والشفاء العذراء أطبقها المو
حسها إصبع الهوى المسحورِ	والجباء التى ذوت قبل أن يلد
من ألوانها وتسقى الشروقا	والحدود التى تعير منيب الشم
وذوت قبل أن تذوق الرحيقا	غار فيها جرحُ التراب عميقاً
حجم منها وتستعير سناها	والعيون الظمأى التى تشرب الآنـ
خبة اللون وانطوت ذكراها	دفن الموت خلف أمدا بها أغـ
لت تحموك الطموح والأهواء	والأكف التى انطوت وهى ما زا
نة تستعصر الحصى والهواء	لم تزل غضة أصابعها اللد
ممبدا للجمان والأحنانِ	والقلوب التى بنت من صباها
د ومن روعة الدجى الوسنانِ	من ضباب الأحلام من ملمس الور

لرحيق المستقبل الجهول	فى جنون ظلت تصفّق شوقاً
جبل فى ميعة الصبا المعسول	فأنفاقت على مطاردة المنى
را على المشهد المثير الرهيب	وأطلت إلهة الفجر أورو
ه على الحاضر المقيت الجديب	لحظة ثم أطبق الأمس جفنيـ
ء واستسلمت إلى النسيان	لحظة ثم نامت الأعينُ الشهلا
بعد دفء الشمور والألوان	وحشأها التراب صمنا وبردا
لام أبراجها الضخام القباب	لحظة ثم مرّغتُ مُلدنُ الأحـ
مسحت رسمه يدُ الأحقاب	فى تراب القوضى وعادت خيالاً
مسن روحاً وفتنة وطيفوا	حيث كان الجمال يفرش ضوء الشـ
ممت والموت غيهبياً مخيفاً	أصبحت ترسل الخرائب صوت الصـ
خة صماء فى جُمودِ الصخور	حيث تمتدّ وحشةُ المُدنِ الميـ
ليس فيه من خلجة أو شمور	كل شيء فيها محوّل صمنا
قظّ فى رقدة الرخام الحزين	غير معنى مكبّل ربما استنـ
مع همس الدجى وصوت السكون	لا تعيه إلا النفوسُ التى تشـ

لا تميمه إلا القلوبُ التي تق
وتُحسّ البغضاء ترجف كأسا
رأى سرَّ الذهول في عيني
ونحسّ الجنونَ في شفّتين

هذه الأنفس العميقة تدرى
وتوارىخَ كاملاتٍ يغني
أنَّ سرّاً يشيع في الأحجار
ها العمود الكابي لحزن الجدارِ

وتلال الانقراض تروى الأقاصيص
عن مئات الخطى التي عبرت يو
ص لسمع الظلام والأشباح
مأ وماتت مع الدجى والرياح

عن أغانٍ مرّت بأعمدة الأبد
ناصبات نفوس في رجعها الآ
هنا غرقى بالدفء والأحلام
هاتُ سكرى الخطوط والأنعام

الأغاني التي تلامس خد ال
نام فيها لُغزُ الجمال وأغفت
ليل ملساء صافيات الشفاء
فتنة الحب والشباب اللاهي

جف عرق الحياة فيها وعادت
في زوايا الانقراض تسردها الأم
ذكريات مطموسة الأحان
حمةً للآليات للجدرانِ

وتلؤلؤ الانقراض تروى الأقاصيص
عن فلول الذين عادوا من الحر
ص لسمع الظلام والأشباح
بِ حطاماً وحفنةً من جراح

كيف مرّت على وجوههمُ الرب
كيف عادوا يرتلون نشيدَ الـ
سداءِ كفّ الردى فلم يُبقِ لونا
موتٍ ملء الفضاء لحناً فلحنا

كيف ألقى الحرمان ظلّ السنين الصـ
ويدُ الموتِ كيف أبقتْ أساما
فغر فوق العيون فوق الشفاءِ؟
وتراث النحولِ فوق الجباهِ؟

وخطامهم كان وقع صداها
منشداً للحياة أغنيةَ القو
جرسُ الموتِ رنّ ملء الفضاء
ضىَ ولحن الجنائز السوداءِ

رجعوا في جباههم صُفرةُ الأشـ
هذه الأعينُ الرماديةُ الأمّ
جراح يمشون في جمود عميقٍ
ررار هل خلف صمتها من بريقٍ؟

هل حديث عن الليالي البطيئا
عن جليد الضباب ينهش جسمَ الـ
ت وعن ثلجها الكثيف الثقيل
صمت في ظلمة المساء الطويلِ

عن سهاد الأحزان في أمين الحرّ
رسبَ الليلُ فوق أهدابهم ثلـ
امس في الخندق الرهيب الدامى
ججا ومات الإحساسُ في الأقدام

سهروا يرصدون أقبية الليـ
مات في ذكرياتهم وتر الإحـ
ل سكارى بالسهد والانتصار
ساس بالبرد والسكون العارى

يرصدون الحياة في ملل مرّ
كل عينين فيهما قصة تُدّ
التلوى مسنن الأصفاد
لحى وتروى لليل سهد الرماد

والجنود الذين أصفوا مع المو
كل أحلامهم كوايس من نا
تى وناموا على الثرى الثلجى
ر وقتلى ووحشة ودوى

ثم يأتى الصباحُ ثانيةً يمر
من جليدٍ يمرُّ يحصدُ لا يُدّ
حَبُّهُ الموتُ أسودَ الأنيابِ
لقى على الأرض غير صمتِ الخرابِ

ويضيغُ المساءُ فى ألف فجر
كلُّ شىءٍ يذوى وينهار لا يُبّ
ويضيغُ الصباحُ فى ألف ليل
لقى على الأرض غير ذِكْرَى وظلّ

ويطلُّ السلامُ ذاتَ ضحىٍ حطّ
ملء عينيه نعمة الحلم الخج
مه الليل والمدى المستحيل
لأن والصمت والرجاء الهزيل

السلام الحزين هذا الطريد الـ
ذو العيون الزرقاء ينبع منها الشـ
مائه الخطو ما له من مَقَرّ
مرُّ والحبُّ فى صفاءٍ وطهر

ها هو الآن يستقر على الأر
فى دماء السنين تنكئ الحـ
ض غريباً ممرغ الجنحين
بة فى مقتلتيه فى الشفتين

يعبر الميتين والمدن الصم	ساء والجذب والامسى والذهولا
باسما فى مرارة ليس يدري	كيف عاد الامس القديم ذبولا؟
اتركوه يهيم فى الجذب والفو	ضى ويحصى الجراح والآهات
اتركوه مضيعاً دون ماوى	تائها فى مجاهل الظلمات
يتغذى بالذكريات ويأوى	لتلال الانقراض والأشلاء
ويغنى له الغراب نشيد الشد	رر والموت فى اريداد المساء
أى قلب يزويه؟ كيف يعيش الضد	هوء فى رفقه الدجى والشرور؟
كيف يحيا البياض فى هذه الأو	عية السود فى خمود الصدور؟
أى عينين تُدركان صفاء	وتُحسّان سره المكنونا؟
هل تبقت إلا كهوف شقياً	ت تسمى مآقياً وعيوناً
ملؤها اليأس والمرارة حيناً	ملؤها الشر والأذى أحياناً
أين يأوى السلام والحب؟ يا للـ	حرب لم تبق فى الثرى إنساناً
ليس إلا قوافل من حيارى	نام فى ذكرياتهم كل صوت
يلزعون الحياة فى حيرة الأشد	باح يمشون ميتاً إثر ميت

وأبقت صممتا عميقاً طويلاً	بردت في عيونهم قصة الحب
ننى وأبقت غشاوة وذهولاً	وخبث في جفونهم ومضة المع
يملاؤن الوجودَ ضحكا وحزنا	الخياري لا يدركون لماذا
أى مغزى وراءها؟ أى معنى؟	وجنون الحياة من أجل ماذا؟
ب اضطراباً ممزقاً لا يقـ	الخياري أبقت لهم قصة الحر
ح وشكا في كل شيء يمر	وجحوداً يكادُ يكفُرُ بالرّو
قصصت زوابع الأيام	يمبرون الأيام أجنحة شلاء
سليق في غطّة من الأحلام	ريشها فهي في الثرى تبصر التح
وين والخلق واصطياد المعاني	وانطوت في عيونهم قدرة التلـ
ف جمود الأشياء من ألوان	فهم لا يرون ما يختفى خـلـ
سان قوس الأمطار يقطر شعرا	ربما أبصروا على الأفق النـمـ
سم نشيداً بنوب شهداً وعطراً	كل لون يذيع في خاطر الغـبـ
ق تراب الملل والبغضاء	وهم يسحبون أقدامهم فـو
باء قبر الجمال والإيحاء	وما أقبيهم الرمادية الجـدـ

اشحى يا غيوم وانطفئى يا ولن يشرق الجمال؟ أليس	مقلة الشمس فى الفضاء البعيد جان؟ للاحتراق؟ للتبديد؟
ولن تضحك النجوم؟ لمن تد ولن ترقص الفراشات سكرى	كب أهدابها كؤوس الضياء بميون البنفسج الزرقاء؟
ولن هذه المبنوية فى الأز فى غناء الجداول العذبة الوست	هار؟ فى نعمة الشذى النشوان؟ سنى لأرض عشبية الأحضان
فى ابتسام المروج بعد مساء فى دموع الندى على زهرة بيد	مطر الصمت دافئ الديجور ضياء نامت على حفاف الغدير
ولن ترسل المصافير لحن الـ والحفيف المقتون إن لم توسد	حب والضوء والشذى كل فجر؟ ه رؤانا لمن يذوب ويسرى؟
أغناء ولا مسامع تؤوى الـ وجمال ولا عيون تحوك الـ	لحن والحب فى كؤوس الشعور؟ حب منه حللمها المسحور؟
وينابيع تسكب السكر الذا وورود حمراء يحترق العط	نب ماء وليس من عطشان ر عليها فى الجذب والنسيان

ومهادٌ من الشذى رخصة العشد	سب تذيع اخضرارها فى الفراغ
وعطور تظل تجرفها الامر	طارُ فى عاصفِ الرياح الطاغى
كلُّ هذا العطر المبعثر ملء الا	رضِ ملء الحياة والآفاق
لم يعد يوقظ المروق التى اغد	غت عن اللون والسنا البراق
وانطوت فوق ذاتها ترقب الايد	سام مملوءة اسى ومـلـلا
الشعورُ العميق تدعوه وهماً	وتسمى حب الجمال خيالاً
هذه الأنفسُ للمزقة العمم	جاء، هذى المدافن الجوفاءُ
هدمتها مخالبُ الحربِ وامتصت	ت شذاها الدماءُ والأشلاءُ
وتبقت فيها مقابرُ للشر	وللبأس جهمة الآفاق
عكست بعض جذبها وأسماها	صرخات الفراغ ملء المآقى
أين تمضى هذى الملايين فى العت	حمة؟ ماذا يجرّها للمسير؟
ما معانى الألفاظ فى صمتها الـ	مسكون بالحزن والرجاء الكسير؟
إنهم يقطعون أرض الأسى والـ	جذبِ حيث الجمالُ لا يستقرُ
حيث فكُّ الملل يبتلعُ الأكـ	وان حيث الذكرى ظلام وشرُ

حيثُ يبنى الفراغُ عشًا رَمَادَ يا وَيْحى فيه الأذى والشقاء
وطيورًا شوهاء حاقلة الأذى غمامَ غلوة الصلَى بفضاء

اشحى يا غيومُ وانطفئى يا مقلة الشمس فى الفضاء الفسيح
ودعينا هنا مع النقم السو داء نهب السهاد والتبريح

فى دوى الرياح منوكبنا يز حفٌ نحو الضياء تحت الظلام
عائراً بالأشلاء أشلاء من ما توا وأبقوا هياكلاً من عظام

من بعيد خلف الغيوم التى نف غمر فاما فى دربنا للجهول
ربما لاح بارق كشرعٍ أبيض الوعد فى الظلام الثقيل

بعض دفعه ناد يسيلُ على الأف حق وراء الوهاد والأكام
بعض كأسٍ تنالُ حافتها البید ضاءَ إغماءة الشفاءِ الظوامى

ذلك النبعُ بعد هذا السرى العط شأن بعد الصراع بعد الجراح
لو لمسناهُ لو غسلنا به كلَّ أسنانا ويأسنا الملتاح

ذلك النبعُ حيث نغمس شكوا نا ونسقى تعطش الأحلام
من جليدٍ نميشُ تعرُّفنا الريد حُ وتلو نشيدنا للممام

ربيع في ظلِّه الفسيح مكانا
لنا بعض قصَّةٍ وكيانا

ت صرَّحَ ولم نعيش أمواتا
فخُّ بالضوء إنَّ فيها حياة

وملأنا الحياة شمراً وفناً
في سكونِ الوجودِ لحناً يُغنى

حُ على الأرض في وجوم الخريف
ل وفي عاصف الرياحِ المخيفِ

بيض في الصيفِ في سكونِ المساءِ
ن مع الفجرِ دولة الأنداءِ

في اللياليِ أشهراً وسنيناً
رِ جَهلنا وعاءُ المكنونا

ليس منا من ذاقَهُ أو رآهُ
جوبُ خلفِ الضبابِ أين تراهُ؟

من جديدٍ يعودُ يَبْنِي لنا التنا
وتقولُ الحياةُ إنَّ لنا ظلاً

إننا لم نمرَّ بالمالم الميِّ
إنَّ في ذكرياتنا وترأ يخد

منقولُ الحياةُ إننا مررنا
إن شيئاً منا عميقاً سيبقى

في حفيفِ الأوراقِ تسحبها الريد
في يروق الشتاء تفتحهم اليب

في ارتشافِ الظلامِ للقمرِ الأب
في أغانيِ فلاحين تجويا

منقول الحياةُ إننا بحثنا
عن رحيقِ مغلفٍ بالأساطيرِ

نحن ندعوه بالسعادة لكن
ذلك اللُفْزُ، ذلك الحُلْمُ المح

فِي أَنَاثِيلِنَا يَعِيشُ ضَبَابًا نَاتِهًا فِي مَدَى فَسِيحِ عَرِيشِ
فِي حِكَايَاتِنَا يَظَلُّ أَسَاطِيرَ رَ وَلُغَزَا مُحَجَّبًا بِالْغَمُوضِ

تَتَفَنَّى بِهِ وَنَجْهَلُ مَا كُنْ هُ شَذَاهُ وَأَيْنَ يَحْيَا ضِيَاهُ؟
أَهْوَجْتِنِي مَجْنَحَةُ الْأَقْد لِدَامِ نَحْيَا فِي عَالَمٍ لَا نَرَاهُ؟

مِنْ حَرِيرِ السَّحَابِ أَثَوَابُهَا النَّا عَمَةُ النَّسْجِ مِنْ خِلُودِ الزَّهْوَرِ
مِنْ جَنَاحِ الْفَرَاشِ مَلَمَسُ خَلِيٍّ هَا وَمِنْ رَقَّةِ الشُّذِيِّ الْمَحْوَرِ

مَقْلَتَاهَا الْمَمِيقَتَانِ وَجُودٌ أَزْرَقُ اللَّوْنِ نَاعِمٌ وَضَّاءٌ
مِنْهُمَا تَتَبُعُ السَّمَاءُ وَلَوْنُ الْ بَحْرِ مِنْ نَعْمَتَيْهِمَا الْأَضْوَاءُ

مِنْ غِبَارِ النُّجُومِ جَنَرَانُ مَاوَا هَا الْغَرِيبِ الْمَشِيدِ فَوْقَ الزَّمَانِ
فِي مَكَانٍ مِنَ الْوُجُودِ عَلَى بَا بٍ رَوَاهُ يَضْمِيعُ حُدَّ الْمَكَانِ

وَعَلَى رَأْسِهَا جَدَائِلُ بَيْضِ الْ حَطَرِ مِنْ زَنْبِقٍ غَرِيبِ الرُّوَاهِ
أَنْبَتَتِهِ حَدَائِقُ الْقَمَرِ النَّا ئِي لَتَلِكِ الْجَنَّةِ الْبَيْضَاءِ

وَيَدَاهَا الْمَسْحُورَتَانِ تَقُودَا نِ النَّجُومِ الشَّقْرَاءِ عِبْرَ الْفَضَاءِ
وَتَسُوقَانِ رَكْبَ أَحْلَامِنَا الْحَو رَاءِ نَحْوِ الضِّيَاعِ وَالْإِنْطِقَاءِ

بر بعيد يقوم خلف الغيوم
هي وأشتات حللنا المحطوم

سنا وأشواقنا ونار صبا
ماء والصمت ساخر من أسانا

خية القلب من بنات السعالى
هاتنا في الفراغ ملء الليالي

سنة النسيج من حطام منانا
رربة اللون من لهيب دمانا

رين في كل قفيرة ريداء
كل حلم نصوغه ورجاء

حاسر لو لان قلبها الصخري
رض وافتر وجهها الزنقي

ح الاغاني المسودات الرنين
ب كأمواج جدول مفتون

تلك جنية السعادة في قص
عنده تنتهي رغائبنا الول

وعلى سوره نصب أمان
في انفعال نطق أبوابه الصمد

وهي تلك الجنية الفظة الوح
ربما اقتات روحها بصدى آ

ربما شيدت أريكتها الفض
ربما لونت ملابسها الفج

وصداها ترويه من عطش السا
وتغذي نيران موقلها من

هذه الربة النحاسية الإح
لو أراقت ضياءها فوق هذى الأ

لو حنا سمعها وأصنى إلى رج
يتلوى الحنين فيها وينسا

أرسلناها حناجرُ نَمِيتْ أَنْ
لم تعد تعرف العذوية فاليا
الأغاني قد لا تكون بكاء
مِنْ حَشَاها خَشونة وازدراء

آه اصغى يا ربة الأفق المفق
وبما لم تزل حناجرنا تم
خمود من سترك الذى لا يُزاح
لك لحناً لم تبثله الجراح

وانظري من ضباب قصرِكَ من لُغْ
أرسلى نظرةً كما يعبرُ البر
زك من صمت جوِّك للجهول
قُ إلينا من جَفَنك المعسول

نحن جئنا يأسنا بأمانيد
الملايين مُرسِلين مع الأح
نا بأشلاء أمستنا المدفون
زانِ حُلْمِ المستقبل الموهون

نداء إلى السعادة

يا ضباباً من الشذى الشفافِ
يا جمالاً بلا حدودِ
يا رقيقاً معطراً في ضفافِ
ليس يدري بها الوجودِ

أين تحين في شغاف الغيومِ
حيث لا يبلغ الخيال؟
أم تجوين في بحار النجومِ
زورقاً يعبدُ الجمال؟

أسدلى شَعْرَكَ الطويل الطريا
خُصَلات من الحريرِ
وأرقى أشقارها الغيميا
يفرش الكونَ بالعيرِ

وأزري أهدابك العَبَقَاتِ
عن أساطيرِ مقلتينِ
ملء لونيها اندفاعُ حياةٍ
واكتلاقاتُ كوكبينِ

يا جبيناً ملوناً بالمعاني
حجبت سحره الغيومُ
يا عبيراً نشواناً بالألحانِ
يا خدوداً من النجومِ

من ضبابِ الرؤى إلينا إلينا
قبل أن تُزْمَعَ الرحيلُ
وابسطى ظلكَ الحنونِ علينا
ظلكَ الدافئِ الجميلِ

نحن في مَبْعَةِ الصبَاحِ سنمضي
قبل أن تفرغَ الكؤوسُ
وركابُ الديدانِ في كلِّ أرضٍ
لم تنزلْ تحضرُ الرموسُ

ووراء السياج ينشقُّ يومٌ
ملء عينيه أحجيات
رنَّ في صوته الصدى المشؤومُ
دون أن تعلم الحياة

والسكون العميقُ ملء الوجودِ
جامدٌ يرصدُ الحياة
يتغذى بكلِّ لحنٍ سعيدٍ
لَمَسَتْ عطره الشفاة

وزهور الحقول تحمل سرّاً
بذرة الموت والذبولِ
لحظة في الصباح تقطرُ عطراً
ثم يمضى بها الأفول

وكؤوسُ الهوى المعطرِ تسقى
عسل الحبِّ لحظتينِ
يختفى بعدها الرقيقُ ويُنقى
في فم الكأسِ غصّتينِ

وارتماشُ الظلالِ فوق السواقي
سوف يمضى به الشَّقَقُ
والجمالُ الذي يُظِلُّ المآقِي
رَبِّمَا غَالَهُ الأَرْقُ

والأغاريدُ قد يرُنُّ صداها
لحظات مع الصَّبَاحِ
وزهورُ المروجِ صُمرُ شذاها
ليس أبقى من الرياحِ

نحن نحيا في عالمٍ من ظلالٍ
عابرٍ نَسْجُ عنكبوتٍ
كالمصافيرِ في ربيعِ الدوالي
نتغنّى لكى نموتَ

فامنحينا رؤياك قبلِ الرحيلِ
يا ابنة الحبِّ والخيالِ
لحظة عند نبعك الممسولِ
نفسلُ اليأسَ بالجمالِ

علنا من رحيق عينيك نسقي
عطش الروح والشفاء
وعلى ملتقى سواك نلقى
عبء ما شجّت الحياة

علنا بازرقاق عينيك نبني
من جديد لنا سماء
علنا باشقرار شعرك نغني
سطوة الليل والفناء

آه مدى يدك مدى يدك
كل شيء هنا يضيع
وانبجاس النسيم من شفتيك
كيف نبقى للربيع؟

وهنا تغرب النجوم وتذوي
في الدجى رقصة القمر
وكؤوس الأزهار في الحق تهوي
هكذا يحكم القدر

فى شعاب الظلام نبقى نسيرُ
أين أواهُ تهرئين؟
قصرُك الزبقى أين يغورُ؟
كلّما كاد أن يبين

فيم، كالماء فى رمال الصحارى،
لحظات وتضيين؟
كشروق الهلال، كالأزهارِ
كخيالاتِ حالمين؟

ولماذا، إن جنت بعد العذاب،
يقتنى خطوك القلق؟
فيحسّ الفؤادُ ظلَّ اكتئاب
كغيوم على الأفق؟

وفراعاك فيم بالسّم تهيم
حينما غملاً الكؤوس؟
كلُّ كأس وفيه قطرةٌ همٌّ
ما زجتْ نشوة النفوس

كلُّ لونٍ تعيش خلفَ صفائه
ظلمةٌ تاكلُ الجمالَ
كلُّ حبٍّ يضمُّ خلفَ انتشائه
بذرةَ الموتِ والزوالِ

اهبطي يا أنشودةَ الحالمينا
من قضاكَ المورِدَ
وامسحي مرةً صدَى الظامينا
في دُجَى ضائعِ القَدِ

وسنني هنا معابدَ بيضا
فوق أرضٍ من الرجاءِ
غسلتَ صدرَها الفسيحَ العريضا
أدمعُ اليأسِ والشقاءِ

علنا مرةً نذوقُ شذاك
بعد هذا الصدى الطويلِ
والشفاهُ الظمأى لشهدِ نذاك
تلمسُ الكوثرَ الجميلِ

...

<p> فام فى كل معبر مسكون ديد نشوان بالأسى والحنين </p>	<p> فى غبار الحياة، فى مزلق الآت رنّ هذا التشيدُ مُخلج التـر </p>
<p> رُبمعى حواء أول حزن ر ولم تبَق فسحة للتمنى </p>	<p> وشدتهُ القرونُ منذ رأى الفـج منذ رنتُ فسؤس آدم فى الصـخ </p>
<p> لى وعمرُ الوجود بضع سنين جِنة الزئبقية التكوين </p>	<p> منذ مرّت قوافلُ البشر الأو عبروا يبحثون عنها عن الجنـد </p>
<p> ها أحبوا حتّى أكتاب الرحيل وخفايا كيانها المستحيل </p>	<p> باسمها يحرثون من أجل عين ثم ماتوا وأورثونا هواها </p>
<p> غمست فى الحرير شوق صباها عت إلى رقة القصور رؤاها </p>	<p> حدثونا عنها فقالوا فتاة ليس تقوى على الحياة إذا جا </p>
<p> لداها الناعمات ألف خميل ن لياليهمو كحلم جميل </p>	<p> فهى للأغنياء تبسط من أه وعلى شعرها المبيرى يقضو </p>

بجان والزاهدين حيث أفاءوا
هـا مكانَ النعيمِ خبزٌ وماءٌ

ظلمتْهُ سَكِينَةُ دِيرِهِ
ضُومِنَ خَشْعَةِ الشَّمْعِ النَّقِيَّةِ

فَ وَبَنَتِ الذَّرَى وَاخْتِ الْوَهَادِ
أَثْقَلَتْ عَطْرَهُ أَغْنَانِي الْحَصَادِ

هـا وتآوى إلى بيوت الفرائشِ
سُ إِذَا قَبَلَتْ ذُرَى الْأَحْرَاشِ

كَيْفَ نَحْيَا فِي عَالَمِ النِّغَمَاتِ
حَتَّى الْكُوكَبِيَّةِ الرَّعْشَاتِ

لِي خِيَالَاتُ شَاعِرٍ مَسْحُورٍ
رُ وَأَسْرَارُ طَرْفِهَا الْبَلُورِ

تَصَبُّ الرِّحْقُ لِلْعِشْقِ
تَسْكِبُ الظِّلُّ فِي هَجِيرِ الْفِرَاقِ

ثُمَّ قَالُوا جَنِيَّةٌ تَبِيعَ الرَّهْ
مِثْلَهُمْ نَعْتَقُ السَّكُونَ وَنَرْضِي

مِنْ تَرَاتِيلِهِمْ تَشِيدُ مَأْوَى
مِنْ بَخُورِ الْكُفَّانِ جَدْرَانَهُ الْبِيدِ

وَسَوَاهِمُ يَظُنُّهَا رِيَّةَ الرِّيدِ
لَيْسَ يَرُوى إِحْسَاسُهَا غَيْرُ جَوْ

مِنْ كُؤُوسِ الْأَزْهَارِ حَمْرَةَ خَلِيدٍ
وَتَغْنَى لَهَا النُّوَاعِيرُ وَالشُّمُ

وَسَوَاهِمُ يَرُوى الْحِكَايَاتِ عَنْهَا
مِنْ بَكَاءِ الْأَوْتَارِ تَنْسِجُ أَرْجُو

وَيَقُولُونَ إِنَّ مَسْكَنَهَا الْأَمَّ
ظَلَّلَتْ رُوحَهُ جَدَائِلُهَا الشُّقَّ

وَقُلُوبُ تَظُنُّهَا رِيَّةَ الْحَبِّ
وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ شَهِدُوهَا

ورأوها تهشُّ في مقتلني (قيد	س) مع الدمع والضبابِ الثقيلِ
وأحسوا كيانها المَرَّحَ الرا	قَصَّ في حزن (توبة) و (جميل)
ومشاتْ تُحسُّها في شفاءِ الد	كاسٍ في غمرةٍ من الهَذيانِ
في ضبابِ الجنونِ في دولة الأجد	سادٍ في عالمٍ من الأدرانِ
ومشاتْ ترجو العشور عليها	في زوايا النفوس خلف دجاها
في دروبٍ دكتاءَ يَجْهَدُ ضوؤه الد	قمرِ الطفلِ أن يمسَّ ثراها
في خفايا مغمورةٍ عنكبوت الد	شمر ألقى فيها سريراً مريحا
وركاب (السيرين) آوت إليها	والشمايين أثقلتْها فحيحا

صلاة إلى بلاوتس

(إله الذهب)

من ضفاف الدُّجَى الآخرُ نحن جنناك لاهينُ
واقنفينا خُطَى القَمَرِ فوق أرضٍ من الإبرِ
فى دِجاجيرَ من أنينِ

الصحارى رمت بنا فى مناهاتها الغلاظِ
رملُها فى جلودنا فى حنايا جفوننا
لم يزل يسكبُ الشواظِ

والأعاصيرُ والرياحُ تركت فى جباهنا
من سكاكينها جراحُ وأراقت مع النواحِ
ملحها فى شفاهنا

كلما رقرقَ الكلالُ بحّة الموت فى نشيدِ
وحنت أذرعُ الرمالِ فوق أجسامنا الثقالِ
عبثها الساحقُ المبيدُ

رنّ في أنفنا صدّى من رنين اسمك الأحب
فمضينا إلى اللدى في صراع مع الردى
باسم محبوبنا الذهب

هكذا يعموا إلى الشرق آلا فاجياعاً للمنع المزعوم
يقطمون الأكام ترسيهم الصح راء من حيرة لبأس أليم

ضللتهم أسطورة عن مكان خلف بعض الجبال في حضن واد
حيث يجري نهر من التبر مسحو ر طوت سره صخور الوهاد

قطرة منه تمنح الكف لمسأ ذهبى التأثير فى الأشياء
والزهور النى تحف بشطبه شظايا كواكب يضاء

أين هذا الوادى؟ وضج فضاء الصر حت والليل والمدى بالسؤال
أين هذا الوادى؟ وساروا يجرو ن قيوداً من الرغاب الثقال

فى سكون يلوذ كل بسر ذهبى الوشاح والتلوين
حالمًا فى الظلام بالجدول المو عود فى عاصف عميق الحنين

سَقِ قِلاعاً فضْيةَ الأبوابِ
سَرَمَكانَ الأشجارِ والأعشابِ

من خيالانه بصوغ على الأَفْ
وبلادا وديانُها تُتَبِّتُ النُصبِ

رُرقاقِ تبريةَ الأبدانِ
مُتَرفاتِ فضيةَ السيقانِ

ومكان الفرائش تسرحُ أطيا
ومكان القطيع تحيا وعول

أساطيرُ قلعةٍ مسحورة
كان) سرا في أعصر مَطمورة

في خفايا هذا المكان الخرافي
من تراث الإغريق شيدها (قلد

لِدن منحوتةِ الذُرَى سوداءُ
ثَقُلُ (فيكا) خدودها الملساءُ

وبناها على رَوَابٍ من المعد
ناعمات على مزلقها تصد

رُضخامٌ تَمَسُّ أَفقَ النجومِ
تِ أساطيرُ عن زمانٍ قديمِ

هي برجٌ عَلَتْ حواليه أشجا
وَنَمَتْ في أنحائه الكوكبيّا

مضة اللونِ من لآلي البحارِ
حماقِ بحيرِ مُطلَسمِ الأسرارِ

ويقولون إن جدرانها الغا
جمعتها عرائسُ الماءِ من أم

قُلة الصمتِ فوق أروعِ سرِّ
ميسَ في ليلِ بابلِ ذاتِ عصرِ

ويقولون إن أبوابها المُفْ
نُزَعَتْ من جُدرانِ قصرِ سميرا

والقِبابُ الضخامُ من خَشَبِ الجِو
من شِعَابِ الهِنْدِ المَلْفَعَةِ الغَا
ز الشَّذِيَّ المَعْطَرِ الأَلْوَاخِ
بَاتٍ بِالذِّكْرِيَّاتِ والأَشْبَاحِ

هذه القلعة الضبابية الشك
ليس يدري مكان سلمها العا
ل إليها يضيغُ خطو الساري
لى رِوَاةُ الأَلْغَازِ والأَخْبَارِ

ليس يدرون كيف يبلغها سا
ذلك الأهرج البطيء الخطى يَسْ
كُنْهَا الصامتُ الغريبُ الطباعِ
بَقُّهُ النَمْلُ - إِنْ مَشَى - والأَفَامَى

ذلك العاجزُ الكفيفُ الذى يَمْ
ليس يَعْنِيهِ أَنْ يُسَلِّمَهَا شَيْ
نَحْ مِنْ لَا يَرَى كَتُوزاً ضِخَامَا
مَخَاً بِخَيْلٍ أَوْ قَاتِلًا أَوْ غِلَامَا

ذلك الشيخ، كيف يصعدُ أين الـ
أَنْرَاهُ - كَمَا يَقُولُونَ - يَوْوَى
ضَبَابٌ؟ أَيْنَ السَّلَامُ السَّحْرِيَّةُ؟
بَيْنَ جُذُرَانِ قَصْرِ جَنِيَّةِ؟

شمرها - هكذا رَوَّاهُ - بَارَكْنَهُ
فَمَا كَالْحَيَاةِ ثَرَاً غَزِيرَا
مَنْ قَنَانِ (الأولب) أَيْدِ خَفِيَّةِ
أَبْدَى الْمَسِيلِ كَالْأَبْدِيَّةِ

وَمَا كَالضِّيَاءِ كَالْبَحْرِ يَمْتَدُّ
إِنْ أَرَادَتْ شَدَّتْ بِهِ الْقَمَرُ النَّا
سَحِيقِ السَّوَادِ دُونَ انْتِهَاءِ
ئِى إِلَى الأَرْضِ أَوْ إِلَى الْجُوزَاءِ

سَلَمًا لِلضَّرِيرِ كُلِّ مَسَاءٍ	ذَلِكَ الشَّعْرُ رَيْمًا أُرْسِلَتْهُ
وَمِرَاقِي تِلْكَ الرُّمَى الْمَسَاءِ	يَتَخَطَّى عَلَيْهِ مِرْتَعَشَ الْخَطِّ
رَأَاهُ إِحْدَى الْجِدَائِلِ الْمَسْحُورَةِ	أُرْسَلَى يَا طَوِيلَةَ الشَّعْرِ يَا سَمَ
أَقِ مِنْ هَذِهِ الْوَهَادِ الْكَسِيرَةِ	وَارْفَعِي الْهَاتِمِينَ بِاللَّعَبِ الْبَرِّ
سَنَةٌ وَالصَّمْتُ فِي مَدَى أَحْدَاقِكَ	أَوْ أَطْلَى يَوْمًا بَوَاجِهَكَ، بِالْفَتِّ
صَصَّ عَنْ الْهَالِكِينَ مِنْ عُشَّاقِكَ	وَأَعْيَدِي عَلَى الْجُمُوعِ أَقَاصِي
بِرِّ (مَيْدَاس) كَيْفَ كَانَ مَصِيرُهُ؟	حَدَّثِيهِمْ عَنْ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْغَا
يَبَاءُ مَاذَا جَنَى عَلَيْهِ غُرُورُهُ	أَيْنَ سَافَتْهُ شَهْوَةُ الذَّهَبِ الْعَمَرِ
جَمَّ إِلَّا إِنْ أَذْكَرْتُهُ سَنَاهُ	جُنَّ بِالْتَّبَرِّ لَمْ يَعْذُ يَمُشِقُ الْأُنْدَ
دَمْشِيرًا لِحَبِّهِ وَرَوَاهُ	وَأَزْرَقَاقِ الْغَيْومِ وَالْبَحْرِ مَا عَا
رُوحَهُ، وَالزُّهُورُ لَا تَرْوِيهِ	وَاخْضُرَّارُ الْجِبَالِ أَصْبَحَ يُوْذِي
سَاجُ أَحْلَامِهِ إِلَى أَلْفِ نَيْهِ	فَهُوَ عَطْشَانٌ يَدْفَعُ الذَّهْبُ الْوَهْدَ
بَ الْعَيُونِ الْكَحْلَاءِ تَبْرَأُ نَقِيًّا	وَدَّ لَوْ حَوَّلَ الْخُدُودَ وَأَهْدَا
لِلْأَنِّ وَالشُّوقِ نَائِمًا قِي مُحِبًّا	وَأَشْقَرَارَ الْأَفَاقِ، وَالشَّفَقَ الْحُجْبَ

والشفاءُ الحوَّاءُ يَنْضَحُ منها الدُّ
ذهباً عجمُ الشفاءِ عليه
فهْ كم ودُّ لو نَحْوُكُنْ سرّاً
قُبلاً كالرخامِ يقطرنَ تبراً

حدِيثُهُمْ وكيفَ ذاتَ مساء
يلمسُ الكَنْزَ في انْفِعالٍ جنونِيٍّ
كانَ (مَيْداسُ) لاهِثَ المَقْلَتَيْنِ
وفي كَفِّهِ لَطَى شَفَتَيْنِ

وأزاحَ المِساءُ سِنْرَ دِجاءُ
في استداراتٍ وجْهَ المَحْمَلِ الـ
عن صَبِيٍّ من عَالَمِ الأَطْيَافِ
لونَ إِبْراقٍ مَنبَعِ شَفَّافِ

وعلى رَأْسِهِ جِداثُ شَمَرِ
وسماءٍ في مَقْلَتَيْهِ من الزُّرِّ
ذهبيٌّ يَفْارُ منه الفَتُونُ
قَهْ والمُحْمَقِ لم تَلْها عِيُونُ

«عَمَّ مِساءً» وأَجْفلَ المَلِكُ الشَّيْبَ
غيرَ أَصداءِ بَحَّةٍ حَشْرَجَتْ وانـ
خُ وماتَ البَرِيقُ في عَيْنِهِ
طَلَقَتْ صَرخَةً على شَفَتَيْهِ

أَيُّ بابٍ قادتْ خُطى الوافِدِ اللجـ
أم تَرَاهُ خِبالَهُ جَسَدَتِها
هول؟ هل جاءَ من شُقوقِ الجِدارِ؟
نَتْنَةُ الكَنْزِ واتِّساقُ النُضارِ؟

«عَمَّ مِساءً مَيْداسُ» مَنْ أَنْتَ ماذا
وأجابَ الطَيفُ الكَرِيمُ: «أنا أمـ
تَبْتَغِيهِ في قُبُوى المَجْهولِ؟»
لَكَ مَحَقِّقُ كُلِّ حُلُمٍ جَمِيلِ

أنا ربّ التعمّيات شفاهي
في ذراعيّ قسرةُ الخلق لو شدت
تملكُ المستحيلَ والأبعادا
ستُحوكتُ كلُّ حيٍّ جمّاداً

ملء كفى الورودُ والذهبُ الوهـ
كلُّ ما شئتَ فاقترحْ تهبط الألف
ساجُ واللونُ والشبَابُ الطرى
سلاكُ والأفقُ والسّماءُ الكوكبيّ

أرأيتَ الأغصانَ في قبضة الإمـ
أرأيتَ النسيمَ في قلب رخا
صار تهتزُّ وردةٌ بعد ورده؟
ل سنينٍ وإتاه حُلُمُ العوده؟

هكذا لونُ الحماسِ خدود الـ
وجشا ضارعاً وصباح: حنائـ
ملك الغرُّ وهو يسمعُ هذا
لك ملاكى ماذا سؤالك ماذا

أعط هذى اليدَ المشوقة لسا
دع ذراعى لا تمسّان إلا
ذهبياً وقوّة من سحر
لتعيدا الأشياء عالمَ تبر

إيه ميداسُ، أيها الملكُ الأحـ
أرقبِ الآنَ مطلعَ الفجرِ وانظر
حقٌ ماذا جنيت؟ أى غرورٍ؟
كيف عُفّى خيالكِ المغرورِ

فى غد تستحيلُ أشجارك الحيـ
وسواقى المياهِ تجمدُ صفرا
ةً تبرأ تمافّه الأنداء
كصحراء جفّ فيها الماء

وَدَمَوْعُ النَّدَى تَعُودُ حَصَى صُلْدٍ	جَاءَ وَلَيْنُ الْوُرُودِ يُصْبِحُ صَلْدًا
وَرَحِيقُ الْكُرُومِ يَجْمَدُ كَالصَّخْدِ	رَدَفَاءُ الْأَعْشَاشِ يُصْبِحُ بَرْدًا
وَحَرِيرُ السَّنَائِرِ اللَّذْنِ يَفْدُو	جَامِدًا لَا لِيُونَةُ لَا انْتِبَالًا
وَوَهَاوُنْدُ) بَتُّكَ الْعَنْبَةُ الْجَمْدُ	لِي سَتَفْدُو فِي لَحْظَةٍ تَمْثَالًا
هَكَذَا تَتَسَهَّى خِيَالَاتُكَ التَّبِ	رَبِيَّةُ الصُّفْرِ لِلْأَسَى الْأَبْدَى
فَاشْرَبِ الْآنَ خَمْرَةَ النَّدَمِ الْبَا	رِدٍ وَاسْكُرْ بِحُلْمِكَ النَّمْبَى

أُنشودة الرهبان

نحنُ بِالْأَمْسِ تَرَكْنَا صِيبَانَا وَوَهَبْنَا لِلسَّمَاءِ هَوَانَا
وَدَفَنَّا كُلَّ حُبٍّ عَمِيقٍ فِي مَكَانٍ لَا تَعْبِيهِ رُؤَانَا
وَلَقَفْنَا فِي ذَهُولِ أَيْدٍ كُلَّ دَرْبٍ قَطَعْتُهُ خَطَانَا
وَأَصْرْنَا لِلْمَكُونِ نَشِيداً بِشَرِّيَا كَأَن مَلَأَ مَنَانَا

لَا تَسَلَّنَا عَنْ طَرَاوَةِ أَمْسٍ عَنْ مَعَانِي أَلْفِ كَأْسٍ وَكَأْسٍ
عَنْ عِبُونِ مَرَحَاتِ الْأَمَانِي نَثَرْتُ فِي عَمْرِنَا دَفْعَ شَمْسٍ
عَنْ شَفَاءٍ فِي بَرودةِ فَجْرِ مَطَرِي الصَّمْتِ لِمَاءِ لُغْسٍ
عَنْ خُدُودِ دَافِنَاتِ عَذَابٍ كَخُدُودِ الْوَرْدِ رَقَّةَ لَمْسٍ

نحنُ ضَيَعْنَا رَوَائِي حُلُوه وَدَفَنَّا الْحُبَّ فِي كُلِّ رِيوِه
ثُمَّ تَهَنَّا فِي مَسَالِكِ حُلْمٍ وَأَفَلَقْنَا عِنْدَ حَافَةِ هَوَاهِ
وَشَرَبْنَا اللَّوْنَ وَالْمَطَرَ حَتَّى عَادَتِ الْكَاسَاتُ تُنْفِخُ شَقْوَه
فَاتَيْنَا الدَّيْرَ صَرَعَى حَبَارَى عَلَّ فِي دِيَجُورِهِ بَعْضَ سَلَوَه

هَذِهِ يَا حَيَاةُ مَمْلَكَةُ الرَّهفِ جَبَانٍ فِي عِزْلَةٍ وَفِي أَكْفَهَرَارِ
دَفَنُوهَا وَكَأَدَ يَنْسَى رَعَايَا هَا الْحَيَارَى حَتَّى ضِيَاءِ النَّهَارِ

شيدوها من كل لفظة شوق	فى العيون الحبيسة المحرومة
وسقوا أرضها الجليدية من بر	كان تلك العواطف المكتومة
وحَمَوْها من أن تغازلها الشم	حسُّ بالوانها ولين شذاها
وابوا أن يلامس القمرُ المن	فعلُ الضوء فى المساء دجاها
وتمنوا الأتمر بهـ ريد	حُ عبيرُ الصدى والنشيد
فنشأه الرياح تكمن فيها	قُبْلَ عذبة وذكري خلود
وتمنوا أن يُقفلَ الليل عينيه	وتخبو نجومُه السحرية
فعميونُ النجوم تُغوى بأهدا	بِ حريرةِ الرؤى قَمَرِيَّة
وهم يمسقون أن تشرب النحر	لحَّة شهد الأزهار كلَّ صباح
فرحيق الورود فى شرعهم خم	رُ ترقيقُ السُمووم فى الأرواح
والمطورُ السكرى ألم تنيع الأحـ	مزانُ بعد ارتشافها والجراحُ
إنها كالنبيد تُسكرُ تذكى	من حنين الجمال ما لا يسّاحُ
وغناء القنابرِ الذاهلِ المبـ	هورُ فى عرفهم- نداءُ خطايا
فى ثنياه آهة كسّر الحب	صداها وفيه نجوى صبايا

وخلدودُ الفَجَرِ الموردةِ النا	عمَةُ الدَفءِ والشَذَى والرحيقِ
حرَّموها فقد ثمرٌ على الزم	يدِ فتُصَحِّيه من سُبَاتٍ عميقِ
واقاموا سوراً ليمنعَ منهم	كلُّ ذَكَرَى من كلِّ أمسٍ بعيدِ
وأرادوه حارساً يطرُدُ العط	ر ويَحْمِي من النسيمِ البرودِ
وأباحوا أيامهم ليد الصم	ت الرصاصية المروق الشقبله
واقاموه حاكماً مخلصاً ال	حُكْمٍ لاذت به المُنَى المقتوله
إنه الدِيرُ فيه يتصمَّرُ المو	تُ وفي قبوه يعيش الآه
في خفایاه، في ممراته السو	د الحزینات لا يعيش الله
ممكنُ الصمتِ والكآبةِ والجند	ب وماوی الرغائبِ المدفونه
وصراعٌ مع العواصفِ تُصْحِي	نارُهُ أذرع الیالی اللعینة
ذلك العنكبوتُ ذو الأرجلِ الفظ	ة هل منه مهربٌ أو ملاذ
إنه من دمائهم يتغذَّى	وهو من قلبِ أمسِهم أفلاد
إنه حبُّهم يعود إليهم	ينسجُ الذکریاتِ والأهواء
لا تطيقُ الأسوارُ ردَّ خطاه	فهو قد خالطَ الرؤى والدماء

ن كأعماقِ بركة صيفيه	وهو حيناً حيناً صافيتنا اللو
أويدِ لدنةِ البياضِ شهيه	أو شفاهِ من قعرِ حُلُمِ بعيدِ
مكسنته للراغبين الكؤوسُ	ذلك المنكبوتُ كم عادَ وجهاً
ريّة الدير، هذه تابيسُ	إنّه وجهُها، أينسون؟ هذى

أغنية تاييس

ومن الأزهار ألوانى	من خيوط الضوء أديتى
عصرته كَفُّ شيطانٍ	الهوى المبهورُ فى شَفَتى
وخفيايا عالم ثانٍ	ولهاتُ الورد أغنيتى
بقمته حمرةٌ خجلى	وخلوى مُخملٌ لَنُ
ويرشُ الوردةَ الجَمَلُ ذلَى	من شذاها ينبُعُ اللونُ
للرياح العَلْبَةِ الكَسَلَى	وانا اللذَّةُ والأمنُ
ورؤى صيفيةٌ لدنه	وشفاهى ها هنا الينُ
وإذا شئتُ رُقَى فتته	إنها إن شئتُ سَكَّينُ
فيهما النشوةُ واللعنة	وذراعى أُناتين
ضَحَكَاتى واستطاب اسمى	من قديمِ عَشِقِ الدِيرُ
رَمَخَتْ فى الدمِ والعظمِ	ذكرياتُ ما لها غَوْرُ
لم يَضْحِككم إذن رسمى؟	أنا النَقْمَةُ والشرُّ

<p> كيف أشعلتُ أحاسيسه؟ إن أنا أصبحتُ تاييسه وهبطتُ الخلدَ قديسه </p>	<p> راهبُ الَامس أننسا؟ ما حياةُ الدير؟ ما الله؟ وهوى فى ركبٍ من تاهوا </p>
---	---

أغنية للإنسان

- ٢ -

”نظمت هذه القصيدة عام ١٩٦٥ عدا الأبيات المنسوخة

من مأساة الحياة في القسم الأول من القصيدة“

من صباحٍ لليلٍ هذا الوجودِ
ولنْ تنعمى بفك القُبُودِ

عَبثاً تَحْلُمِينَ شاعرتى ما
عَبثاً تسألِينَ لن يُكشَفَ السرُّ

تَك حَيْرَى تُمضِكُ الأسرارُ
لَمْ تُبَيِّنْهُ وتعلمُ الأقدارُ

فى ظلالِ الصَّفْصَفِ قَضَيْتِ سَاعاً
تسألِينَ الظلالَ والظِّلَ لا يَع

هولَ حَيْرَى فهل تَجَلَّى الخفى؟
خَرُصْتُ مُستغلقِ أبدي

أبدأُ تنظيرينَ للأُتَى للجدِ
أبدأُ تسألِينَ والقدرُ السا

ررارَ قلبٍ من قِبَلِ كَيْ تُدركُها
سَامَ فَلتَقنِى بأنْ مَجْهَلِها

فِيمَ لا تَيَاسِينَ؟ ما أدركَ الأمرُ
أَسفًا يا فتاة! لن تفهمى الآيَ

هُ أَكْفُ الأقدارِ كَيْفَ تشاءُ
ج؟ وهل نامَ عن منك الشقاءُ؟

اتركى الزورقَ الكليلَ تُسَيِّرُ
ما الذى نلتِ من مصارعةِ المو

سلامَ ماذا جنيتِ غيرَ الملالِ؟
حمةَ عُمرٍ بددتِهِ فى السؤالِ

آه يا من ضاعتِ حياتُكَ فى الأحـ
لم يَزَلْ سرُّها دفيناً فَيَا ضَيِّـ

هو سرُّ الحياة دقَّ على الأف
فيا يأسى يا فتاة، ما فُهِمَتْ من
بهم حتى ضاقتْ به الحكماءُ
قبلُ أسرارها فقيمَ الرجاءُ؟

جاء من قبلٍ أن تجيئى إلى اللذ
ليتِ شعرى ماذا جتوا من ليالي
يا ملاينُ ثم زالوا وبادوا
بهم؟ وأين الأفراحُ والأعيادُ؟

ليس منهم إلا قبورٌ حزيننا
رحلوا عن حِمى الوجود ولاذوا
تُ أقيمت على ضفافِ الحياة
فى سكونٍ بعالمِ الأمواتِ

كم أطافَ الليلُ الكئيبُ على الجوّ
شَهِدَ الليلُ أنه مثلما كا
وكم أذعنتُ له الأكسوانُ
نَ فأينَ الذين بالأسى كانوا؟

كيف يا دهرُ تنطفئ بين كَفِّب
كيفَ تذوى القلوبُ وهى ضياءُ
لكَ الأمانى وتخدمُ الأحلامُ
ويعيشُ الظلامُ وهو ظلامُ؟

كيف تحيا الأشواكُ والزهرُ الفا
كيف تمضى إلى الفناءِ الأناشي
تُنْ يذوى فى قبضةِ الإعصارِ
بدُ وتبقى سُخْرىةُ الأقدارِ

حدثنى القلبُ أنتِ أيتها الما
ما الذى تصنعين بى فى الغدِ اللج
ساةُ يا من قد سُمِّيتَ بالحياة
بهولٍ؟ ماذا ترى مصيرُ رفأتى؟

أى قبر أعددت لى؟ أهو كهفٌ
أم ترى زودقى سينفرك بى يو
ملء أنحائه الظلام الداجى؟
مأ فأتوى فى ظلمة الأتباع

وغرامى بالسرى يصرخ من أيد
وامامى أفق من الصمت والال
من؟ إلى أين؟ ما مصير حياتى؟
غبار ضلت فى تيهه خطراتى

لهفتى يا حياة كم تلعب الأو
أبدأ أسأل الليالى عن المو
هأم بى كم يؤودنى التفكير
ت وماذا ترى يكون المصير

طالما قد سألت ليلى لكن
ليس غير الأوهام تسخر منى
عز فى هذه الحياة الجواب
ليس إلا تخبُّط واضطراب

هل فهمت الحياة كى أفهم المو
لم يزل عالمُ المنية لغزاً
ت وللموت صمت قلب ضنين
عز حلاً على فؤادى الحزين

فليكن يا أيام لن أسأل الليب
امتحينى عن الزهور فلن أب
حل عن السر فاحكمى كيف شئت
كى ومدى الحياة لى إن رغبت

ولماذا أبكى؟ وهل يردع النّف
لن تزيد الدموع يوماً على عُم
عُ للتأيا؟ وهل يحسُّ القضاء؟
رى غداً رقدة غداً انطفاء

ولو أتى أحببت موتى وناديت
هل يجيب الممات رغبتي الحر
ت دُجَاهُ بأَجْمَلِ الأَسْمَاءِ
ي ويأتى ملتبسا لندائى؟

هكذا جئت للحياة وما أد
وساحبا كما يشاء لى المج
رى إلى أين سوف تمضى الحياة
يهول قلباً حقت به الظلمات

هكذا، ما يُريدُه القَدَرُ المَحْزُ
سَيرتني الحياة أين ترى مر
نومُ لا ما تُريدُه آمالي
سى سفينى وعند أى رمال؟

لم أزل ملكَ حَبِرَتى وذعولى
لست أدري ما غابنى فى مسيرى
بين ماضٍ ذوى وعمرٍ يمرُّ
أه لو يتجلى لمعنى سرُّ

لم أزل أقتلُ اللباليَ بحثاً
دون يأسٍ بحثتُ دون كلالٍ
عن ديار السعادة البشريه
فى قفارٍ ممثلةٍ أبدية

يا ديار الأحلام يا شاطئ الغب
لم أعد أستطيع أن أسكت الشو
طة يا من يضُمك للجهول؟
ق فكيف الوصول؟ كيف الوصول؟

كل شيء حولي يحدثنى عند
فاحملينى إليك من قبل أن يه
لك ولكن متى يحين اللقاء؟
حوى شرأى وتصخب الأنواء

ودعيني أعرفك ما أنت؟ حقٌ	وعيانٌ وواقعٌ مشهودٌ؟
أم ترى أنت محضٌ وهمٌ ورؤيا	وضبابٌ مُطْلَسٌ ممدودٌ؟
طلما حدثوا فؤادي عن لُفٍّ	جاءك لكن ما زلت حلُمَ صبيٍّ
لم أزل أملأ الليالي حيناً	واغتيك للوجودِ الشقيِّ

ذكريات الطفولة

لم يَزَلْ مجلسي على تَلَى الرَّمَدِ حلى يُصْنَفِي إلى أناشيد أمسي
لم أزلُ طفلةً سوى أننى قد زِدْتُ جهلاً بَكْتَهُ عُمُرِي ونفسي

ليتنى لم أزلُ كما كنتُ قلباً ليس فيه إلا السنا والنقاء
كل يوم أبني حياتي أحلا ما وأنسى إذا أتاني المساءُ

في ظلال النخيل أبني قلاعاً وقصوراً مثيلةً في الرمالِ
أسفاً يا حياةَ أين رمالي وقُصوري؟ وكيف ضاعت ظلالي؟

إيه تلُ الرمال ماذا ترى أب حَقَّيْتُ لى من مدينة الأحلام؟
أين أبراجها العليات هل تا هت وراء الزمان فى أوهامي؟

ذَهَبَ الأَمْسُ لم أعدُ طفلةً ترَ قُبُ عَشِّ المصفور كلِّ صباح
لم أعدُ أبصرُ الحياةَ كما كا نت رحيقاً يذوبُ فى أقداحي

لم أعدُ فى الشتاء أرنو إلى الأم طار من مَهْدِي الجميل الصغيرِ
لم أعدُ أعشقُ الحمامةَ أن غَدَّ ستُ وألهو على ضِفَافِ الغديرِ

كم زهور جَمَعْتُهَا وعطور
سرقَناها الحياةُ لم تَبْقَ شَيْئاً
كم تعاليلَ صُغْتُهَا بَدَدْتُهَا
وتَبَقَى تَذْكَارُهَا فِي يَدَيَا

كنتَ عَرَشِي بِالْأَمْسِ يَاتِلِي الرَّمْ
كانَ شِدْوُ الطُّيُورِ رَجَعَ أَثَابِي
حلىَّ وَالْآنَ لَمْ تَعُدْ غَيْرَ تَلٍ
لدى وَكانَ النِّعِيمُ يَتَّبِعُ ظِلِّي

كانَ هَذَا الْوُجُودُ مَمْلُوكِي الْكَبْ
ليتَ تَلِّ الرِّمالِ يَسْتَرْجِعُ الْأَمْ
رَئِي فَيَا لَيْتَهَا تَعُودُ إِلَيَا
رَارَ وَالشِّعْرَ وَالْجَمَالَ الطَّرِيَا

لمَ أَعُدْ أَستَطيعُ أَنْ أَحْكُمَ الزَّهْ
هلَ أَنَا الْآنَ غَيْرَ شَاعِرَةٍ تُدْ
رَ وَأَرْعى النُّجُومَ فِي كُلِّ لَيْلٍ
رَكَ سِرُّ الْكُونِ الْجَدِيبِ الْمُعْلَمُ؟

ذَهَبَ الْأَمْسُ وَالطُّفُولَةُ وَاعْتَضَبْ
كلَ مَا فِي الْوُجُودِ يُؤْلِنِي الْآ
تُ بِحَسِّي الرِّهيفَ عَنْ لَهْوِ أَمْسِي
نَ وَهَذِي الْحَيَاةُ تُجْرَحُ نَفْسِي

قدَ تَجَلَّتْ لِي الْحَقِيقَةُ طِيفاً
وتَلَاشِي حُلُمَ الطُّفُولَةِ فِي الْمَا
غِيهِيباً فِي مُقَلَّتَيْنِهِ جَنُونَ
ضَى وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْحَنِينُ

أَيْنَ لَوْنُ الْأَزْهَارِ؟ لَمْ أَعُدِ الْآ
كَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيُونِي أَزْهَاءَ
نَ أَرَى فِي الْأَزْهَارِ غَيْرَ الْبَوَارِ
رَأْتُ تَذَكَّرْتُ قَاطِفَ الْأَزْهَارِ

أَيْنَ لَحْنُ الطُّيُورِ؟ لَمْ يَمُدِ الْآ
فَالْغَنَاءُ اللَّذِيذُ ضَاعَ صَدَاءُ
نَ اسْتِيَاقًا وَفَرْقَةً فِي فَوَادِي
وَانطَوَى فِي تَذَكُّرِ الْمَيَادِ

أَيْنَ هَمْسُ النَّسِيمِ؟ أَشَوَّاهُ السَّكْ
فَعُدَّ يَهْمْسُ النَّسِيمُ بِمَوْتِي
رَى انْطَفَتْ لَمْ تُعَدْ تُثِيرُ خِيَالِي
فِي عَمِيقِ الْهَوَى وَفَوْقِ التَّلَالِ

أَيْنَ مَنَى مَفَاتِنُ اللَّيْلِ، شِعْرُ
لَمْ أَعُدْ أَحْشَقُ الظَّلَامَ غَدًا أَهْ
وَعَمُوضٌ فِي غِيَهَبٍ مَسْحُورِ
حَوَى عَظَامًا تَحْتَ الظَّلَامِ الْكَبِيرِ

هَ أَنَا الْآنَ تَحْتَ ظِلٍّ مِنَ الْمَصْفِ
أَقْطُفُ الزَّهْرَ إِنْ رَغِبْتُ وَأَجْنَى الدِّ
صَافٍ وَالتَّيْنِ مُسْتَقْطَابِ ظَلِيلِ
شَمَرَ الْحُلُوفِ فِي صَبَاحِ الْجَمِيلِ

وَعَدًا تَرْسُمُ الظَّلَالَ عَلَى قَبِ
وَعَدًا مِنْ دَمِي غَدَاؤُكَ يَا صَفِ
رَى خَطُوطًا مِنَ الْجَمَالِ الْكَثِيبِ
صَافٍ يَا تَيْنُ أَيُّ نَارٍ رَهيبِ

طيه بخللاً لا كان ما تُعطيه	ذاك دأبُ الحياة تـسلبُ ما تُعـد
ضمَّهم من شقائه ألفُ تـيه	تتقاضى الإحياءَ قيمةَ عيشٍ
كؤوساً يطفو عليها الرحيقُ	هى هذى الحياةُ ساقيةُ السُّمِّ
ها ومن ذاقها فليس يُفـيـقُ	أوماتُ للمطاشِ فاغترفوا منـد
حواك لا الزهرِ والدُّجى لا الضياءِ	هى هذى الحياةُ زارعةُ الأثـد
وتحيا فى الأرضِ لا فى السَّماءِ	هى نبعُ الأنامِ تسـلـهمُ الشرُّ

آدم وفردوسه

حسبها أننا دفعنا إليها
أي ذنب جناها آدم حتى
ثمن العيش حيرةً ودموعاً
نتلقى العقاب نحن جميعاً؟

وليكن آدم جنى حسبهُ فقد
أو لم يكف أنه مبط الأرواح
لأن فردوسه الجميل عقاباً
ض ليُنقَى آلامها أكواباً؟

أو لم يكف أنه مبط الدُّنْيا
أو لم يكف أنه عرّف الشرَّ
جاء طريداً من خُلده الفئتان
وقد كان طاهراً في الجنان؟

لبت شمري ماذا يروقُ لعبيّ
كيف ينسى آفاق جتّه ما
فيه هنا في انغلاق هذا الوجودِ
ذا يغسّذي حنينه للخلودِ؟

كيف ينسى الأسر الطليق ليهنّا
أين ذاك الحسّ الرهيفُ هنا سجّ
بحياة القيود والأرسانِ؟
من بليدٍ مغلف الجُسدانِ

ولماذا ينسى وهل في الثرى شيءٌ
كلما لاذ بالخيال تجلّى
يمرّزى عن حلمه المفسولِ؟
لأساه ما كان من قابيلِ

أَوَلَمْ تَسْمَعْ الْحَقُولُ صَدَى صر
خة هابيل حين خر قتيلا؟
أَوَلَمْ يَشْهَدْ الْقَطِيعُ عَلَى الْجَا
نَى أَلَمْ يُصِرِّ الدَّمَ الْمَطْلُولَا؟

أَيْنَ هَابِيلُ؟ أَيْنَ وَفَعُ خَطَى أَغْد
نَامَهُ فِي الْحَقُولِ وَالْوُدَيَانِ؟
لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا ضَرْيَعُ كَنْيَبٍ
شَادَهُ فِي الْعَرَاءِ أَوَّلُ حَانَ

وَأَنْتَ ظَلَمَةُ الْمَسَاءِ عَلَى الْحَقْدِ
لَيْسَ إِلَّا قَابِيلُ يَمْشَى رَهِيْبَ الْ
لِ وَعَادِ الْقَطِيعُ مِنْ دُونِ رَاعٍ
خَطُوْ نَهَبِ الْأَفْكَارِ وَالْأَوْجَاعِ

يَا لَأَحْزَانِ أَدَمَ عِنْدَمَا أَبِ
صَرَ بَابِيَّهِ قَاتِلًا وَقَتِيلَا
أَيُّهَا الْمُسْتَطَارُ لَنْ تَرْدَعَ الْأَقْدَ
لِدَارَ حَتَّى إِذَا بَكَيْتَ طَوِيلَا

مَا الَّذِي تَنْفَعُ الْمَدَامُ يَا آ
دَمُ؟ هَلْ تَنْدَفِعُ الْقَضَاءُ الْمَرِيرَا؟
إِنْ يَكُنْ مِنْ فَقْدَتْ أَوَّلَ مَقْتُو
لِ عَلَى الْأَرْضِ فَهُوَ لَيْسَ الْأَخِيرَا

إِنَّهَا لَمَنْعَةٌ تَظَلُّ عَلَى الْعَا
كَلَّمَا ذَاقَ قَطْرَةً مِنْ نَعِيمٍ
لَمْ مَسْدُولَةَ الدُّجَى مُكْفَهَرَةً
أَعْقَبَتْهَا مِنَ الْأَسَى أَلْفُ قَطْرَةٍ

كَلَّمَا أَسْدَلَ السُّتَارَ عَلَى حَزْرٍ
بِ أَطْلَتْ حَرْبٌ وَجَاءَتْ رَزَايَا
رَحْمَةً يَا حَيَاةُ حَبْلُكَ مَا سَا
لِ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دِمَاءِ الضَّحَايَا

الحرب العالمية الثانية

انظري، هل ترين غير بقايا هل تبقى منه سوى دمن جدد	ذلك العالم الجميل الخصب باء في قبضة الدمار الرهيب
يا قصوراً بالأمس كانت هنا يفس أصبحت مسكن الخراب وجفت	حك من حولها ندى واخضرار في حماها المطور والأزهار
أين أهلك يا قصور؟ وفي أي أم ترى مزقتهم وقاذفات الـ	قبور ثووا تحت التلوج؟ نار في عاصف رهيب الأجيح؟
أسفاً يا قصور أهلك ناموا رقدوا حاسري العظام فلا قب	فوق صدر الثرى عراة الصدور ر لهم في التراب أو في الشهور
في سفوح الجبال، تحت ذرى الأش ليس غير الموتى عظاماً وأشلاء	حجار خلف الضياء والظلماء وغير اكتئاب وبكاء
يا نشيد السلام يا ساكناً في رف فوق الدنيا الحزينة وبعث	قمر أحلامنا وراء منانا لحن حب في تيهنا ودجنانا

طُفْ بِأَنْفَامِكَ النَّشَاوَى عَلَى هـ
بِئْسَ الْوَحْشِ رَطْبٌ شِفَاهَا

لدى القُرَى المُتَبَاكِةِ المَهْدُومَةِ
ظلماتٍ أو جبهةً مَحْمُومَةِ

طُفْ بِأَنْقَاضِ عَالَمٍ لَيْسَ يَنْدَى
رَاسُفٌ فِي الدُّجَى، وَيَسْمَعُ بِالْفَجْجِ

أَتَرَى لِلنَّمَاءِ بَعْدُ بَقِيَّةَ؟
رِحْلَتِيأً وَقِصَّةً مَسْرُومَةَ

كَانَتْ الْحَرْبُ يَوْمَ أَشْعَلَهَا صَو
غُلْفُوهَا لَهُ يَوْمُضٍ بِرَيْقِ

رَةً حُلْمٍ مُضَوًّا الْأَسْتَارِ
مِنْ مَنَا الْمَجْدِ وَالرُّؤْيِ وَالْقَخَارِ

فَإِذَا نَبْعُهَا دَمٌ وَشَلَاها
وَإِذَا مَجْدُهَا شَقَاءٌ طَوِيلٌ

لَهَبٌ أَكَلُ اللَّظَى وَمَجِيرُ
لَيْسَ يَنْجِبُ لَيْلُهُ لِلْحَرُورِ

جَفَّ زَهْرُ التَّلَالِ وَالْوَرَقُ النَّضْ
أَسْفًا لَمْ تَدَعْ لَنَا الْحَرْبُ شَيْئًا

رُ وَأَوَتْ إِلَى الْجَفَافِ الْحَقُولُ
وَتَلَأَتْهُ الْحُلُمُ الْعُرُوبُ الْجَمِيلُ

مَنْ تَرَى يَحْرُثُ الْحَقُولَ الْجَدِيَا
أَيْنَ لَهْوُ الْأَطْفَالِ عِنْدَ الْبَحِيرَا

ت؟ وَأَيْنَ اخْتَضَتْ أَضْغَانِي الْحَصَادِ
تِ النَّشَاوَى فِي بَهْجَةِ الْأَعْيَادِ؟

يَا قُلُوبَ أَطْفَالٍ لَا تَخْفَى الْآ
ذَلِكَ الْحُلُمُ فِي مَآقِيكُمْ الْوَلَدِ

نَ حَنِينًا لَنْ يَرْجِعَ الْآبَاءُ
بِهِ طَوْنُهُ النِّيَّةُ الْمَسُودَاءُ

وبقايا الآباء نهب غُبار الـ
أى معنى فى هذه الأغني الغر
أرض صماء شاخصات العيون
فى، من الصمت والهُول الحزين؟

كل عينين فيهما صورة تب
كل عينين تسخران من العي
كفى وترثى للمالَم المغرور
شئ وتستهرآن بالمقلور

كل عَينين تنظران إلى الأف
آه يا رب، آه لو فَهِمَ الأحـ
قى بعيداً عن كل ما فى الحياة
بِاء ماذا فى أعينِ الأمواتِ

يا فتاة الأحلام حسبك شدوا
سوف يَفنى هذا النشيدُ وَيَبقى الـ
برئاء القتلَى وحسبك حُرنا
شر فى الأرض خالداً ليس يَفنى

هكذا شاءت المقاديرُ للما
وهى النفسُ تحمِلُ الشرَّ والبغضاءَ
لَمْ إثمٌ ونقمةٌ وحروبُ
ماذا يُفيدُها التهذيبُ؟

وأغاني السلام كم قد وهبنا
فطَوَّأها القضاةُ وابتلعَ النَّسـ
ها قلوباً وألسناً وشَفَّأها
جانُ الحائِثِها وضاعَ صداها

كيف ينجو الوجودُ إن كان فى الإنـ
كيف يَشفى من الأسَى يا مقاديرِ
سان عرقٌ من الشرور عريقُ
رُ؟ متى فجرهُ السنَى الوريقُ؟

ما الذى رامهُ المسيحُ لكى يُجْزى بما كان؟ ما الذى كان منه؟
أيها العالمُ الذى اقتترفَ الذنْبَ بَـ أَمَا أَنْ اَنْ تُكْفِّرَ عَنْهُ؟

أولم يَشْبِعِ الوجودُ من الحُزْزِ نِ اَمَا زالَ ظامئاً للذَّماءِ؟
أوما فى كاساتِهِ غيرُ مِلْحٍ الِ سَمِعَ للجائعينَ والأشقياءِ؟

أيها الكونُ يا جَنَاحاً مُدْمِئاً حَطْمْنُهُ مَقادِرُ وَمَنَيا
ليكن من فُقدتْ فى هذه الحَرِّ بِ خَتامِ الذينَ ماتوا ضحايا

نَهْمُ القَتْلِ فى عُروقك قَدْ آ نَ لَه اَنْ ينامَ اَنْ تَنسَاهُ
فالتجئُ للسماءِ حيثُ المُنَى والِ رى حيثُ الضياءُ حيثُ اللهُ

ذلكَ المنبِعُ الأثيرى ما أهدى لِم يزلُ فى انتظارِ دُنيا تَرامتْ
لَذِبَ كاساتِهِ لِم يُسْقَهاها فى دروبِ الدُجى فَضَلتْ خُطَاها

أيُّها التائهونَ عَجِبُ أَبْصَا اَحْمَلُوا نادِمينَ أَشْلاءَ قَنَلا
رَهْمُ ظُلْمَةٍ وَأَلْفُ سِتارِ كُمْ وَغُثُوا لَهَا نَشِيدَ اعْتِذارِ

ضَمَّخوها بِالْمِطَرِ لَقُوا بِقايا اَحْمَلُوا المِيتِينَ فى نَعشِ موسى
ها بِزَهْرِ الليمونِ والياسمينِ قى وَحِبُّ وَعِطَرِ دَمْعِ سَخِينِ

واجمعوا الصبية الصغار ليُلقوا
أغنيات فجرية الأنغام
وليكن آخر اللحون التي تُلد
بقى على سمعهم نشيدُ السَّلامِ

فيم هذا الصراع؟ فيم الدماءُ الـ
حُمُرُ تجري على الثرى العطشانِ
والشبابُ البريءُ في زهرة العُممِ
سرٍ لماذا يُلقي إلى النيرانِ

في سبيل الرّاءِ هذا؟ أليس الضـ
سوءُ والحسبُ والورودُ ثراءُ
ولبالي السَّلامِ والأمنِ هل في الـ
حُمُرِ أغلى منها وأحلى ضياءُ؟

وغداً رحلةٌ إلى الأفقِ المجدِ
هول، نحو السكونِ والنسيانِ
وغداً رحلةٌ فهل يدفع الأمـ
حواتُ بالمالِ وخشّةُ الأكفانِ؟

إنه الموتُ ذلك الوهابُ العما
دلُ ملقى الهمود في كل قَبْرِ
ومُريقُ الفناء في كل خدٍ
وذراعٍ وكلّ نحرٍ وصدرٍ

فلماذا إذن مَشى العالمُ للجدِ
خونٌ للموتِ والأذى والدَّمَارِ
فيم تحذو الشعوبُ أطماعُ غرٍ
يتصبَّى عَيْنِيهِ وَهْجُ النَّارِ

أعن النصرِ يحشون؟ وهل نصـ
رُلمن تستنلُّه الأهواءُ
هل فَخَارٌ وحولنا عالمٌ يمـ
لؤه الجائعونُ والأشقياءُ؟

حتى إلى ليلِ عالمٍ مجهولٍ
ذاتَ يومٍ على نداءِ الرَّحيلِ

نحنُ أسرى يقودُنَا القَدَرُ الأَمُّ
وسنينُ الحياةِ نومٌ ونصحو

نَحْنُ وتغفُو في قبرها المقلوبِ
لَمْ ذَكَرْهُ المتصور والمذخورِ

وطبولُ النَّصرِ العظيمِ غداً تَفْ
وتُضجِعُ الرِّيحُ في أفقِ العما

تتهت الحربُ بانتصارِ المنايا
تنصرُ يا رحمتا لتلكِ الضحايا

وصحا العالمُ العميقُ الأسى وان
شَهِدَتْ هذه القبورُ لها بالـ

جوعٍ ماذا من القتالِ جنينا؟
ولَمَسْنَا أسرارَها يَبْدِينَا؟

ثم ماذا يا ساكني العالَمِ المو
هل وصلنا إلى النجومِ الحوالى

جاءَ هذا الكونُ الطمعينِ الذليلِ؟
وى ودقنا عبرَ الشنَاءِ الطويلِ؟

هل غلبنا الشقاءَ والفقرَ في أر
والصِّغارُ العُراةُ هل وجدوا ما

حَرَبُ يا من حملتمونا لظاهَا؟
تخْذُ الكاسَ والمجونَ إلها

والأذى والشُرورُ هل دَحَرَتْهَا الد
أَسْفَا لَمْ يَزَلْ على الأرضِ من يَتَـ

طُرُ حزنًا على شفاءِ جِيعِ
محنةُ الحَرْبِ للضئى والضِيعِ

لَمْ تَزَلْ في الوجودِ أغنيَةً تَفْ
في هُتافاتِ لاجئينِ ومثهم

كل شيء باقٍ كما كان قبل الـ
غير ظلٍّ من الكآبة والحَيِّـ

حزبٍ غير الأيتام والأمواتِ
مرة يمشى على ضفافِ الحياةِ

هؤلاء الأيتام بالأمس كانوا
تحت ظلِّ الآباءِ يقضُّونَ عيشاً

صورة البشر والمراح الجميلِ
ما دروا غير صفوة المفسولِ

وأفاقوا من حلمهم فإذا الـ
يا عيون الأطفالِ لا تسألِ الدنـ

سألُ حربٍ والذكريات دُخانُ
يا فقد مات في القلوب الحنانُ

في سبيل المجد المزيف هذا الـ
في سبيل النصر للموَّة عاد الـ

هولٌ لا كان مجدُّهم لا كانا
عالمُ الحلوِّ في اللهبِ دخانا

هؤلاء الصرعى على الشوك والصخـ
كيف كانوا بالأمس؟ أية رؤيا

برِ شباباً وصبيّةً وكهولاً
رسموها فلم تهشَّ طويلاً؟

أيها الأشقياءُ في الأرضِ يا من
عَبثاً تأملونَ أن يرجعَ الـ

لم تُمنِّهم قذائفُ النيرانِ
نَ أَعزَّزْناؤكم إلى الأوطانِ

انظروا ها هم الجنود يمودو
آه لولا بقيّة من حياةِ

ن فرادى مُهشَّمى الأعضاءِ
لم يُعدُّوا في جملةِ الأحياءِ

مُقاَضِرٍ عَنِ أَهْلِهِمْ وَعَنِ مَا وَاعَدَهُمْ
بِرُشْدَيْنَا فَيَا نَارَ اسْمَاعِيلَ

عَبثاً يَبْحَثُونَ فِي هَذِهِ الْأَنَاءِ
عَبثاً يَسْأَلُونَ مَا يَعْلَمُ الْعَالَمُ

عِندَ الْعَذَابِ وَالْأَوْصَابِ؟
يَبْجُوا بِلَا رَفْقَةٍ وَلَا أَحْبَابِ؟

كَيْفَ ذَاقُوا مِرَارَةَ الْخَيْبَةِ الْمُرَّةِ
أَتَرَاهُمْ نَجَّيُوا مِنَ الْمَوْتِ كَيْ يَحْيَى

سَوْءٌ وَالْحَبُّ أَيْنَ مِنْ سَكَنُوها؟
هَيْهَاتَ وَتِلْكَ الْمُنَى الَّتِي صَوَّرُوها؟

أَيْنَ تِلْكَ الْبُيُوتُ يُلْمَعُ فِيهَا الْفُضَاءُ
أَيْنَ أَطْفَالُهُمْ وَرَجَعُ أَهْلَانِي

جَاءَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ وَصَعِيدٍ
هُوَ مِفْتَاحُ حُلْمِنَا الْمَفْقُودِ

أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ يَا زُمَرِ الْأَحْدَادِ
أَنْ نَسْتَمِيدَ مَاضِيَ حُبِّ

خِضَاءٍ؟ مَا كَانَ سِرَّ هَذَا الدَّمَارِ؟
لَعِبَةٍ فِي مَخَالِبِ الْأَقْدَارِ

مَا الَّذِي يَبْنِي بَيْنَنَا مِنَ الْحَقْدِ وَالْبَغْدِ
أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ نَحْنُ جَمِيعاً

سِرُّهُ فَهُوَ غَيْبٌ مَجْهُولٌ
هَ سَنَاها؟ وَفِيمَ كَانَ الْأَنْوَلُ؟

نَحْنُ نَحْيَا فِي عَالَمٍ لَيْسَ يُدْرَى
تَطْلُعُ الشَّمْسُ كُلَّ يَوْمٍ فَمَا كُنْتُ

نِ مَسَاءٍ مَا كُنْتُ هَذَا الْوُجُودِ؟
دَجَاءَ؟ هَلْ خَلَقَهُ مِنْ خُلُودِ؟

مَا الَّذِي يُطْلِعُ النُّجُومَ عَلَى الْكُورِ
أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الْفُضَاءُ؟ وَمَا سِرُّ

يا ضباباً من الجهالة والحيد
كل ما فى الوجود يحكمه ما
حرة قد لقبوه بالإنسان
ذا إذن سرُّ ذلك الطُّغيان؟

فيم نطفى وكيف ننسى قوى الكو
ينخر الدود ما نشيد ولا تب
ن وما فى الوجود أضعف متاً
سقى البراكين والرياح علينا

فيم نقضى حياتنا فى المداوا
كيف ننسى أنا نعيش حياة الـ
ت ونمضى السنين يأساً وحُزناً
وَرَدَ سُرعان ما يموت ونفنى

لن تدم الأيام لن تحفظ الدنـ
فلندخ هذه الضفائن والأحـ
يا كياناً لكائن بشرى
قَادَ وَلَنَحْيَا للوداد النقى

البحث عن السعادة

كم بَعَثْنَا عن السعادة لكن أبدأ نَسْأَلُ الليالىَ عنها	ما عَشَرْنَا بكوخها المَسْحُورِ وهى سرُّ الدُّنْيَا وَلُغْزُ الدُّهُورِ
طلما حَدَّثُوا فزادى عَنَها طلما صَوَّروا لعيني لُغْيَا	فى لِيالى طفولتى وصَبَايا ها وَالْقَوَا أَنبَاءها فى رُؤَايا
فهى أَنَا رِيْبَةُ الْيُسْرِ وَالْثَرِ ليس نَحْيَا إِلَّا على باب قَصْرِ	وَهْ بِنْتُ الْأَلوانِ وَالْأَضْواءِ شَيْدَتُهُ أَيْدَى الْفَتَى وَالرَّخَاءِ
وهى أَنَا فى الزُّمْدِ عن مُتَعِ الدُّنْى ليس نَحْيَا إِلَّا على صَخْرِ الْمَغْدِ	يَا وَعِنْدَ النَّسَاكِ وَالرُّهْبَانِ بِدِ بَيْنَ الدُّعَاءِ وَالْإِيْمَانِ
وهى فى شَرَعِ بَعْضِهِمْ مَلِكٌ مِنْ يَطِ ليس تَصِفُو إِلَّا مَنْ عَاشَ لِلْكَأِ	لِقَ أَهْواءَ قَلْبِهِ دونَ قَيْدِ مِنْ وَلِلْهَوِيِّينَ ثَغْرِ وَخَدِ
وهى فى شَرَعِ آخِرِينَ لِرَاعِ يَتَفَنَّى معَ الْقَطِيعِ إِذَا شَاءَ	يَصْرِفُ الْمُعْمَرُ فى سُفُوحِ الْجِبَالِ وَيَغْفُو تَحْتَ الشَّدَى وَالظَّلَالِ

وهى فى شرع غيرهم فى حِمَى العزِّ
ليس تحيا إلا على فم غريب
لله والفنُّ والجمال الرفيع
يدُ يغنى أو شاعرٍ مطبوع

وسواهم يرى السعادة فى الحبِّ
ليس تحيا إلا على شَفَةِ العا
وفى أغنيات كلِّ مُحِبِّ
شقٍ لحناً من الوداد العذبِ

حدثونى عنها كثيراً ولكن
لم أزل أصرفُ الليالى بحثاً
لم أجدها وقد بحثتُ طويلاً
وأغنى بها الوجودَ الجميلاً

مرَّ عمرى سدى وما زلتُ أمشى
لم أجدهُ فى الرمالِ إلا بقايا الشـ
فوق هذى الشواطىء المحزونة
شوكٍ يا للأمنية المغبونة

أينَ أصداقك اللوامعُ يا شطُّ
هاتِهِ رحمةً بنا هاتِ كنزاً
إذن؟ أينَ كنزُك الموعودُ؟
هو ما يرتجيه هذا الوجودُ

هاته حسبُ رملك البارد القسا
يا لحلمٍ نزيدُ منه اقتراباً
سى خداعاً لنا وحسبكُ هُزْءاً
وهو ما زال أبها الشطُّ يتأى

طال بحسنى يا ربَّ أين ترى ذا
ليس حولي إلا دياجيرٌ كونٍ
ك السعيدُ الجذلانُ أين تراه؟
مفرقٍ فى نواحِه وأساهُ

لم أجذ فى الرمالِ إلا بقايا الـ
كلُّ جيلٍ يعيشُ يحلمُ حتى
موتٍ من أعصرِ طوالِ دفينه
يُطفئُ الموتُ قلبه وعُيونَه

عالمٌ يَنشُدُ السَّعَادَةَ والآيـ
كلُّما ضجَّ شاكياً أملتَه
أم تُسقيهِ غُصَّةً بعد غُصَّةٍ
مُقلَّ عذبةٍ وأيدٍ رخصه

إيه أسطورة السعادة غنيـ
أين القفاك؟ أين مسكنك المـ
خى نشيداً عن أفككِ المفقودِ
حورٌ؟ فى المستحيلِ أم فى الوجودِ؟

سرتُ وحدى تحتَ النجومِ عصوراً
أسفاً لم أجذكِ فى الشاطئِ الصخـ
أسألُ الليلَ والدياجيرَ عنكِ
رئى حيثُ المياهُ تفتأُ تبكى

حيثُ تُبقَى الأشواكُ والوردُ يَنوئُ
حيثُ يُقْنَى الضيَاءُ والليلُ يأتى
تحتَ عيينِ الأيامِ والاقـ
بوعيدِ الرياحِ والأمطارِ

حيثُ نَحْيَا الْأَغْنَامُ جَائِعَةً لَا
عُشْبَ لَا رِيَّ فِي الْمَرَامِي الْبُخِيلَةِ
وَعِدَا فِي الصَّبَاحِ تَنْتَظِرُ السَّكَّةَ
سِينَ أَعْنَاقَهَا الْمَجَافَ النَّحِيلَةِ

حيثُ يَحْيَا الْفُرَابُ وَالْبَلْبَلُ الْمَوِ
هَوْبُ يَهْوِي مِنْ عُشَّةِ الْمُضْفُورِ
وَيَغْنَى الْبُومُ الْبَلِيدُ عَلَى الدَّوْ
ح وَيَتَوَى الْقُمْرَى بَيْنَ الصُّخُورِ

حيثُ تَبْقَى الْغَيُومُ مُمَطَّرَةً الْأَهْ
عِدَابٍ رَمَزًا لِلْمَعْنَا وَبُكَانَا
وَتَظَلُّ الرِّيَّاحُ تُصَفِّرُ مُخْرَجَ
تَهَا مِنْ أَهْوَاتِنَا وَمُنَانَا

أنشودة الرياح

- ١ -

أيهما السَّادرون	ما الذى تَنشُدون؟
ملءَ هذا المَلدى	فى الدُّجى حِمالون
كم رَتَمْتُم منى	أطفأتها القُرون
وأغنانيكمو	كم طواما السكون
تذرعوون النُّرى	تقطعونَ القِفَارُ
تحت سَمع الدُّجى	وعيونُ النَّهَارُ
تُطعمونَ الرُّوى	بالدموع الغُزارُ
إنَّ دونَ المُسنَى	ألفَ ألفِ سِتَارُ
وأمانيكمو	طيفُ حُبِّ نَفُورُ
أنظُنونَها	فى زوايا القِصُورُ؟
دونكم فابحثوا	فى حُرير السُّتُورُ
وأنا للمَلدى	كلُّ عُمرى مَرورُ

بين القصور

سرتُ وحدى بين القصور طويلاً
فإذا بهجةُ القصور ستارُ
أسألُ العابرينَ أين السعيدُ؟
يختفى خلفه الظلامُ المديدُ

إنّ فيها أغنياً ذابلات
وعُيوناً مملوءة حيرة تَدُ
وصلاة حزينة النَّبَّرات
تفهمُ اللُّغزَ فى ضباب الحياةِ

شبعوا وارتبوا وما شَبِعْتُ أُر
إن جوع النفس المُتعمِّمة النَّشْ
واحُهم وارتوتُ وابتوا حَبَارَى
سوى إلى حلْمها أشدُّ استعاراً

ليس يُنجيهمو الغنى من يد الحُزْ
ولهم موتهم ومأساته المُغْ
ن وإن طاولوا الذُّرى بالغرورِ
لَمَقَّةُ السِّرِّ مثلُ ما للفقيرِ

كم وراءَ القصور من أغنيات
كم قلوبٌ تودُّ أن تبدلَ القصْ
أخرستها عواصفُ المقدورِ
رَبَّ كوخٍ على ضفافِ الغديرِ

ليس يُنجى الحريرُ من عُمقِ هذا الد
هل يسبغُ الفضاءُ أسرارَهُ بالـ
لغزٍ لغزِ المصيرِ لُغزِ البدايه
حالٍ هل تُشترى به اللانهاية؟

وعبرنا القصورَ لم نجدَ المنـد
فهى خلوةٌ من المعانى وما فيه
شودٌ فى ضوئها ولا فى دُجائها
هـا سوى المال والحريـر إلها

أقفرْتُ من سعادة الروح من مُنـد
وسرَى المحلُّ فى أزهارها الظنـد
طَلَّقَ الفكرُ فى مَدَى الأزمانِ
أبى إلى اللون والشذى والمعانى

غَرَقُوا فى الضياء والمطر لكنْ
وجمَّ أنهارُ فى أرضهم تسـد
ليس فيهم قلبٌ يحسُّ الضوءا
بقى شفاهاً وتركُ الروحَ ظمأى

تلك إغفاءةُ القصور يموتُ الـ
آه فلنمضِ باحثينَ لعلَّ الـ
حسُّ والشعرُ فى حَمَها الضنـينِ
كونَ يُقضى بسرُّه المكنونِ

أنشودة الرياح

-٢-

كلُّ عُمَرَى مُرَى	فى الوجودِ الجميلِ
فى الصَّبَاحِ النَّدَى	والظلامِ الشَّقِيلِ
فَوقَ سَروِ الذُّرَى	فوقِ حَقْلِ النَخِيلِ
أنا أَمْضَى أنا	كلُّ عَمَرَى رَحِيلِ

وَشَهَدْتُ هُنَا	ألفَ جِيلٍ وَجِيلِ
وَلَبَدُوا وَأَنطَلَعُوا	فى التُّرابِ لِلَّهِيلِ
ضَجَّكَوا أَوْ بَكَوا	فى الضُّحَى والأَصِيلِ
مَا لَهُمْ مَهْرَبٌ	من رُقُودِ طَوِيلِ

وَمَمَعْتُ هُنَا	كلَّ جِيلٍ يَقُولُ:
«فى يَدَى مَنْبَعٍ	خالدٌ لا يَزُولُ،
وَأَناشِيدُهُمْ	قَدِ طَوَّأَهَا النُّبُولُ
وَمَبَانِيهِمْ	جَرَّقَتْهَا السُّبُولُ

أَقْبِلِي أَقْبِلِي	فَتَسَاءَ النَشِيدُ
وَابْحَثِي بَيْنَهُم	عَنْ فِؤَادِ سَمِيدُ
كُلَّ يَوْمٍ لَنَا	مِنْكَ حُلْمٌ جَدِيدُ
وَأَنَا مَعَنَا أَنَا	غَيْرِ سَيْرِ أَيْدُ

وَمَضَى بِحُثُهَا	عَنْ دِيَارِ النَّمِيمِ
لَمْ يَزَلْ قَلْبُهَا	فِي الْمِرَاقِي يَهْمِيمِ
الْقَمَمُورُ طَوْتُ	حُلْمِهَا الْمُسْتَلِيمِ
فَانْتَهَى سَيْرُهَا	عِنْدَ دِيرِ قَلِيمِ

فى دنيا الرهبان

سرّ بنا يا طريقُ نحو حِمَى الديبِ سرّ فقد نلتقى الرُضَى والأَمَنّا
فلعلّ الرُهبانَ قد أدركوا السرّ للمعنى الخافى الذى نتمنى

هؤلاء الرُهاة فى القنّة الخضر راء حيثُ الحياة صمتٌ مديدٌ
ربما كاشفَنهم الأنجمُ العُد يا بأسرارها وباحَ الخلودِ

مرحباً يا رهبانُ هل فى حِماكم من حديثٍ عن كنزنا المفقودِ؟
هل لمستم بريقه وشذاهُ؟ هل نعمتم بظله المدودِ؟

إنّ فى أفقكم جلالاً وشِعراً وسكوناً مُطلّسَم الأستار
وصلاةٌ لله نقطرُ حَبّاً طهرتها يدُ الدُموع الغزارِ

فلمَ الحزنُ والشحوبُ يُطلّا نِ لديكم من أعينٍ وشفاهِ؟
يُلقيانِ الظلالَ فوقَ وجوهِ صامتاتِ الرأى خواءِ الجباهِ؟

ووراءَ الأهذابِ أستارُ حزن وذهولٍ ووحشةٍ لا تنامُ
إن يكنْ دبرُكم عذاباً وهمّاً أيها الراهبونَ فيمَ المُقامُ؟

لم أجذب في الصوامع الرثة الحيد
إن هذا الجناح يا دير مقصو
رعى علواً ولم أجذب آفاقا
ص فلن يستطيع قط انطلاقا

اثقلته رغائب ثرة حر
واشتياق إلى الطقولة والحب
ي تبقت من أمسه المدفون
إلى ضمة وصدر حنون

أيها الراهب الذي يقطع العم
ليس يلدى دفة للوثة في عي
ر وحيداً في غرفة منية
خين في قر ليلة شئوته

حدثوني عنكم فقالوا: قلوب
ونفوس صيغت من الضوء والعط
نسجت من وداعة ونقاء
ر وحامت على شفاء السماء

وحكوا لي عنكم فقالوا: ضياء
وسمو إلى الذرى الطاهرات ال
وكؤوس من الشذى رحيه
يبيض فوق الرغائب البشرية

عجبا أين ما سمعت؟ هنا شو
وهوى قيسوده عطشان محرو
ق ونار وأعين مفتونة
رأ فلين السلام؟ أين السكينة؟

واسم (تاييس) لم يرك في شفاء ال
رمز قلب مرق بين صوتيه
ريح يتلى على الوجود اللاهي
ن: نداء الهوى وصوت الله

ما نَسِينَا غَوَايَةَ الرَّاهِبِ الْكَفِّ
يا له بائساً سما بابنة الإثد
تَوْنٍ فِي حَبِّهَا وَكَيْفَ هَذَا
م إِلَى قَمَّةِ السَّمَاءِ وَتَاهَا

أَيُّهَا الدَّيْرُ يَا جَدِيئاً مِنَ الْحَبِّ
يا غَرِيقاً فِي الْقَصَمِ وَالْوَحْشَةِ الصَّمِّ
خَوَاءً مِنَ النَّدَى وَالْحَنَانِ
سَاءَ يَا مُتَقَفِرَ الرُّؤْيِ وَالْأَمَانِ

حَانَ عَنْ صَمْتِكَ الْكَثِيبُ رَحِيلِي
وَذِرَاعُ الْوَجُودِ يَفْرَشُ لِي دَرَّ
فَدُرُوبُ الْحَيَاةِ خَضِرَاءُ حَيَّةٍ
بِأَمِنْ الْحَصْبِ وَالظَّلَالِ الشَّرِيَّةِ

وَسَأَلْتَنِي رَيْئَ هُنَاكَ بِعَيْدٍ
وَطَرِيقِي يَمْتَدُّ حَيْثُ يَدُ الدِّ
عَنْ دِيَاغِيكَ إِنَّ رَيْئِي ضِيَاءُ
هَ جَمَالٍ وَرَحْمَةً وَارْتَوَاءُ

أنشودة الرياح

-٣-

طال تَجَسُّوألُها	فى الفجّاحِ الفِساخِ
فى مُرُورِ الدُّجى	وانطواءِ الصَّبّاحِ
فى تَلَأشى النَّدَى	وضياعِ الرِّياحِ
إن أحلامَها	ملكتُها جَنّاخِ

كلّما ضيّعتُ	فى الدِّياجى رجاءُ
فتتحتُ قلبَها	للشَّدى والضَّياءِ
إنّ فى روحِها	ودمائها نداءُ
لارتقاءِ النُّرى	وبُلُوغِ الممّاءِ

يا فنّانةَ الرُّوى	ما أحبُّ الوصُولِ
حيث يمضى الأسى	والضَّبابُ يزولُ
غيبِر أن السُّرى	فى جديبِ طُلُولِ
والمدى شاسعٌ	والديارُ مُححُولِ

فِي حِمَى الرَّهْبَانِ	مَا وَجَدتِ الْمُنَى
قَلَامِ الْجُنْدَانِ	عَالَمٌ مُفْلَقٌ
طَرَفِكَ الْحَسْبَانِ	وَاطْلُ عِلْسِي
مُبْسِرِ الْقُسْدَانِ	شَاطِئِ اخْضِرْ

غَامِضٌ لَا يَبِينُ	إِنَّهُ شَاطِئُ
كُلِّ قَلْبٍ حَزِينِ	وَأَمْسِدْ بِالسَّانِ
أَرْضِهِ تَبْحَثِينَ	وَمَبْطُتِ إِلَى
شَاطِئِ الْمَابِثِينَ	أَسْفَا إِنَّهُ

فى دنيا الأشرار

عند شطِّ الحياة ألقىتُ مَرَسَى	زورقى فى الضباب والأوهام
أرقتُ السائرين فى الشاطئ الصَّخْ	رى بين الوهاد والآكام
أين ألقاك يا سعادة؟ هل من	نبأ عن حماك يَهْدِي الحَيَارَى؟
كلُّما قلتُ هذه دارها امتدَّ	تُفَاراً لا تنهى وصَحَارَى
فى ديار الأشرار نحنُ نزلنا	بين أشواكها وحزَّ حَصَاها
ربَّما كان فى جداولها القفْظُ	كأسُ يَرَوَى المُنَى والشِّقَاها
ونزلنا فى أرضها ورَحَلنا	عن دُجَاها وحرَّها مُسْرِعِينَا
لم يَزَلْ طعمُ مائها المرُّ يحيا	فى رؤانا يَفِيضُ مِلْحاً وطِينَا
الطُّفَاءُ المَلَوْنُو الروح فىها	لم تَجِدْ فى عيونهم من نورِ
فَقَدُوا الحبَّ والسَّلامَ وناموا	فوق شوكٍ من العذابِ المريرِ
فإذا أسكتوا تَظَلَّمْ مَظَلُّو	م فهل يُسَكِّتُون صوتَ الضميرِ؟
ذلك الرقيبُ الإلهى فى النَّفْ	حِ لسانُ الهُدَى وصوتُ الشُّعُورِ

لم يَزَلْ سَاهراً يُراقِبُ في صَمَدٍ
أبداً يَرْقُبُ الحَيَاةَ وفي عَيْدٍ
سِتَ خُطَاهِمَ فليسَ مِنْهُ هَرُوبُ
خِيَةِ سرَّعَاتٍ وَمَعْنَى رَهِيْبُ

فإذا حَادَتِ القُلُوبُ عن الحَيِّ
إنَّه الناقِمُ النَّبِيلُ على الشَّرِّ
بِرِّ عَلا صَوْتُ ذَلِكَ الجَبَّارِ
وقاضى الطُّفَاةَ والأشْرَارِ

كيف يَنْجُو الأَشْرَارُ مِنْ شِقْوَةِ الرُّوْ
لا مَلَادٌ مِنْ حَاكِمِ يَمْلِكُ الرُّوْ
حَ وَسُوطُ الضَّمِيرِ بِالْمِرْصَادِ
حَ بما في كَفِّهِ مِنْ أَصْفَادِ

ولصُوصٍ في هَذِهِ الدَّارِ عَاشُوا
يَسْرِقُونَ الجَمَالَ والحَبَّ والخُبَّ
يَسْرِقُونَ الحَيَاةَ والأَشْيَاءَ
زَ جَمِيعاً وَيَسْرِقُونَ الضِّيَاءَ

واكفُ تَمْنَدُ تَسْرِقُ قِرطاً
واكفُ لا تَرْتَوِي دُونَ أَنْ تَسُدَّ
وسواراً وخائماً لَمَاعاً
رَقَّ خِداً ومَعصماً وذِراعاً

ونفوسٌ وَضِيعَةٌ تَسْلُبُ العَا
ونفوسٌ أَحْطُ تَوْمَنُ بِالْعَفْ
بِرَ حُلْمًا أو رَغْبَةً أو قَلْبًا
ةِ والعَدْلِ ثم تَسْرِقُ شَعْبًا

هل يعيشُ الضياءُ في هذه الجُذ
في عيونِ مزيقاتٍ تُغَلِّبُ
رإنِ حيثُ الأقباءُ حيثُ الزَوَايا
ها رغباً دنيئةً ونوايا

عالمٌ مُقفر من الحبِّ والدَّفءِ
نَزَعَتْ من فضائه لَمَسَةُ الدَّ
تعيشُ النفوسُ فيه خواءَ
ه فابقتْ أَذْلَةً أَشْقِيَاءَ

يا نشيدَ الرياحِ خذنا مع اللَحْدِ
كلُّما لامسْنَه أَقدامنا افترُّ
منِ إلى عالمِ أرقٍّ وأغلى
وناضتْ أَندادُه واخضلاً

أنشودة الرياح

-٤-

واختفى يا حـلـود	انبسط يا مـلـدى
شردت فى الوجـود	إن أقـدامـها
فى الدُرى والنـجـود	كلما صمـدت
ومضت فى صمـود	قـابلـتـها ذرى

فى طريق الحـياة	إنـها رحـلـة
تـحـلـى المـمات	بحـثت عن دنى
رمة فى فـلاة	كلما أبـصـرت
بندى الأغـنـيات	جلدت عـزـمـها

والفـؤاد الرهـيف	يا فـتـاة الرؤى
فى الظلام الكـثـيف:	خـاطـبتك الدنى
فى السكون حـفـيف	أنصتى تـسـمـى
أن جـذـبى ورفى	وانظـرى تـبـصرى

من ممانى النرى
فى ضباب الكرى
فى جفاف الثرى
عند أهل القرى

لك قلب غفيا
لك روح ثوى
لا يحس الندى
فاهبطى وابحثى

مقلة راسفه
روعة العاصفه
حُرقة لاهفه
جنة وارفه

رَمما حرروا
أغمضت لا ترى
رَمما خففوا
إن دنياهم

فى الريف

ما تقول الريح؟ هذى هى أجبـة	ة؟ هذى ظللها الممدودة؟
أترى حان أن تراك عيوني	يا ضفاف السعادة المفقودة؟
بعد طول السرى وتيهى فى الآ	فاق، والدرب ظلمة وزوال
بعد بحثى عن التى خلّفت أمـ	رارها لم تبـع بها الأزال
أنا من قد حملت قلبى على كفـ	سى وسرت الوجود أبحت عنها
أسأل العابرين عمّن رآها	وروى قلبه المشوق منها
أتراها هنا؟ أتلك إذن أمـ	حوارها تملأ المشاعر أمنا؟
أترانا إذن وصلنا أخيرا	ذلك الشاطئ الذى تمنى؟
إنه الريف فالحياة ربيعـ	خضيل المطر بارد الأنداء
والمراعى النشوى ترأقصها الربـ	ح وتغفو على حدود الضياء
والصباح الوضى قد ذوب الالـ	حوان والمطر فى كؤوس الورود
والفراشات يرتشفن ويثملـ	ن من الموج والرحيق البرود

وفروعُ النخيلِ مدّتْ على مجدٍ رى السواقى ظلالها السّمراءِ
سكبتْ عطرها وخسّرتْ للمرّ جَ وفاضتْ خصوبةَ ونماءَ

وذراعُ الضمياءِ تحمّضنُ الأشدَّ جبارَ والودى التّضجيرَ الثّريّا
وورودُ بيضٍ تنامُ على يند جوعِ ماءٍ يسيلُ شهداً نقياً

كلُّ شيءٍ فى هذه الجنّةِ العَذْ بةِ يوحى بأنّا قد وصلنا
إنّ ما فى قلوبنا من هوىٍّ عط شأنَ قد نال حلّمه التّمنى

أنّ هذى ديارها، هى جنّيب عةَ حلّمى الخافى وسرّ رحلى
هى ذاك اللّغزُ المحيّرُ شوقُ ال أسِ واليومِ والفدِ للجُهلِ

فلنُقمْ ها هنا عريشَ أمانٍ لنا من الوردِ والشّدَى الروحى
ولنذُقْ حكمةَ النخيلِ ونقبسْ بعضَ أمرارِ صبره الأبدى

لننعمْ ها هنا تعلّمنا الأشدَّ جبارُ سرِّ الدنيا وموسيقاها
والمروجُ الغنّاءُ تكشفُ للرو حِ معانى اخضرارِها وشذاها

وغناءُ الرُّعْصاةِ تنقلُهُ الرّيبُ حُ بمبيداً إلى قنّانِ الجبّالِ
ونشيدُ تدبيره شَفَقنا طف لٍ يغنى على تلالِ الرّمّالِ

إِنَّ فِي هَذِهِ الْمَجَالِي كَوْوَساً
هِيَ رِيُّ الْمُنَى وَرِيُّ الشَّفَاهِ
إِنَّ فِيهَا نَبْعاً يَفِيءُ إِلَيْهِ الدَّ

وَهَذَا تَمْنَحُ الطَّبِيعَةُ دَفْنًا
وَيَدَاهَا تَمَسُّ فِي رَوْحِنَا جُرْ
وَسَكُونًا عَذْبًا وَيَنْبُوعَ ضَوْءٍ
حَ الرَّدَى وَالذَّبُولِ وَاللَّاشِءِ

إِنَّ هَذَا الْجَمَالَ أَكْوَى مِنَ الْمَوِ
هَلْ خَلَّتْ هَذِهِ الْمَجَالِي مِنَ الْأَفْ
تَ نَفْسِهِ عُمُقُ وَفِيهِ خُلُودُ
نَامَ يَوْمًا؟ وَهَلْ تَلَّاشَى النَّشِيدُ؟

وَزَهْوَرُ تَذَوَى وَتَوْلَدُ آلَا
تَمْنَحُ الْعِطْرَ وَالْجَمَالَ غِذَاءً
فُ سَوَاهَا سَحَرِيَّةُ الْأَلْوَانِ
لِلنَّسِيمِ الْمَعْطَرِ النَّعْسَانِ

وَطَبِيرُ تَسْقَى الْوُجُودَ كَوْوَساً
لَا صَدَاهَا يَمُوتُ، لَا نَبْعُهَا يَنْدُ
مِنْ أَنْشِيدِهَا الْعَذَابِ النَّقْبَةِ
ضَبُّ فِي مَسْمَعِ الرُّوَايِ الشَّدِيَةِ

وَمَجَى الْمَسَاءِ - عِنْدَ نَضُوبِ الدَّ
أَوَّلَا يَتَثَرُ النَّجُومَ الْكَحِيلَا
خُضُوءٍ فِي حَافَةِ الْقَضَاءِ الْبَعِيدِ
تِ عَلَى جِبْهَةِ الْمَسَاءِ الْوَلِيدِ؟

هَذَا هَذَا يَوْلَدُ الْخُلُودَ كَمَا يَوِ
مِثْلَمَا يَنْتَبِثُ الضَّيَاءُ أَثِيرِيَّةً
لَدُ قَطَرِ النَّدَى وَعِطَرِ الرِّيحِ
لَا ظَهْوَرَ الْأَهْدَابِ كُلِّ صَبَاحِ

وَيَمُوتُ الْفَنَاءُ، يَضْحَكُ مِنْ فَكٍ
وَنَجْمُ الْمَسَاءِ يُبْصِرُ فِي الْآ
سِرِّهِ الْقَلْبُ وَالنَّدَى وَالْوَرْدُ
فَاقِ مَا لَا يَرَى وَمَا لَا يُحَدِّثُ

إِنَّهُ الرَّيْفُ مِنْ ثَرَاهُ الْعَبِيرِ
مِوْطِنُ الْحُبِّ وَالْأَغَانِي وَأَرْضُ
الْمَنْدَى تُسْتَنْبِتُ الْأَشْعَارُ
غَلَفَتْ رَمْلَهَا النَّدَى أَسْرَارُ

سَرَتْ فِيهِ فَجْرًا وَسَرَتْ مَسَاءً
وَارْتَوَتْ مِنْ شَدَى النَّخِيلِ وَعِطَّرَ الْـ
وَعَرَفَتْ الظَّهِيرَةَ الْعَنْبَرِيَّةَ
قَمَحَ رَوْحِ الطَّلِيْقَةِ الْفَجْرِيَّةِ

سَرَتْ فِيهِ وَحْدَى، سَعَادَةُ قَلْبِي
إِنْ هَذَا الْفَرْدُوسُ يَنْقُضُهُ الْإِنْ
خَمَرْتَنِي وَحْدَى، وَغَنَيْتُ وَحْدَى
سَانَ: يُصْنَعِي ضِيَاءَهُ وَيُنْدِي

تِلْكَ أَكْوَاحُهُمْ حَصِيرٌ وَأَحْجَا
تَخْجَلُ الشَّمْسُ أَنْ تَمُرَّ عَلَيْهَا
رُيُوسُ مَخْنَمٍ لَا يَزَاحُ
وَيَحِيدُ الضُّحَى وَيَكْبُو الصَّبَاحُ

عُرِفَ رَهْهُ الْمَدَاخِلِ وَالْجَدِّ
فِي دَجَاها يَمِيشُ قَوْمٌ جِياعُ
رَانَ سَوْدُ نَجْمٍ فِيهَا الرِّيَّاحُ
نَضَّيْتُ فِي أَيْدِيهِمُ الْاِتِّدَاحُ

وَيَغْنَى الْقُمْرَى تَجْرَى السَّوَاتِي
وَيُرَاقُ الْجَمَالُ فِي النَّفْجَرِ أَكْوَ
وَيَلْقَى الضُّيَاءُ نَلَّةَ زَنْبِقٍ
بِأَوْ لَا قَلْبٍ فِي الْقُرَى يَنْزِقُ

ظِلُّ والضوءِ والتدَى الألاقِ
لَمَى على شَطْطِ جَدولِ رَقراقِ

ح وهم في حباله الجسمِ أسرى
رة ماء تَبَلُّ والروح حَرَى

نارَ والموتِ يمزلون الرِّياحا
ه ويسرى ولا يَلْاقى صباحا

مان تمتدُّ حولهم أسوارُ
وانطوت في عيونهم أسرارُ

ي يَغْنى الحُـانَهُ ومُناهُ
رى يدرى ذهوكُهُم عن غناه

عُ بأهلِ الأكواخِ كل شتاء
ج وتطويه عن عيونِ الضياء

د على المرجِ في شتاءِ حزينِ
لوز والبرتقالِ والياسمينِ

شَفَلَتْهم أحزانُهُم عن معاني الـ
عن مذاقِ الجمالِ في وردة خجـ

كيف يَرَقى الجِياحُ في عالمِ الرّو
يمصرون الصخورَ بحثاً ولا قطـ

يحرقون المِياءَ، يستنبِتون الـ
يا ضياعِ الإنسانِ يخدمه التـ

هؤلاء الجِياحُ في عُرْلةِ الحِرْ
لف أرواحهم حجابِ كثيف

خلف بابِ الكوخِ الكثيرةِ قمر
لا هم يسمعونَهُ لا ولا القُـمـ

ليس يدرى القمرُ ما يفعلُ الجو
حينما تغمر الثلوجُ ثرى المرـ

حينما يجمدُ القطيعُ من البر
حينما تَذَلُّلُ المواصفُ زهر الـ

حينما تدفنُ الثلوجُ حقولَ الد
وجباع في ظلمة الكوخ لم تد
قمح والرز تحت سوط الرياح
ر بأحزانتهم عيونُ الصباح

ليس يدرى القمرىُّ لا ليس يدرى
يا دياراً سكَّانُها الجوع والحمة
ما وراء الأكوخ من حرمانٍ
سِ خواءٍ من الندى والحنانِ

أيها الصادحُ المغنى على قم
دع أساءُ يا طيرُ لى، لم يرى
ة هذا الدوح الندى البليل
فى لياليه، إن قلبى دلى

ضاح فى هذه القرى حلمى المضر
عطش اللحن فى شفاهى إلى الرى
ففور بالضوء والندى والبرودة
إلى جنة الروى المقسوده

حملتى الأوهامُ أوهامى العط
سقط الريشُ عن جناح خيالى
شئى بعيداً ولم أجد لى ارتواء
وفقدتُ الروى فقدتُ الضياء

يا سفينى ارحلى، دعى شاطئ القر
وغصونُ الصفصاف عارية السب
ية إن الرسى ضنين بعيدُ
قن والليلُ فى الحقول أيدُ

أقلعى أقلعى بنا قد سنمنا
قد رأينا الدموع فى كل جفنٍ
صرخات الجيع فى كل شعبٍ
ولسنا المويل فى كل قلب

ووداعاً يا زيفُ جنتاك مملو نين رؤيا فلم تَطُلْ رؤيانا
إنّ في الأفق لمحّةً من ديارٍ هي أحنى على جراح مُنانا

أنشودة الرياح

-٥-

حُلُمٌ وانطوى	فى الفضاء المديد
كلّما أخفقت	فى رجاء فسرید
شبيدت فى الذرى	حُلَمها من جديد
لا تبالي اللظى	لا تبالي الجليد

خيبتها القُرى	ودجساها الحزین
إنّ فى أرضها	بشراً جائعين
لم تجد عندهم	غير دمع سخین
ومضت فى السُرى	لا تنسى لا تلین

ثم أرسيت هنا	عند أهل اللحون
شمراءً مشّوا	فى ظلال الغصون
علّ فى نايهم	بمضّ لحن حنون
ليس فیهه أسى	ليس فیهه منون

يا فتاة القصيد	حــلــلــتــي هـا هـنا
رجعَ لحنِ سميد	إنْ في كـونهم
في الظلام المديد	انظري تـلـمـسـي
قلبَ هذا النشيد	نشـوۃً غـلـفـت

فى عالم الشعراء

إنه شاطئ القصائد والأدب	حان يمتد غامض الكشبان
فى حناياه كل ذرة رمل	رعشة وانبثاقه وأغان
علنا واجدون فيه الرقيق الـ	مُستَهَيّ علّ فى ثناياه نجما
نحن سرنا مرتحين من الجهد	يدِ وكان المسير صُلداً أصمّا
فى ضباب الأفاق نسأل ماذا؟	أسرّاب ما حولنا أم نلال
عبثاً نلمس المدى فالمدى مُسـ	تغلق السرّ مبهم لا يُنال
وتجلى الدجى ولاح لنا فجـ	رطرى لذن النسيم بلبل
مرهف الضوء لامتّ شفتاه الـ	مرجّ فاستيقظت قُرى وسهول
إنها رعشة الحياة ومبلا	دُ الأغاني المُفروقات الشجيه
إنها العالم الذى ظلّ الشا	عر حتى الصخور فيه نديه
عالم كله انفعال وحس	شاسع الغور لا يمسّ مداه
واحتشاد الشعور بحر سحيق	غاصّ فى لا نهاية شاطئاه

بِالْأَغَانِي الْمَرْقَرِ الْأَلْوَانِ
لِلْمَدَى لِلْوُجُودِ لِلْإِنْسَانِ

وَإِحْسَائِيْسَ طَلْقَةٍ لَا تَنَامُ
فَهِيَ فِي صَمْتِ رَوْحِهِ أَلَامُ

سَاهِدِ اللَّحْنَ رَائِباً لِلْحِيَارَى
مُ بَكَى الشَّاعِرَ الرَّهِيْفَ وَثَارَا

لَيْلَ رَوْحاً وَجِبْهَةً وَشَفَاها
وَيَمِيشُ الْفَتَانَ تَحْتَ دَجَاها

سَرَحَ إِحْسَائِهِ تُعْمَزُ عَلَيْهِ
مِنْ حَنَانٍ تَلُوبُ فِي شَفْتَيْهِ

سُدُودَ فِي خُطُوهِ الرَّتِيْبِ الْكَلِيلِ
سَتِ أَسَى الشَّاعِرِ الْخَنُونِ النَّبِيلِ

سَعْبٌ وَارْحَمَ فُؤَادَكَ الْمَوْجُوعَا
ظُلُمَاتُ الدُّجَى عَلَيْهِ جَمِيعَا

عَالَمُ الشَّاعِرِ الثَّرَى الرَّؤْيُ الْعَذْ
كُلْ نَبْضٍ فِي قَلْبِهِ لَحْنُ حُبٍ

عَالَمٌ صَيْغَ مَنْ شَمُورَ رَهِيْفٍ
وَالْأَغَارِيدُ مُنْبِعُ لَأْسَاءُ

تِلْكَ مَأْسَاتُهُ يَبْتَ اللَّيَالَى
كَلَّمَا أَنْ فِي الدِّيَاجِيرِ مَظْلُو

أَبْدَأُ بِرَقَبِ أَلْدَى وَيُنَاجِي الْـ
فِي حَيَاةٍ يَرَى الْخَلَى ضُحَاها

يَرْقُبُ الْأَشْقِيَاءَ أَنَاثُهُمْ نَجْ
دَمْعَةً فِي جَفْوَنِهِ وَصَلَاةُ

يَسْهَرُ اللَّيْلَ يَقْبِعُ الْحَارِسَ الْمَكْـ
وَقَعُ أَقْدَامِهِ عَلَى شَاطِئِ الصَّمْـ

أَطْفَى الضُّبُوءَ أَبْهَا الشَّاعِرِ الْمَتْـ
كَادَ يَخْبُو ضَوْؤُ السَّرَاجِ وَتَانِي

أنا قد جئتُ كَوْنَكَ العابق الضو
على فَي كَأْسِكَ الرحيقية الول
ثيَّ بحثاً عن حلميَ المفقودِ
هي شُعاعاً من الضياءِ البرودِ

قلتُ، دنياهُ فرحهُ وضياءُ
وصلاةُ سحريةُ الرجعِ يثال
وعطاءُ خِصْبُ وروحُ ولونُ
لُ عليها عطرُ وضوءُ لَدُنْ

إنه الشاعر الطليقُ الذي يَغ
إنه دفقةُ القصائد والأد
زلُّ همسِ الرياحِ لحناً ثرياً
غمام ما زال رُوحه ضوئياً

فلمأذا أراهُ كالطيف ذبلاً
مقتناهُ مأوى الكآبة في أه
نَ طوته انطفاءً ومكونُ
مدابها يكمنُ الضياءُ الحزينُ

إنه كالضياء في طهره يُط
أولا تنجلُ الورودُ إذا ما
غشه الشرُّ والمعاني الدنيئة
لامستُها يدُ الجفافِ البطيئة

قلْبُهُ للجمال كرسَّ نجوا
لا يطيق الأذى ويحلم بالكو
هُ واللون والشذى والنقاء
نَ طهوراً مضيئاً الأنداءِ

هو والخير يقبيلان صديق
وهو الحبُّ لحنه الأبدى الط
من محبين ليس يفترقان
للقُ يندى من رقعة وحنانِ

فلت الأرض ذاب روحاً وقلبا	فإذا ما رأى الشرور وقد كب
لت على روحه الكأبة سُحبا	وذوى حُلْمُهُ الإلهى واتسا
ن يُنزع الشذى ظللاً ندبه	ويرى الزهر ذابلاً بعد أن كا
فى مناه أسطورة الأبدية	فيرى قصّة الذبول وتذوى

(١٩٦٥)

عاشقة الليل

الطبعة الأولى ١٩٤٧

«أعبر عما تحس حياتي
وأرسم إحساس روعي الغريب
فأبكي إذا صدمتني السنين
بخنجرها الأبدى الرهيب
وأضحك مما قضاه الزمان
على الهيكل الأدمى العجيب
وأغضب حين يداس الشمور
ويسخر من فوران اللهب

نازك

ذكريات محوّة

وجهُكَ أَخْفَاهُ ضَبَابُ السنينِ
وَضَمَّمَهُ الْمَاضَى إِلَى صَدْرِهِ
الْقَى عَلَيْهِ مِنْ شَبَابِي الْحَزِينِ
أَحْزَانُ قَلْبٍ تَاهَ فِي دُغْرِهِ

وَصَوْتُكَ الْخَافِي خَبَا لَحْنُهُ
وَأَوْحَشَتْ مَنَمِي أَصْدَاؤُهُ
فَلَسْتُ أَدْرِي الْآنَ مَا لَوْهُ،
مَا رَجَعَهُ الصَّافِي، وَلِيَحَاوَهُ

وَلَوْ أَنَّ عَيْنِيكَ، وَأَسْرَارُهَا،
وَشَفَرُكَ الدَّاجِي، وَأَمْوَاجُهُ
غَابَتْ جَمِيعاً، أَيْنَ تَذَكُّارُهَا
فِي لَيْلٍ قَلْبٍ طَالَ إِدْلَاجُهَا؟

كم، فى سكونِ الليلِ، تحتَ الظلامِ
رَجَعْتُ لِلْمَاضِي وَأَيَّامِهِ
أَبْحَثُ مِنْ حَتَّى بَيْنَ الرُّكَّامِ
فَلَمْ تَصِلْنِي غَيْرُ أَلَامِهِ

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرُ حَزْنِي الْمَرِيرِ
بَقِيَّةٌ مِنْ حَبَبِي النَّاهِبِ
وَذَكْرِيَّاتٍ مِنْ صَبَابِ الْغَرِيرِ
سَاحِرَةٌ مِنْ وَجْهِ الشَّاحِبِ

وَأَصْبَحْتُ ذَكَرَكَ وَهَمًا يَلُوحُ
يَشْتَاكُهُ قَلْبِي الْكَثِيبُ الْغَرِيرُ
يَا جَسَدًا، كَالْقَبْرِ، مَا فِيهِ رُوحُ
سَمِيَّتُهُ قَلْبًا، فَيَا لِّلْغُرُورِ!

وَأَيُّ قَلْبٍ جَامِدٌ بَارِدُ
أَيُّ حَيَاةٍ تَحْتَ ظِلِّ الْخُمُودِ
لَوْلَا صُورَاخُ الزَّمَنِ الْحَاقِدِ
لَضِيقْتُ بِالْعَيْشِ وَعِيقْتُ الْوُجُودَ

لَمْ يَمُدِ الْحُبُّ أَسَى مُخْرِقًا
يُسْنِمِلُ أَيَّامِي بِأَحْزَانِهِ
وَلَمْ يَمُدْ جَفَنِي مُخْرِقًا
يَخْرِقُهُ الدَّمْعُ بِنِيرَانِهِ

لَمْ يَبْقَ إِلَّا فُورَةٌ وَاحِدَةٌ قَارُ
مَلَأَ حَيَاتِي الْمُرَّةَ الْحَالِمَةَ
النَّارُ ذَابَتْ وَتَبَقَّى الشَّرَارُ
تَشْرِيبُهُ أَحْلَامِي الْوَاهِمَةَ

وَطِفُّكَ الْخَابِي هَوَى نَجْمُهُ
وَغَابَ فِي الْمَاضِي الرَّهِيْبَ الْأَبِيدُ
وَوَجْهُكَ الْقَاسِي ذَوَى رَسْمِهِ
فِي مُقْلَتِي فَهُوَ خِيَالُ بَعِيدُ

مَضَى زَمَانٌ كُنْتُ فِيهِ أَلْتِي
تَفَتَّنْتُهَا أَنْتَ مَلِكُ الصَّافِيَةِ
وَرُوحُ أَتَمِّمَارِكَ فِي وَحْدَتِي
وَحْيِي الْإِلَهِيِّ وَأَتَمِّمَارِيَةِ

مَضَى وَأَبْقَى لِي فِئْوَاداً يَرَى
فِيكَ جَمَاداً مِنْ تَرَابٍ وَطِينٍ
أَسْكَنْتُهُ يَوْمَماً أَعَالَى الذَّرَى
وَأَرْجَمْتُهُ لِلْحَضِيضِ السَّنِينِ

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ الْآنَ شَيْءٌ جَمِيلٌ
غَيْرَ اسْمِكَ الْعَذْبِ وَأَصْدَانِهِ
ذَكَرْتُ لِقَلْبٍ كَانَ يَوْمَماً نَبِيلٌ
فَبَاتَ فِي حَنَاءِ أَهْوَانِهِ

مَلَامَحُ الْهَيْكَلِ عِنْدِي أَمَحَتْهُ
الْوَجْهَ، وَالْبَسْمَةَ، وَالْمُقْلَتَانِ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا اسْمٌ، وَرُوحٌ خُفُوتَ
وَذَكْرِيَّاتٌ قَدْ مَحَاها الزَّمَانُ

مَلَذْتُ كَفِّي إِلَى جَوْهَا
بَاحِثَةً عَنْ سَحَرِهَا السَّابِقِ
فَلَمْ أَجِدْ ثُمَّ سَوَى شِلْوِهَا
يَسْخَرُ مِنْ مَدْمَعِي الدَّافِقِ

وعِبادِ قَلْبِي لِلْأَسَى وَالْعَذَابِ
مَسْنُوحِشاً حَتَّى مِنْ الذِّكْرِيَّاتِ
مَنْ يُرْجِعُ الْمَاضِيَ إِذَا مَا الضُّبَابِ
أَلْقَى دُجَاهُ فَوْقَ لَيْلِ الْحَيَاةِ؟

وَمَا مَحَاةُ الزَّمَنِ الْقَادِرُ
أَيُّ يَدٍ تَكْتُبُهُ مِنْ جَسَدٍ؟
فَلَيْمَ إِذْنُ يَلْتَفِتُ الشَّامِرُ
إِلَى دُجَى الْمَاضَى الرَّهيبِ الْأَبِيدِ؟

٢٠-٨-١٩٤٦

ذكري مولدى

مهلة إلى «كاملة» صديقة طفولتى التى
لم أعد أعرف عنها إلا اسمها.

به حيارى فى موكب الأيام
وحسولى جنازة الأحلام
ضى وقلبى ما عاد غير حطام
وح فى غيبه الوجود الدامى

حرى وما أروع الرجاء الفقيدا
كل يوم بينى رجاء جديدا
من يعيش الحياة جذلاً سعيدا
تاض عنه حجارة أو حديدا

بة نفسى أى التقاء مرير
خى ويخى ذكري صباى الفيرير
وعلى فيك آهة من زفيرى
ونجاهلت نشوتى وحبورى

جئت يا ذكريات شاحبة الوجه
جئت والشباب بك بمعنى
رغباتى دفنتها فى ثرى الما
ودموعى رمز لما لقيته الر

جئت يا ذكريات ما انقطع الذك
ليت قلبى قد كان صخرأ أصمأ
ليته كان جامد الحس كالطب
ليته لم يكن ويا ليتنى أم

والتقينا مع الصباح فيأ خي
وجهك الشاحب المروغ يكي
وبمينيك قطرة من دموعى
أسفا قد حفظت أحزان قلبى

شَهِدَ الْفَجْرُ كَيْفَ يَا ذَكْرِيَانِي
عَانَقْتَنِي أَشْبَاحُكَ الْبَاكِاتِ الـ
ووقفنا تحت الصِّباحِ ثَمَانِي
وانحنَّ فوقنا الشُّجَيْرَاتُ حَزْنًا

كَانَ هَذَا الْلِقَاءُ أَشْجَى لِقَاءِ
خُرُسٍ بِالْيَاسِ وَالشَّجَا وَالْبَكَاءِ
لَحْ حَيَارَى كَأَنْفُسِ الشُّعْرَاءِ
تَبَاكِي بِأَدْمَعِ خُرُسَاءِ

أَسْفًا ضَاعَتْ الطَّفُولَةُ فِي الْمَا
وَهِيَ لَوْ تَعْلَمِينَ أَجْمَلُ مَا يَمـ
حِينَمَا كُنْتُ طِفْلَةً أَجْهَلَ السَّرِّ
كَالْمَصَافِيرِ أَمْلًا الدَّارَ لَهَوًا

ضَى وَغَابَتْ أَفْرَاحُهَا عَنْ جَفُونِي
لَكَ قَلْبِي وَمَا رَأَتْهُ عَيْوُنِي
وَاحِيَا فِي غَفْلَةٍ مِنْ شُجُونِي
وَفَنَاءٍ وَأَسْتَحِبُّ جُنُونِي

مَاتَ أَمْسَى الضُّحُوكُ وَاعْتَضَتْ عَنْهُ
وَحَبَتْ ذَكْرِيَانُهُ الْبَيْضُ فِي بَحـ
أَيْنَ تِلْكَ الْوُجُوهُ؟ كَيْفَ نَسِيتُ الْآ
كُلُّ وَجْهِ عَفَاءُ مَرُّ اللَّيَالِي

بِشَبَابٍ مُرٍّ وَدَمْعٍ وَيَاسٍ
رِ شَمُورِي وَلَيْلِ قَلْبِي وَنَفْسِي
ن؟ مِنْ ذَا يُعِيدُنِي فَجَرَ أَمْسَى؟
فَهُوَ طَيْفٌ وَرَاءَ وَعْيِي وَحْسَى

أَعْبُرُ الْعُمُرَ كُلَّهُ نَحْوَ أَمْسَى
مَجْلِسِي فَوْقَ تَلَى الْحُلُوفِ وَحْدِي
وَمَعِيَ الطِّفْلَةُ الصَّدِيقَةُ نَبْنِي
عُمُرُنَا قِصَّةٌ وَلَحْنُ نَغْنِي

وَيَعُودُ الشُّمُورُ بِي لِلتَّلَالِ
أَوْ شُرُودِي بَيْنَ الشَّدَى وَالظَّلَالِ
فَوْقَ وَجْهِ الرَّمَالِ عَرْشُ الْخَيَالِ
بِهِ وَقَلْبَانِ فِي نَقَاءِ الرَّمَالِ

أين أصبحت يا رفيقة أُمسى؟
أترى تذكرين مثلى آيا
أم ترى قد نسيتي ونسيتِ الأ
أبدًا لستُ لستُ أنسى وإن كند

ما الذى قد شهدت فوق الوجود؟
م صباننا وحلمنا المفقودا؟
مس فى قرحة الشباب الرغيد؟
ت تهاوت فى الزمان البعيد

أترى أبصرت عيونك فى الأر
أرايت الأحزان فى كل قلب
أسمعت الصراخ يرسله الأح
حلثني صديقة الأمس هاتي

ض كما أبصرت عيوني شقاها؟
ورأيت النفوس فى بلواها؟
بياه والأرض أغرقتها دماها؟
عن ليالك بشرها وأسأها

ربما كنت يا رفيقة مثلى
الرفيقات غبن عنك وآث
فكنمت الشمور فى قلبك الصا
وقضيت الحياة فى الوحدة الحمر

زورقاً فى البحار عاد خطاما
رن عليك الشرور والآثما
فى وصنت الأحزان والآلما
ساء تستلهمينها الأحلاما؟

أنصتى من مكانك الغامض المجد
أو تدرين ما الذى صنعته
إنه يوم مولدى، يوم أحزا
حينما أوقفت سفيتى الأث

هول أصفى الى تشيدى الصافى
سنوات العمر الرهيب الخافى؟
نى وذكرى الرسول عند الضفاف
لدار بين الأمواج، تحت السوافى

حُ شَبَابِي أَصْبَلُهَا لِلْسَّيْنَا
جَهَنَّمُ؟ أَيْنَ الثَّلَاثُ وَالْعَشْرُونَ؟
ر؟ وَمَالِي ذَوَيْتُ عَمْرِي أَنِينَا؟
أَمَلًا ذَاهِبًا وَرُوحًا حَزِينًا

إِنَّهُ يَوْمٌ مُّوَلَّدِي أَيْنَ أَفْرَا
كَيْفَ مَرَّ الْعَامُ الْحَزِينُ بِقَلْبِي الدَّ
كَيْفَ مَرَّتْ هَذِي السَّنِينُ وَلَمْ أَذْ
لَمْ أَتْلُ مِنْ ظِلَامِهِ الْمَرُّ إِلَّا

بُعْمَرِي الدَّاجِي كَظَلَّ شَقِيٌّ
بَيْنَ جُذُرَانِ مَعْبَدِي الشَّاعِرِي
نِي وَيَسْكِي عَلَى شَبَابِي الدَّجِي
غَيْرَ قَلْبِي الشَّجِي وَدَمْعِي النَّقِي

إِنَّهُ يَوْمٌ مُّوَلَّدِي وَلَقَدْ مَرَّ
عَشْنُهُ فِي قَصَائِدِي وَدُمُوعِي
لَا فَوَادٍ مَعِي يُشَارِكُنِي حُزْ
لَا رَفِيقٌ فِي غُرْنِي وَوَجُوعِي

١٩٤٦-٨-٢٣

الحياة المحترقة ✓

وكتبت الشاعرة هذه القصيدة عندما

ألفت بمذكراتها إلى النار^٩.

هذه يا نارُ أفرأحي وشوقي وشجونى
جئتُ ألقىها إلى فكّيكِ فى فجرى الحزينِ
كلُّ ما مرَّ بقلبي من شقاءٍ وحنينِ
إلْقِ به الآنَ لا تَبْقَى ولا تَسْتَمْهِلِينِ

هذه الأسطرُ قد ضَمَّتْ بقايا سنواتى
منذُ أن أَلْقَيْتِ بى الأقدارُ فى نيهِ الحياةِ
طفلةً ترنو الى الشاطئِ عِبرى النظراتِ
وترى العالمَ بحرًا مُفَرِّقًا فى الظُّلُماتِ

سَنَوَاتى كُلُّها يا نارُ فى هذى السُّطورِ
أغاريدى، وأشواقُ حياتى، وحُبورى
وبقايا من حنينى، وشظايا من شعورى
وأبديدُ من الأحلامِ والحُزنِ المريرِ

إنَّهَا أَيْتُهَا النَّارُ، أَزَاهِيرُ شَبَابِي
صُغْتُهَا ذِكْرِي لِأَحْزَانِي، وَرَمَزْتُ لَعَلَّابِي
وَمَحَا أَسْطَرَّهَا دُمْعِي وَأَبْلَاهَا اكْتِسَابِي
خُذِيهَا، وَأَعْيِدِيهَا رُكُاماً مِنْ تُرَابِ

أَخْرِقِيهَا، لَمْ أَعُدْ أَعْبَاءُ، لَنْ أَبْكِي شَذَاهَا
إِنَّهَا، يَا نَارُ، ذِكْرِي لِلْيَالِ لَنْ أَرَاهَا
دَفَنْ الْمَاضِي خَفَايَاهَا الْحَوَالِي وَمَحَاهَا
وَطَوَتْهَا لُجَّةُ النِّسْيَانِ فِي عُمُقِ دُجَاهَا

ذَهَبَتْ تِلْكَ اللَّيَالِي وَطَوَى الذَّهْرُ صَبَابَا
أَيُّ نَفْعٍ بَعْدُ يَا نَارُ لِنَدْمِي وَأَسَايَا؟
أَيُّ مَعْنَى لَذِكْرَاتِي، وَشَوْقِي وَمُنَايَا؟
لَنْ يَمُودَ الْأَمْسُ، لَنْ تَلْقَى سَنَاهُ مُقْلَتَايَا

أَيُّهَا الْحَاضِرُ لَا تُسْرِعْ إِلَى الْمَاضِي الْبَعِيدِ
وَلتَقِفْ مَرَكَبَةَ الشَّمْسِ عَلَى الْأَفْقِ الْمُبِيدِ
لِيَكُنْ بَعْدَ صَبَابِنَا نَحْتِ أَفْيَاءِ الْخُلُودِ
آهٍ وَلِيَمَحْ لَفْظُ الْأَمْسِ، مِنْ سِفْرِ الْوُجُودِ

أو أبَدَ ما تَرَكَ المَاضَى من الأحزانِ فينا
وامسحِ الذكري ولا تُبقِ لنا الشوقَ الدفينا
حسبنا الحاضرُ ألاماً ودمعاً وشُجُوناً
رحمةً فلتَمسحِ المَاضَى وآثارَ السنينِ

فيمَ تبقى ذكرياتي حيةً بعدى وأنسى؟
كلُّ يومٍ أسرعُ الخطو عن العالمِ ياسا
وهي ما زالتُ شاباً ناضراً، جسماً ونفساً
آه ما أعنفَ أحقادى على الذكرى، وأقسى!

أيُّها النارُ الهَيى فى الموقدِ الذاوى الرهيبِ
وخذى من فتنةِ الذكرى غذاءَ للهِيبِ
إنَّارى منها، أعيديها رَماً، وأذيبى
ودعيني مرةً أضحكُ من قلبي الكتيبِ

١٩٤٦-٦-٧

✓ في وادي العبيد

ضاع عُمرى في دياجير الحياة
وخبَّتْ أحلامُ قلبي المُفْرِقِ
ها أنا وحدي على شطِّ المماتِ
والأعاصير تُنادي زورقي
ليس في عيني غير العَبَرَاتِ
الظلالُ السودُ تحمي مفرقي
ليس في سمعي غير الصَرَخَاتِ
أسفًا للعُمرِ، ماذا قد بقي؟

سَنَوَاتُ العُمرِ مَرَّتْ بِي سِرَاعًا
وتوارَتْ في دُجَى المَاضِي البَعيدِ
وتبقَّيتُ على البَحْرِ شِرَاعًا
مُفْرَقًا في النَمْعِ والحِزْنِ المُبِيدِ
وحدتني ثِقَاتُنِي والعُمرُ ضَامِعًا
والأسى لم يبق لي حُلْمًا جَدِيدِ
وظلامُ العَيشِ لم يبق شُعَاعًا
الشبابُ الغَضُّ يَذْوِي وَيَسِيدِ

أَيْ مَأْسَاءَ حَيَاتِي وَصَبَابَا
 أَيْ نَارٍ خَلْفَ صَمْنَتِي وَشَكَاتِي
 كَتَمْتُ رَوْحِي وَبَاحْتُ مُقَلَّتَايَا
 لِبَيْهَا ضَنْتُ بِأَسْرَارِ حَيَاتِي
 وَلَمَنْ أَشْكُو عَذَابِي وَأَمَابَا؟
 وَلَمَنْ أَرْسِلْ هَذِي الْأَغْنِيَّاتِ؟
 وَحَوَالِيَّ عَبِيدُ وَضَحَايَا
 وَوَجُودُ مُتَفَرِّقٌ فِي الظُّلُمَاتِ

أَيْ مَعْنَى لَطْمُ رَوْحِي وَرَجَائِي
 شَهِدَ الْمَوْتُ بَضْعَفِي الْبَشَرِيَّ
 لَيْسَ فِي الْأَرْضِ لِحُزْنِي مِنْ عِزَاءِ
 فَاحْتِدَامِ الشَّرِّ طَبْعُ الْأَدَمِيِّ
 مُثَلَّى الْعُلْيَا وَحُلْمِي وَسَمَائِي
 كُلُّهَا أَوْهَامُ قَلْبٍ شَاعِرِي
 هَكَذَا قَالُوا... فَمَا مَعْنَى بَقَائِي؟
 رَحْمَةُ الْأَقْدَارِ بِالْقَلْبِ الشَّقِيِّ

لا أريدُ العيشَ في وادي العبيدِ
 بين أموات... وإن لم يُدفنوا...
 جُثثُ ترسِفُ في أسْرِ القبيودِ
 ومائيلُ أجسودِها الأعينِ
 آدميَّونَ ولكن كالعُقُودِ
 وضبابُ شرسةٍ لا تؤمنُ
 أبداً أنمُعُهم عذبَ نسيدي
 وهم نومٌ عميقٌ مخزنُ

قلبى الحُرُّ الذى لم يفهموه
 سوف يلقى فى أغانيه العزاءَ
 لا يظنُّوا أنهم قد سحقوه
 فهو ما زالَ جمالاً ونقاءً
 سوف تمضى فى التسيابِ منوه
 وهم فى الشرِّ فجراً ومساءً
 فى حضيضٍ من أذاهم الفسوة
 مظلم لا حُسنَ فيه، لا ضياءَ

إن أكنْ عاشقَ الليل فكأسى
مُشْرِقُ بالضوء والحُبِّ الوريقِ
وجمَّالُ الليلِ قد طهَّرَ نفسى
بالدُّجَى والهَمْسِ والصمتِ العميقِ
أبدأ يملؤْ أوهامى وحسنى
بمعانى الروحِ والشعرِ الرقيقِ
فدعوا لى ليلَ أحلامى ويأسى
ولكم أتم تباشيرُ الشُّروقِ

١٩٤٦/٨/٨

ثورة على الشمس

هدية إلى المتمردين

وَقَفْتُ أَمَامَ الشَّمْسِ صَارِخَةً بِهَا
يَا شَمْسُ، مِثْلُكَ قَلْبِي الْمْتَمَرُّ
قَلْبِي الَّذِي جَرَفَ الْحَيَاةَ شَبَابُهُ
وَسَقَى النُّجُومَ ضِيَاؤُهُ الْمُتَجَدِّدُ
مَهْلًا، وَلَا يَخْدَعُكَ حُزْنُ حَائِرٍ
فِي مَقَلَّتِي، وَدَمْعَةٌ تَتَهَدَّدُ
فَالْحُزْنَ صُورَةً تُورِنِي وَتُرْدِي
تَحْتَ اللَّيَالِي، وَالْأَلُوهَةَ تُشْهَدُ

مَهْلًا وَلَا يَخْدَعُكَ حُزْنُ مَلَامِحِي
وَشُحُوبُ لَوْنِي وَارْتِمَاشُ عِوَاطِفِي
وَإِذَا لَمَحْتَ عَلَيَّ جَبِينِي حَيْرَتِي
وَسُطُورَ حَزْنِي الشَّاعِرِي الْجَارِفِ
فَهُوَ الشُّمُورُ يُثِيرُ فِي نَفْسِي الْأَسَى
وَالدَّمَعُ فِي هَوْلِ الْحَيَاةِ الْعَاصِفِ
وَهِيَ النَّبِوَّةُ لَمْ تَطْرُقْ فَنَمَرَدَتِ
الْحُزْنَ، فِي وَجْهِ الْحَيَاةِ الْكَاسِفِ

شَفَتَايَ مُطَبَّقَتَانِ فَوْقَ أَسَاسِمَا
 عَيْنَايَ ظَامِنَتَانِ لِلْإِنْدَاءِ
 تَرَكْتُ الْمَسَاءَ عَلَى جَبِينِي ظِلَّهُ
 وَقَضَى الصَّبَاحُ عَلَى جِلْدِي رَجَائِي
 فَاتَيْتُ أَسْكَبُ فِي الطَّبِيعَةِ حَيْرَتِي
 بَيْنَ الشَّذَى وَالْوَرْدِ وَالْأَنْبِيَاءِ
 فَسَخِرْتُ مِنْ حُزْنِي الْعَمِيقِ وَأَدْمَعِي
 وَضَحِكْتُ فَوْقَ مِرَارَتِي وَشَقَائِي

يَا شَمْسُ حَتَّى أَنْتِ؟ يَا لَكَايَتِي!
 وَأَنْتِ الَّتِي تَرْنُو لَهَا أَحْلَامِي
 أَنْتِ الَّتِي غَنَى شَبَابِي بِأَسْمِهَا
 وَشَدَا بِفَيْضِ ضِيَائِهَا الْبَسَامِ
 أَنْتِ الَّتِي قَلَسَتْهَا وَتَخَذَتْهَا
 صَنَمًا أَلُوذُ بِهِ مِنَ الْأَلَامِ
 يَا خَبِيبَةَ الْأَحْلَامِ، مَا أَبْقَيْتِ لِي
 إِلَّا ظِلَالَ كُنَايَتِي وَظِلَامِي

سَاحِطُ الصَّمِّ الذِي شَبَّهَهُ
 لَكَ مِنْ هَوَايَ لِكُلِّ ضَوْءٍ سَاطِعٍ
 وَأَدِيرُ مَعِي مِنْ سَنَّاكَ مُشِيحَةً
 مَا أَنْتَ إِلَّا طَيْفُ ضَوْءٍ خَادِعٍ
 وَأَصَوِّغُ مِنْ أَحْلَامِ قَلْبِي جَنَّةً
 تُغْنِي حَبِيبَاتِي مِنْ سَنَّاكَ اللَّامِعِ
 نَحْنُ، الْخَيَالِيَّيْنَ، فِي أَرْوَاحِنَا
 سِرُّ الْأَلُوهَةِ وَالْخُلُودِ الضَّائِعِ

لَا تَتَشَوَّرُ الْأَضْوَاءُ فَوْقَ خَمِيلَتِي
 إِنْ تُشْرِقُ، فَلَفِيرِ قَلْبِي الشَّاعِرِ
 مَا عَادَ ضَوْؤُكَ يَسْتَنْبِرُ خَوَالِجِي
 حَسْبِي نَجْمُ اللَّيْلِ تُلْهِمُ خَاطِرِي
 هُنَّ الصَّلِيقَاتُ السَّوَاهِرُ فِي الدُّجَى
 يَفْهَمْنَ رُوحِي وَانْفِجَارَ مِثَاقِي
 وَيُرْقِنُ فِي جَفْنِي خُيُوطَ أَشْمَعَةٍ
 فِضِّيَّةٍ، تَحْتَ الْمَسَاءِ السَّاحِرِ

الليلُ الحانُ الحياةُ وشغرها
ومطافُ آلهةِ الجمالِ المُلهِم
تهفو عليه النفسُ غيرَ حبيسةٍ
وتخلقُ الأرواحُ فسوقَ الأنجمِ
كم برزتُ تحتَ ظلامه ونجومه
نسيتُ أحزانَ الوجودِ المظلمِ
وعلى فمي نغمُ إلهي الصلبي
تلقيه قافلةُ النجومِ على فمي

كم رحتُ أرقبُ كلَّ نجمٍ عابِرٍ
وأصوغُ في غسقِ الظلامِ ملاحني
أو أرقبُ القمرَ المودعَ في الدُجى
وأهيمُ في وادي الخيالِ الفاتنِ
الصمتُ يمتُّ في فؤادي رعدةً
تحت المساءِ المُلهِمِ الساكنِ
والضوءُ يرقصُ في جفوني راسماً
في عُمقها أحلامَ قلبِ آمِنِ

يا شمسُ، أما أنتِ.. ماذا؟ ما الذى
تلقاهُ فيكَ عواطفى وخواطرى؟
لا تُعجَبى إن كنتُ عاشقةَ الدُّجى
يا ربةَ اللَّهبِ المنيبِ الصَّامِرِ
يا من تُمَزِّقُ كلَّ حُلْمٍ مُشْرِقٍ
للحالِمينَ وكلَّ طيفٍ ساحِرٍ
يا من تُهدِّمُ ما يثبِّدُهُ الدُّجى
والصمتُ فى أعماقِ قلبِ الشاعِرِ

أضواءُكَ المتراقصاتُ جميعُها
يا شمسُ أضعُفُ من لهيبِ تمردى
وجنونُ نارِكَ لِنِ يَمَزِّقُ نَفْسِمَنى
مادامَ قِيْثارى المَفرَّدُ فى يَدى
فإذا غَمَرَتِ الأرضَ فَلْتَنَظَرِ
أنى سأخلى من ضيائك مَعْبِدِ
وسأدفنُ الماضى الذى جَلَّلْتَهُ
ليخيمَ اللَّيْلُ الجميلُ على غَدِى

١٩٤٦-٧-٨

بين فكي الموت

«كانت الشاعرة مصابة بحمى شديدة فنظمت هذه القصيدة الحزينة تودع الحياة وتستقبل العالم المظلم».

يا مساء الصيف الحزين خبا حجب
وتبرمت بالسكون وبالأشد
لم يعد في قلبي هوىً لدياجيب
رحمة يا ظلام يا صمت يا أس
سى لما فيك من أسى وخشوع
باح واعتضت عنهما بدموع
لك فيا رحمة بقلبي الوجيع
رأى بالخفاق الشقى المروع

ها أنا تحت دجبة الليل روح
صرخات الحمى تحطم أحلا
يا عيون النجوم لا ترمقيني
وامسدى يا رياح كفيك لطفاً
مستطار في هكل موهون
مى وأحلام قلبي المحزون
لم يعد في سأك أى فتون
وحناناً على فمى وجبيني

ها أنا بين فكي الموت قلباً
وعيوناً ظمأى إلى متع الكو
لم أزل برعماً على غصن الدهر
فحرام أن تدفن الآن يا مو
لم يزل راعشاً بحب الحياة
ن تنأجى مفاتن الأمسيات
مر جديد الأحلام والأمنيات
ت شبابي في عالم الأموات

ها أنا عند هُوَّةِ الزَّمنِ المُظْ
من ورائي صِبَاىَ بَيْنَ الْأَنَاشِيْدِ
وَأَمَامِي وَاْدَى الْمَنَيا قَبِيْرُ
أَفْقُ رَاْعِبُ رَهِيْبُ الْمَنَيا

سَلَمَ بَيْنَ الْأَمَواتِ وَالْأَحْياءِ
يَدٍ وَلَهُوَ الطُّفُوْلَةُ الْحَسَناءِ
فِي ظِلَالِ الْمَنِيْعَةِ الْحَرَساءِ
ضَمَّ أَرْجاءَهُ الدُّجَى اللَّانِهايِ

أَيُّها الْمَوْتُ وَقِفْهُ قَبْلَ أَنْ تُفْ
أَهْ دَعْنِي أَمْلَأْ عِيونِي مِنَ الْأَنْ
أَهْ دَعْنِي أَوْدِعْ الْعَوْدَ يا مُو
وَأَرْنَمْ لَحْنَ الْوَدَّاعِ لِلدَّنيَا

رَى بِجَسْمِي سَكُونَكَ الْأَبديَا
حَوارٍ وَارْحَمْ فُؤادِي الشَّاعِريَا
تُ فَقَدْ كَانَ لِي الصَّدِيقَ الْوَفِيَا
يَ لَأَمْضَى لِلْمَوْتِ قَلْباً شَقِيَا

رَحْمَةً يَ، يا أَيُّها الْمَوْتُ، وَأَرْفُقْ
أَضْفِنِي الْآنَ مِنْ مَفارِقَةِ الدَّنْ
لَا أَحَبُّ الظُّلَامَ فَلَيكُ مُوْنِي
حِينَما تَضْحَكُ الطَّيْبَةُ فِي الْوَا

بِفُؤادِ نالَتْ هَواهُ الْحَياةُ
يَا وَدَعْنِي إِلَى غَدٍ يا مَماتُ
يَ غَدَ حِينَ تَغْرُبُ الظُّلُماتُ
دَى الْأَغْنِ الْحَالِي وَتَشْدُو الرُّعاةُ

يا سَكُونِ اللَّيْلِ الْعَمِيقِ وَداعِيا
لَمْ يَعُدْ فِي الْجَسْمِ الْوَهونَ سِوى بَقْدِ
لَمْ يَعُدْ فِي السُّرَّاجِ إِلَّا وَمِيزُ
وَأَتَسْهِى يا ظِلَامُ تَحْتَكُ تَجَسَّوا

إِنَّها يا سَكُونُ أَخْسرُ لَيْلِهِ
يَا حَياةُ وَنَسْمَةُ مُضْمَحَلَةٍ
شاحِبٌ مَدَّ حَولَهُ الْمَوْتُ ظُلَّةُ
لِي وَشِمْرِي وَأَغْنِيائِي الْمِملَةُ

وستمحو الأيام ذكر فتاة
فقطت أمسياتها تبع الأطر
يا جناح الخيال لم يبق ريش
ليس إلا جسم تضعفه الحم

شغفتها إلهة الشعر حبا
بياف والعاصفات شرقا وغربا
يا ظلام الفناء لم تبق قلبا
سى وطرف يطوى الدياجير رعبا

أيها الليل، أيها العالم الغا
فارحم الآن تحت دجيتك السو
لَهفتا يا ظلام لن يطلع الفج
لهفتا يا ظلام لهفة روح

مض قد اسدل الستار المخيف
داه قلبا غامت عليه الخشوف
رُ ولن يبسم الفؤاد الهيف
لم يمتع شبابه المشغوف

يا فؤادى الشريد ودّع أماني
أنت يا من قضيت عمرك مفتو
واسترح أيها الخفوق كفى حز
لا يرعك الردى وحسبك أن تد

لك فلن نلمح الصباح الجميلا
نأ تناجى الربى وتشدو الحقولا
نأ كفانا تضرعا وذمولا
رك يا قلب سره للجھولا

فيم بكى على مفارقة الدن
إنها أيها المذنب مأسا
تخدع الجاهلين أوهاها السو
فاحتقرها وسر إلى عالم الام

يا وقد عشت فى حماها غريبا؟
ة تُشير الأسي وتبكي القلوبا
دُ ولا تخدع الذكى الأريسا
حات يا قلبى الرقيق طرويا

يا عيونَ النجومِ يا ورقَ الصَّفَدِ
لن أغتنيك بعبدٍ ليلَى هذا
عبدُنا يا حياةَ دُفْعَى للمو
وغداً سوفَ يطمرُ اللُّجُ أشلا

صافِ يا فتنةَ السكونِ وداعاً!
آن أن يتشرَّ الزَّمانُ الشُّراعاً
ج فلن أستطيعَ بعدُ دفاعاً
ئى ونمضى بها الرِّيحُ سِراعاً

يا بحارَ الفناءِ فى العالمِ المجدِ
واحشدى حوله عرائسك الحو
فأنا يا بحارُ شاعرةُ الأح
وتغثيتُ بالحياةِ ولكنْ

هولِ رفقاً بزورقى المكثودِ
رَ لعلّى أسلو جمالَ الوجودِ
لام ضمختُ بالفتونِ نشيدى
لم تبرَّ الحياةُ لى بالوعودِ

أيها الليلُ أنْ أنْ يُطفئَ المو
لن تنالِ الآهاتُ من خافقِ المو
فوداعاً من قلبِ عاشقةِ اللب
هكذا تذبُلُ الحياةُ ويخبو

تُ شعاعَ الطُموحِ فى مقتلٍ
ت ولن تُصغى الحياةُ إلّيا
ل وداعاً وأنتِ يا موتُ هيّا
لحنُ أحزانها على شفتيّنا

السفر

أنا وحدي فوق صدر البحر يا زورقُ فارجعْ
عشياً أنتظرُ الآنَ فنجمي ليس يطلعْ
هبتَ الريحُ على البحرِ الجنوني المروغْ
لَتَعُدْ للشاطئ الساجي بقلبي المتضرعْ

عُدْ إلى الشاطئ، عذما عاد يحلو لي البقاء
ذهبَ البحرُ بأصحابي إلى حيثُ الضياء
أنا وحدي، أيها الملاحُ، حُزنٌ وبُكاءُ
يَرْجِعُ الزورقُ بي وحدي إذا جاء المساءُ

ذهبوا للشاطئ المسحورِ إذ عُدْتُ لوحدي
ذهبوا إلا أنا، عُدْتُ بأحزاني وسُهدي
لم أصبْ في رحلتِي إلا صَبَاباتي وجُهدي
فليكنْ، يا بحرُ، هذا، بالمني، آخرَ عهدي

كيف يا بحر توارى الركبُ خلفَ الجزرِ؟
كيف يَلْذَوِي في فؤادِي الصَّبَّ حُلْمُ السَّفَرِ؟
عزُّ يا بحرُ على موجِكَ بُرءَ الصَدْرِ
فلأعدْ، لا رحمةَ الآنَ بقلبِ القَدْرِ

فلأعدْ للساحلِ المظلمِ قلباً مُسْتَطاراً
أذفنُ الحِلْمَ وأحيا زهرةَ وَسْطِ الصَّحَارِ
أبدأ أروى أناشيدِي بأحزانِ الحَيَارِ
أبدأ أحلُمُ بالفَجْرِ فلا ألقى النِّهَارِ

أيها الزَّورَقُ عدي، لم يعدْ ثَمَّةَ حُلْمٍ
قد مَضَى الرِّكْبُ ولن يُشْرِقَ في أفقِ نَجْمٍ
ما الذي أرجو ومن حولي المَسَاءُ المُدْلِهَمُ
والأعاصيرُ، وأشباحُ الدِّيَاجِي، والحِضَمُ؟

أيها الشَّاطِئُ، يا مَتَبَعَ أحلامي، وداعاً
سئمَ المِجْدَافُ في كَفَى دَفْعاً وصِراعاً
كيف أَلْقَاكَ وقد مَزَقَتْ الرِّيحُ الشُّرَاهَا
ورجائي فيكَ بينَ أَلْوَجِ يا شاطِئُ ضاعاً

فلأعد، لا سقرَ اليومَ إلى الأفق الجميل
لن أرى الشاطئ، لن أحلم في ظلّ النخيل
وغداً رحلتى الكبرى إلى وادى الأفول
آه فلأرحلْ إليه، فلقد حان رحيلى

فودّاعاً أيها الركبُ ودّاعاً يا حياة
آن أن يُطفىَ أفراحى وأحزاني المماتُ
آن أن تهجرَ قيثارى وعودى النغماتُ
فسلامُ أيها الموتُ، سلامُ يا رفاتُ

١٩٤٥-٧-٣٠

مرثية غريق

أَيُّهَا النَّهْرُ لَقَدْ جَاءَ الْمَسَاءُ
وَمَشَى الصَّبْتُ عَلَى الْمَوْجِ الْوَدِيعِ
وخبأ في الأفقِ الحالِي الضياءُ
وتَلاشى وثُعُ أَقْسَامِ الْقَطِيعِ

سكن الكونُ سَوى الْمَوْجِ الْمُتَوَى
أساطيرِ الْعُصُورِ الْخَالِيَاتِ
لم يَزَلْ يشكو المقاديرَ وَيَرَوِي
أَبْدأَ لِلْكَوْنِ أَسْرَارَ الْحَيَاةِ

إِيهِ يَا ضِفَّةُ مَا ذَاكَ الْخِيَالُ؟
فوق صدرِ الْمَوْجِ، تحتِ الظُّلُمَاتِ
إِلَهُ قَدْ تَصَبَّأَ الْجَمَالَ؟
أم غريقٌ عَزَّ حَبْلُ النِّجَاةِ؟

حدّثيني، ما أرى خلف السّياج؟
فهو يا ضيّقة في الليلِ مريبُ
مما الذي ألمح في هذي الدّياجى؟
ما تراه ذلك الشّيءُ الغريبُ؟

هيكَلُ يغطّسُ حيناً ثمَّ يطفو
تائهًا تحت دُجى الليلِ الحزينِ
بشّرٌ هذا ترى؟ أم هو طيفُ؟
ليت شعري، يا دياجى، ما يكونُ؟

آه يا شاعرتى، هذا غريق
فاحزنى للجسدِ البالى الممزّق
راقداً، تحت الدّياجى، لا يُفِيقُ
والسّنا من حوْلِهِ جفّنُ مسوّرقُ

يا لَيْتَ لم يودّعْهُ قَريبُ
فهو في النّهرِ وحيدٌ مُتعبُ
ما بكى مَصْرَعَهُ إلا غريبُ
هو قلبى، ذلك المكتئبُ

يا رِيَّاحَ اللَّيْلِ رَفِّقَا بِالرُّفَاتِ
وَاهْدِنِي، لَا تُثْقِلْنِي جِسْمَ الْفَرِيقِ
حَسْبُهُ مَا مَرَزَتْ أَيْدِي الْحَيَاةِ
فَلْيَكُنْ مِنْكَ لَهُ قَلْبٌ صَدِيقِ

وَلْتَكُنْ، يَا نَهْرُ، أَمْوَاجُكَ حَضُنَا
يَتَلَقَّاهُ وَقَلْبًا مُشْتَفَقَا
وَلْتَكُنْ، يَا نَجْمُ، أَضْوَاءُكَ عَيْنُنَا
نَكُوبُ الدَّمْعِ عَلَى مَنْ غَرِقَا

أَهْ يَا قَبِيضًا رَنِي، أَيُّ الْمَآسِي!
قَدْ كَرِهْتُ اللَّيْلَ أَضْوَاءَ وَظَلًّا
أَيُّهَا الصَّبَا، قَفَا! أَلْقِ الْمَرَاسِي
إِنْ نَحْتَ اللَّيْلَ جَسْمًا مُضْمَحَلًّا

هَوَذَا، يَا أَيُّهَا الصَّبَا، جَسْمًا
خَامِدَ الْأَنْفَاسِ فِي حَضْنِ الْمَيَاةِ
وَعُسِيونًا مَلَكْتَ رُعْبًا وَهَسَا
لَمْ يَزَلْ يَمْلَأُهَا حُبُّ الْحَيَاةِ

أَبْهَـا الصَّيَّادُ قَفْ بِالزُّورِقِ
وَاتَّشَلْ هَذَا الْغَرِيقُ الْبَائِسَا
خُذْهُ لِلشَّاطِئِ وَادْفِنْ مَا بَقِيَ
مِنْهُ فِي الْقَرْيَةِ وَارْجِعْ يَائِسَا

مَا الَّذِي تَصْطَادُ فِي بَحْرِ الزَّمَنِ
وَعُدَا بِصِطَادِكَ الذَّهْرُ الْمَعْتَى
نَحْنُ يَا صَيَّادُ أَبْنَاءُ الشَّجَنِ
حَفَّ مَخْيَانَا الشَّقَاءُ الْأَبْدَى

كُلُّ يَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِينَا غَرِيقُ
وَعُدَا نَحْنُ جَمِيعاً مُغْرَقُونَ
عَالَمٌ حَفَّ بِهِ الْمَوْتُ الْمُحِيقُ
وَبَاكَى فِي حِمَاهُ الْبَائِسُونَ

ضَاقَ يَا صَيَّادُ فِي عَيْنِي الْوَجُودُ
يَا لَكُونِ مِـــــــرَّهُ لَا يَنْجَلِي
كُلُّ مَا فَتِيهِ إِلَى الْقَبْرِ يَقُودُ
مَا الَّذِي يَبْسُقِي لَنَا مِنْ أَمَلٍ؟

١٩٤٥-٧-١٠

على حافة الهوة

جَنَّتُكَ، يا هوة، تحت الدُّجَى
لعلنى ألقى لَدَيْكَ الْخِلاصَ
لم يبقَ لى فى الأرضِ ما يَرْتَجى
ولم يَعدْ لى من رحيلى مَنَاصُ

جَنَّتُكَ حَنِيرَى فى ظلامِ الدُّجَى
يدفعُ أَسْدامى جُنُونُ الْأَلَمِ
جَنَّتْ وروحى فَزَعٌ صَارِحُ
باسمِ إلهِ الصَّمْتِ، باسمِ الْعَدَمِ

إليكِ جَنَمى، كَفَنى بالشَّذَى
أَسْلَاهُ الْفَضَّةَ واسْقِبه
ألقى عليه باقيةَ حُلُوَّةِ
من زَهَرِ اَكْتَوِيرٍ، ضَمَمِيهِ

وإن يكن تحت الدُّجى بلبلٌ
فاستحلفيه أن يصوغَ الرِّثاءَ
وإن تَسَاقَى الزَّهرُ عطرَ النَّدَى
فقطرةٌ منه لجسمي ارتواء

الليلُ يلدي، ها أنا لم أزلْ
بينَ جُنُونينِ، ونفسي انفجارُ
أريد أن أخَيِّبَا... ولكُنْني
أحسُّ بالثورة والإحترقارُ

هَيَّا إلى الموت، إلى صَمْنِه
فيمَ أخافُ الآن؟ فيمَ أَلَمُ!
عَمَّا قليلٍ تنتهي قَسْوَتِي
على حَيَاتِي، ويضجُ النَّدَمُ

عَمَّا قليلٍ يتصَّي الدُّجى
قلبي، بما في صَمْنَتِهِ من حياةٍ
عَمَّا قليلٍ يَخْتَوِينِي الأسي
على وداعِ الحبِّ والذِّكْرِياتِ

ها أنا في جُبنِي، في موقفِي
يخفقُ قلبي بالشَّلَى باللهبِ
تَرُدُّدِي يَصْرُخُ بِي ارجعي
للشِّمْرِ، للأحلامِ، فِيمَ الْهَرَبِ؟

وخَلَفَ نَفْسِي هَمَسَةً كَالصَّدى
يَكَادُ يُفْنِيهَا الْعَنَاءُ الْحَدِيدُ
تَهْتَفُ بِي: هَيَّا فَكفِ الرَّدَى
أَحْنِي عَلَى جُرْحِ الْحَيَاةِ الْمُبِيدِ

وبين صَوْنَتِي قَلْبِي الْمُرْدَى
وروحِي العاشِقِ ضَاعَ الْقَرَارُ
ومرَّت السَّاعَاتُ ثم انطوتْ
ولم أزلْ في حَيِّسَةٍ وانتظارِ

وعُذْتُ لِلْمَغْبَدِ، لَا جُنَّةَ
مَحْمُولَةً بَلْ جَسَدًا مَائِيًا
اسْخَرُ مِنْ نَفْسِي مِمَّا جَرَى
وأزدرى إحْسَاسِي الْبَاقِيَا

١٩٤٥-٧-٣٠

سباط وأصداء

«كان على أرض الشارع المبللة جسد حصان، وكانت
السباط ترتفع ثم تهوى فلا تسقط إلا على جرح».

ما زلتُ أذكرُ كلَّ شيءٍ من صباحي الضائعِ
الراقدُ الدامي المجرَّحُ فوق أرضِ الشارعِ
وصدَى السباطِ المرهقاتِ على الجبين الضارعِ

يا ثورةَ الإحساسِ في نفسي علامَ تمرَّفتُ
ألى على الجسدِ الممزَّقِ بعضُ ضغفَى الأحقِ
وغداً سادفينُ ما تبقى من حنانِي المرهِقِ

يا ليتني عمياءُ لا أدرى بما تجنُّ الشُّرورُ
صمَّاءُ لا أصنى إلى وقعِ السباطِ على الظهورِ
يا ليتَ قلبي كانَ صخراً لا يعذبُهُ الشعورُ

يا ليتني، ماذا تُفيلدُك، يا حياتي، ليتني؟
أحلامك النَّضراتُ باتتْ في قنوطٍ مُحزِنِ
لن يسمعَ القلدرُ المدمرُ فأصرُخِي أو أذعني

يا نارَ عاطفتى الرقيقة، يا غريبةً فى البَشَرِ
وَقَعُ السَّياطِ على الظهورِ أشدُّ من وقعِ القَدَرِ
والحسَّ فى هذا الوجودِ جريمةٌ لا تُغتَفَرُ

لن تقتلى الشيطانَ فى الإنسانِ أو تُحنى الملاكُ
وغداً ستطويكِ الليالى فى دياجيرِ الهلاكِ
وغداً سيأسرُكِ الترابُ فلا شعورَ ولا حَرَكَ

ما كان أثقلَ عبءِ أحلامى وآلامى وأقسى!
فامشى بنا نحو الفناء لعلَّنا ننسى ونُنسى
وليُسَدِّلِ السِّرُّ المقدَّسُ، حَسْبُنَا غَمًّا وياساً

٢٤-١٠-١٩٤٦

نغمات مرتعشة

عُدْ، لَمْ يَزَلْ قَلْبِي نَشِيداً حَالِماً
بِشِدْوٍ بِحَبِّكَ لَحْنُهُ الْمَقْنُونُ
عُدْ فَالْكَأَبُ أَغْشَرَتْ بِظِلَامِهَا
رُوحِي، فَلْيَلِي أَدْمَعُ وَشُجُونُ
عُدْ، لَا تَدْخُ نَفْسِي بِمَنْبِهَا الْأَسَى
وَيَعْضُ فِيهَا خَافِقُ مُحْزُونُ
عُدْ فَالْحَيَاةُ - إِذَا رَجَعْتَ - أَشَقُّ
وَمَشَاعِرُ سِحْرِيَّةٍ وَفُتُونُ

خَطَوَاتُكَ اللَّاتِي تَبَاعَدَ رَجْمُهَا
فِي مَسْمِي، تَحْتَ الظَّلَامِ الشَّاحِبِ
كَلِمَاتُكَ اللَّاتِي تَلَاثِي وَقَمُّهَا
وَحَبَّتْ بِعِيداً، فِي السُّكُونِ الرَّاحِبِ
بَسَمَاتُكَ اللَّاتِي خَبَّتْ وَمَضَاتُهَا
فِي مُقْلَتِي، مَعَ النَّهَارِ الذَّاهِبِ
ذَابَتْ جَمِيعاً، وَالسَّائِرُ أَسْدَلْتُ
فِي مَسْرَحِ الْأَمَلِ الْجَمِيلِ الْفَارِبِ

ذَهَبَ النَّهَارُ بِشَاغِرِي، بِنَشِيدِهِ
 وَبَقِيتُ فِي غَسَقِ الظَّلَامِ الْقَاتِمِ
 أَرْنُو وَلَا شَيْءٌ يُرَوِّقُ لِنَاظِرِي
 وَأَصْبَحْتُ، أَيْنَ مَلَاخِي وَمَلَاخِي؟
 عُدْتُ، عُدْتُ إِلَى رُوحِي الْغَرِيبِ، فَأَدْمَعِي
 عَصَفْتُ بِأَفْرَاحِي وَقَلْبِي السَّاهِمِ
 عُدْتُ يَا نَشِيدِي الشَّاعِرِي لِمَسْمِي
 مَاذَا يَعْمُوضُ عَنْ صَدَاكَ الْحَالِمِ؟

حَبَّبَ إِلَهِي النُّقْيُ ظَلَمَتَهُ
 وَوَفَاءُ رُوحِي الشَّاعِرِي الْعَابِدِ
 قَلْبِي الرَّقِيقُ أَسَاءَتْ فَهَمَ حَنِينِهِ
 وَنَشِيدُ أَحْلَامِي وَرُوحُ قَصَائِدِي
 لَمْ أَفْرِ مَاذَا كَانَ، إِلَّا رُغْشَةً
 فِي رُوحِي الْوَلَهِي وَقَلْبِي الشَّارِدِ
 وَخَلَا الْمَكَانُ وَعُدْتُ أَسْأَلُ وَحِشْتِي
 عَنْ طَيْفِكَ النَّاسِي وَحُشِّي الْخَالِدِ

ما زلتُ منذُ ذَهَبَتْ حَبِيرِي فِي الدُّجَى
 شَهِدَ الْأَمْسَى أَنِّي لَزِمْتُ مَكَائِبَا
 ما زالَ رُوحِي رَامِشاً مَتَمَرِّقاً
 يَسْتَنْقِ الضَّرَّ الْغَرِيبَ الْخَافِيا
 وَهَمِي بِصُورُ لِي خُطَاكَ وَوَقَعَهَا
 فَلِذَا أَصْنَعْتُ صَحَوْتُ مِنْ أَحْلَامِيا
 لَا شَيْءَ غَيْرُ الرِّيحِ تَعْصِفُ فِي الدُّجَى
 لَا شَيْءَ غَيْرُ تَهْدِي وَيَكَاثِيا

١٩٤٦-١١-١

المقبرة الغريقة

امن ذكريات الفيضان اللخيف الذى ألم ببغداد
سنة ١٩٤٦، هذه القصيدة تسجل فيها الشاعرة أثر
سماعها بقصة مقبرة غمرتها مياه النهر المتوحش فى
ماء عاصف.

فى ظُلْمَةِ الليلِ المُخِيفِ الرهيبِ
وتحتَ هَوولِ العاصِفِ الأهوجِ
قَبِرٌ عَلَى التلِّ وحيدٌ غريبٌ
رانتَ عَلَيْهِ ظُلَّةُ العَوَسِجِ

قَبِرٌ وحيدٌ لم تَنَلْهُ المِياهُ
مُنْتَصِمٌ بالقِمَّةِ السَاخِرَةِ
كَأَنَّهُ يَرْمُقُ أَفْقَ الحَيَاةِ
مُسْتَهْزِئاً بِاللُّجَّةِ الدَّائِرَةِ

بالأَمْسِ قَدْ كَانَ هُنَا عَالَمٌ
يُغْمَرُهُ المَوْتُ بِأَسْتِنَارِهِ
يَهْفُو عَلَيْهِ العَدَمُ القَاتِمُ
فِي وَجْهِهِ الصَّمْتِ وَأَسْرَارِهِ

مقبرة أودعها البائسون
أشلاء أمواتهم الفانيه
يا جُشْئاً ما كَفَنَتْهَا التُّونُ
بغيرِ أطباقِ الثرى العاريه

هذى الوجوهُ الشاحباتُ الجباهُ
وهذه الأشلاءُ والأعمى
طَفَّتْ حَيَارَى فوق وَجْهِ المِياهُ
وعَضَّ فِيهَا المَلَمُّ المَحْزَنُ

يا نهْرُ لا تَقْسُ على المَيِّتِينَ
حسبُكَ ما سَبَّبَتْهُ من شقاء
حسبُكَ ما شَرَدَتْ من بائسين
وارْفُقْ بِسُكَّانِ الثرى الأبرياءِ

رَوَّعَتْ صَمَتَ الأنفُسِ الراقلة
فى وَجْمة الموتِ وصَمَتِ القبورُ
يا رَحِمَةً بِالْجُحْشِ الباردة
ولَيْكَ فى مَوْجِكَ بعضُ الشعورِ

فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ دُجَى الْمُقْبِرِهِ
تَنْبَحُ أَجْسَادٌ وَتَطْفُو عِظَامُ
وَالرَّيْحُ فِي صَنِيعَاتِهَا الْمُنْكَرِ
وَاللَّيْلُ مِمَّا زَالَ رَهِيْبَ الظَّلَامِ

يَا لِّلْمَسَاكِينِ، أَحْتَى الْمَمَاتِ
تَلْحَقُهُمْ لَعْنَةُ أَيَّامِهِمْ؟
مَاذَا جَنُّوا مِنْ مُبْهَجَاتِ الْحَيَاةِ
نَرَى وَمَا الْوَأْنُ أَحْلَامِهِمْ؟

حَتَّى الرُّقَادُ الْهَادِي الْأَمْنُ
يَأْبَاهُمُ إِيَّاهُ قَلْبُ السَّنِينِ
يُشْهَدُ هَذَا الْمَنْظَرُ السَّاكِنُ
أَيُّ سُهَادٍ، أَيُّ لَيْلٍ حَزِينِ

يَا ضَجَّةَ الْإِعْصَارِ لَا تَغْلِي
أَفَاقَ هَذَا الْعَالَمِ الْمُثَنَّى
وَأَنْتِ يَا أَمْوَاجُ لَا تَهْزِنِي
بِذَلِكَ الطَّافِي عَلَى وَجْهِهِكَ

لَمْ يُبْقِ مِنْهُ الدُّودُ شَيْئاً يُرَى
وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْهُ الرَّدَى بَاقِيَا
هَذَا الرُّفَاتُ الْكَالِحُ الْمُرْدَى
قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ فَتَى لَاهِيَا

يَنْسُجُ تَحْتَ اللَّيْلِ ثَوْبَ الضَّيَاءِ
وَيَنْثُرُ الْحَبَّ عَلَى الْعَالَمِ
جَذْلَانِ لَا يَعْرِفُ مَعْنَى الْفَنَاءِ
مُسْتَفْرِقاً فِي نَشْوَةِ الْحَالِمِ

أَهْكَذَا تَفْتَنِي أَغْصَارِيْدُنَا
وَيَهْـزَأُ الْمَوْتُ بِأَزْهَارِهَا
وَتَمَلَأُ الدُّنْيَا أَنْشَارِيْدُنَا
يَوْمَاً، وَتَنْفُوِي تَحْتَ أَحْجَارِهَا

مَا أَفْطَحَ الْمَبْدَأُ وَالْمُنْتَهَى
مَا أَعْمَقَ الْحَزْنَ الَّذِي نَحْمِلُ
تَرْفَعُنَا الْأَحْلَامُ فَوْقَ السُّهَى
وَتَهْدُمُ الْآيَامُ مَا نَأْمِلُ

وهذه المقبرةُ المظلمةُ
نهايةُ المسَمَى، فيا لَلشقاءِ
أبعدَ هذى الجنةِ المَلْهُمةِ
نسقطُ، فوقَ الشوكِ صَرَخى الغناءُ

بكيْتُ للامسواتِ طولَ المساءِ
وَصُغْتُ مِنْ دَمْعِي النَشِيدَ الحزينُ
وفى غدا أرقُدُ تحتَ السَّمَاءِ
قبراً سَيَبكى عندهُ العابرونُ

قبرٌ، على التلِّ، وحيدٌ غريبُ
رأنتُ عليه ظُلَّةَ المَوْسِمِ
فى ظُلْمَةِ الليلِ العميقِ الرهيبِ
وتحتَ هولِ العاصِفِ الأمواجِ

١٣-٥-١٩٤٦

عودة الغريب

قلبي الذابلُ الحزينُ الذي ما
قلبي الشاردُ المذنبُ بالأح
ماله الآن خافقاً بندي الحبِّ
ويعصوغُ النئيَّ ويرجعُ للشا
تَ وذابتْ أفرأحهُ ومنه
سلام ما بين دمه وأساهُ
يفغنى تحتَ النجوم هَوَاهُ
طى جذلانَ مُرسلاً نجواهُ

في غمار الماضي دفتُ دموعي
ظمأى لم يعدَّ يعدُّ روجي
ذهبَ البحرُ لم يعدَّ ماؤه المِلد
ها أنا عندَ منبعِ شاعريِّ ال
وتبسَّمتُ للغدِ المراحِ
وشرودى تحتَ الدُّجى والرياحِ
حُ يَنوَى على مَسيلِ جراحى
ماءِ صافٍ هامتْ به أقداحى

ها أنا الآنَ زورقُ حالمٍ للجد
قلبي الشاعريُّ ملاحهُ البا
شدَّ ما عذبتُ أغانيه الغُرُ
أبدأ فى عَرْضِ المياهِ ينادى ال
سدافِ يَرسو على رمالِ الضفافِ
سمُ يشدو سرَّ الوجود الخافى
بهُ واشتاقَ فتنة الصَّفصافِ
بحرّاً يا بحرُ طالَ فيك طوافى

أيُّها الطائفُ الغريبُ لقد عُدُّ^ت
مى ذى الضَّفَّةِ الحبيبةِ يا مَلَأَ
إنَّها جنةُ الحياةِ تلاقَتْ
فامبط الآنِ وأنسَ أشباحَكَ السَّوْ

تُ وهذى مَفاتِنُ الأجسامِ
حُ هذى شَواهِقُ الأكْمامِ
عندَها الذكرياتُ بالأحلامِ
دَ وذكري الماضى الحزينِ الدامى

يا غريبَ الأحلامِ امسَحْ بقايا الأ
أصبحَ الأَمْسُ صَرَخَةً فى حِمَى الما
كلُّ أحزانهِ العميقاتِ عادتْ
أطفأتْها الأَيَّامُ فهى ظلامُ

مسِ والذكرياتِ والأحزانِ
ضى طَوَّتها ستائرُ النسيانِ
لفظةٌ ضمَّها سكونُ الزَّمانِ
ولهبِ خابٍ وطيفُ فانِ

لا تُسِرْهُ دَغْهَ يَنَمُ أَيْدِ الدَّهْرِ
أيُّها المَيِّتُ الذى نَبِضَتْ فَيْدِ
أيُّها الظامىُ الذى أَبْصَرَ النَبِ
املا الكاسَ آنَ لِلظُّلَمِ المُخْ

رِ وعشِ أَنْتَ ضاحِكِ الأهواءِ
هـ معانى الحياةِ بعدَ الفناءِ
حَ قَريباً بعدَ العَدَى والشقاءِ
رِقِ أن يَرْتَوَى بِشَهِدِ الرِّجاءِ

ذلك الماردُ الحَقِيرُ نَوَى فى
لن تَرَاهُ الأمواجُ فى البحرِ بعدَ الآ
لن يُحِيلَ الأحلامَ فَيْكَ دَموعاً
إنَّه الآنَ مُفَرَّقٌ فى حِمَى المَو

ظُلُماتِ الأَمْسِ البعيدِ وغارا
نَ لن يَمَلَأَ النجومَ احتقاراً
وَيَمِيدَ الأنفامَ هولا ونارا
جَ فلا تَخْشَ حِقْدَهُ الجَبَّارِ

والحياةُ التي تَلَقَّتْكَ بالزهر
هَبْ لها يا مَلَأَ قلباً من النور
هَبْ لها ما ملكَتْ شوقاً وأشما
صُغْ لها البحرَ كُلَّهُ في نشيدٍ

رِثْرَتَمَ بها تلالاً وعُشْباً
رِثْرَتَمَ كالشعرِ والحبِّ عَذْباً
رَأَى وعشاً للجِمالِ روحاً وقلبا
أرضعتهُ النجومُ ضوئاً وحُباً

عادَ ذاكَ الغريبُ يا معبدَ الحبِّ
إن يكنْ ضَلَّ قلبُهُ أَمْسَ في البحرِ
عَلَّمَتْهُ عواصِفُ الليلِ حَبَّ الد
ولتضعْ في الماضيِ البعيدِ المجاذيبِ

فمُدَّ الجناحَ فوقَ أساهُ
رِثْرَتَمَ كَقَرَّتْ دموعُ صِبا
فجَرَّ قَلْبَهُ السَّنا عَيْنَاهُ
سَفَّ وتلكَ الرياحُ والأمواهُ

أنسه حَبُّ الذي ماتَ وامنعْ
حسبَهُ ما أَشْقَيْتَهُ أَمْسَ بالذِكْ
بِمَعَانِيكَ قَرَّبَ النجمَ والسُّحُ
يا شِبابَ الحياةِ يا فرحةَ الدُّنْ

قلبهُ الشاعِرُ حُلماً جديدا
رِثْرَتَمَ فُهْبَهُ الحياةُ ظلاً رَغيدا
حَبَّ لَعَيْنِيهِ والصَّبَا والخلودا
جِيا ويا بابَ نُبُلِها المفقودا

١٩٤٦-١١-١٤

الغروب

هبط الليلُ ومما زالَ مكانى
عند شطِّ النهرِ، فى الصمتِ العميقِ
شردتُ روحى، وغابتُ عن عيَّانى
صُورُ الحاضرِ والماضى السحيقِ
وأمحى فى خاطرى ذكْرُ الزمانِ
ونلأثتُ ذكْرُ الدُغرِ المُحيقِ
ليسَ إلا الحُزنُ يمشى فى كيانى
وأنا فى ظُلْمَةِ الليلِ الصديقِ

فَفرَّقَ الضَّوؤُ وراءَ الأفقِ
وخلَّ العالمُ من لون الضياءِ
ليسَ إلا رَمَقُ فى الشَّفقِ
حائلٌ قد كاد يمحوه الفناءُ
وأنا تمثالُ حُزنٍ مُخزقِ
وشقاءُ مطبقٍ فوق شقاءِ
أرْمَقُ الأفقَ بطَرْفِ مُفترقِ
تائه يَطْوِي دِياجِيرَ القُضاءِ

رفَّ حولي الليلُ والصمتُ الكئيبُ
 وتعثَّتُ في كِبَانِي الرَّعِشَاتُ
 أَيْ مَعْنَى هَاجَ فِي نَفْسِي الْغُرُوبُ؟
 أَجَلْتُ فِي جَسَدِي مِنْهُ الْحَيَاةُ
 وَسَرَى فِي مَسْمَى هَمَسٍ غَرِيبُ
 كُلُّهُ هَوْلٌ وَرُغْبٌ وَشَكَاةُ
 وَاعْتَرَانِي خَاطِرٌ مُشْجِعٌ رَهِيبُ
 وَتَجَلَّى لِحَيَاةِي الْمَمَاتُ

ها أنا وحدي تُتَاجِئُنِي هُمُومِي
 وَكِبَابَتِي وَأَشْبَاحُ الْفَنَاءِ
 كُلُّ مَا حَوْلِي مُثِيرٌ لِلْوُجُومِ
 مَصْرَعُ الشَّمْسِ وَأَحْزَانُ الْمَسَاءِ
 عِبَثًا أَطْرُدُ عَنْ نَفْسِي هُمُومِي
 عِبَثًا أَرْجُو شُعَاعًا مِنْ رَجَاءِ
 غَرِقْتُ أَحْلَامُ قَلْبِي فِي الْغَيْومِ
 وَتَلَاثْتُ مِثْلَ أَحْلَامِ الضُّبَابِ

أَتَفَرَّ الْعَالَمَ حَوْلِي لَا نَشِيدُ
 مِنْ صَيٍّ أَوْ مُتَافٍ أَوْ حَفِيفٍ
 وَخَلَا شَاطِئِي السَّاجِي الْمَدِيدُ
 وَمَشَتْ فِي الْجَوِّ أَحْزَانُ الْخَرِيفِ
 أَنَا وَالْأَمْوَاجُ وَالْيَأْسُ الشَّدِيدُ
 وَانْحِدَارُ الشُّطِّ وَالظِّلُّ الْوَرِيفُ
 وَحَوَالِي ظِلَامٌ وَرَكُودُ
 الْقَيَا الْحَزَنَ عَلَى حِسِّي الرَّهيفِ

مِنْ بَعِيدٍ أَبْصَرَ الرَّاعِي الْحَزِينَ
 يُرْجِعُ الْأَغْنَامَ فِي صَمْتِ الْغُرُوبِ
 مُطَرِّقاً أَتَعَبَهُ رَكَبُ السَّيْنِ
 فَتَضَاهَا فِي تَحْوِيلٍ وَشُحُوبِ
 هُوَ وَالْأَغْنَامُ حُزْنٌ وَسُكُونُ
 وَخُطْيٌ فِي مَسْمَعِ اللَّيْلِ الرَّهِيْبِ
 وَأَنَا أَرْمُقُهُمْ غَرَقَى الْجَفُونِ
 نَحْتُ أَحْلَامَ شَبَابِي وَكَرْوِي

ويميداً في القَضَاءِ المذلهم
 خَفَقَةً من جُنْحِ طَيْرٍ عَابِرٍ
 فاجأته ظِلْمَةُ اللَّيْلِ المَلَمِّ
 وجبالٌ من سَحَابٍ مَاطِرٍ
 فسرى بين دجاجةيرٍ وغيمٍ
 كخيالٍ في فؤادِ الشاعرِ
 لحظةً، ثم توارى في الخِطْمِ
 بين أمواجِ الظلامِ الفاسِرِ

آه ما أَرْهَبَهُ الآنَ سكوننا
 لا أعي فيه سوى دَقَاتِ قلبي
 صَمَتَ الكونُ ونَامَ المَشْعَبُونَ
 وهو ما زالَ صَدَى حُزْنٍ وَحْبٍ
 نَظَرَاتِي لَمْ تَزَلْ حُلُمًا حَزِينًا
 وخيالاتُ مسائي لم تُعْذِبي
 طَفَقْتَ تصعدي بي أفقَ السَينَا
 وتروُدُ الكونَ من شَرْقٍ لَغَرْبٍ

وَبُيِّحَ الْكَلْبُ فِي الْحَقْلِ الْبَعِيدِ
رَفَ فِي سَمَى ضَنْبِلًا مُجْهَدًا
مُوحِشًا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْوَلِيدِ
غَامِضَ الْوَقْعِ، غَرِيبًا كَالْمَدَى
كُلُّ صَوْتٍ فِي الدُّجَى رُغْبٌ جَدِيدُ
عِنْدَ مَنْ قَدْ كَانَ مِثْلِي مُفْرَدًا
ذَا فَوَادِ مُرْهَفِ الْحَسِّ شَرِيدُ
دَقَنَ الْأَمْسَ وَلَمْ يَرْجُ الْغَمْدَا

وَمِيَاهُ النَّهْرِ تَجْرِي فِي شُحُوبِ
تَحْتَ أَكْدَاسِ الْغُيُومِ الْجَائِمَاتِ
وَصَدَى طَاحُونَةِ الْقَمْحِ الْغَرِيبِ
يُكْتَبُ النَّفْسَ بِأَشَجَى النَّفَمَاتِ
هَكَذَا مَرَّرَ عَلَى رُوحِي الْقُرُوبِ
غَامِضَ الظِّلِّ حَزِينِ الْخَطُواتِ
فَوَدَاعًا أَيُّهَا الْجَسْرُ الْكَثِيبُ
وَوَدَاعًا يَا غَمَارَ الظُّلُمَاتِ

١-١٢-١٩٤٦

عاشقة الليل

يا ظلامَ الليلِ يا طاوىَ أحزانِ القلوبِ
انظرِ الآنَ فهذا شَيْخٌ بَادَى الشُّحُوبِ
جاءَ يَسْمَى، تحتَ أَسْتَارِكَ، كالطيفِ الغريبِ
حاملاً فى كَفِّهِ العودَ يُغْنَى للْمُغَيَّبِ
ليسَ يَعْنِيهِ سُكُونُ الليلِ فى الوادى الكئيبِ

هو، يا ليلُ، فتاةٌ شَهِدَ الوادى سُرَّاهَا
أَقْبَلَ الليلُ عَلَيْهَا فَاثَاقَتْ مُقَلَّتَاهَا
وَمَضَتْ تَسْتَقْبِلُ الوادى بِالْحَانَ أَسَاهَا
لَيْتَ آفَاقَكَ تَدْرِى مَا تُغْنَى شَفَاقَهَا
أَهْ يَا لَيْلُ وَيَا لَيْتَكَ تَدْرِى مَا مَنَاهَا

جَنَّتْهَا الليلُ فَأَغْرَتْهَا الدِّيَاجِى وَالسُّكُونُ
وَتَصَبَّأَهَا جَمَالُ الصَّمْتِ، وَالصَّمْتُ فُتُونُ
فَنَضَّتْ بُرْدَ نَهَارٍ لَفَ مَسْرَاهُ الْحَنِينُ
وَسَرَتْ طَيْفًا حَزِينًا فَإِذَا الْكَوْنُ حَزِينُ
فَمِنْ الْعُودِ نَشِيجُ وَمِنْ اللَّيْلِ أَنْيْنُ

إيه يا عاشقة الليلِ وواديهِ الأغرِ
هوذا الليلُ صَدَى وحي ورؤيا مُتَمَنَّى
تَضْحَكُ الدُّنْيَا وما أنتِ سوى آهة حُزْنٍ
فخُلِّدِي العودَ عن العُشْبِ وَضَمِيرِهِ وَغَنَى
وصِفَى ما فى المساءِ الحلوِ من سِحْرِ وفنِّ

ما الذى، شاعرة الحيرة، يُغْرِى بالمساء؟
أهى أحلامُ الصَّبَايا أم خيالُ الشعراءِ؟
أم هو الإغرامُ بالمجهولِ أم ليلُ الشقاءِ؟
أم ترى الآفاقُ تَسْتَهْوِكُ أم سِحْرُ الضِيَاءِ؟
عجبا شاعرة الصمتِ وقِشارِ المساءِ

طيفُكَ السارى شحوبٌ وجلالٌ وغموضُ
لم يَزَلْ يَسْرَى خيالاً لَفَّه الليلُ المريضُ
فهو يا عاشقة الظُّلْمَةِ أسرارُ تَفْيِضُ
آه يا شاعرتى لن يُرَحِّمَ القلبُ المهْيِضُ
فارجمى لا تَسْأَلِ البرقَ فما يدرى الوميضُ

صَجَبًا، شاعرةً الحيرة، ما سرُّ النُّهولِ؟
ما الذى ساقك طيفاً حالمًا تحتَ النخيلِ؟
مُسْتَدَ الرأسِ إلى الكَفَّينِ فى الظلِّ الظليلِ
مُفَرَّقًا فى الفكرِ والأحزانِ والصمتِ الطويلِ
ذاهلاً عن فتنةِ الظُّلْمَةِ فى الحقلِ الجميلِ

أنصتى هذا صُراخُ الرعدِ، هذى الماصفاتُ
فارجمى لن تُدركى سرّاً طوتهُ الكائناتُ
قد جَهلناه وضنّتْ بخفائىها الحياةُ
ليس يندرى الماصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاةُ
فارحمى قلبك، لن تتنطقِ هذى الظُّلُماتُ

١٩٤٥-٤-٤

فى وادى الحياة

عُدْ بى يا زورقى الكليلا
عُدْ بى إلى مَعْبَدِي فإِنِّي
وضَعْتُ بِالْمَوْجِ أَيْ ضَيْقِي
إِلَامَ يَا زورقى الْمَعْنَى
وَالْمَوْجُ مِنْ حَوْلِنَا جِبَالٌ
وَالْأَفَقُ مِنْ حَوْلِنَا غَيْبُومٌ
كَمْ زورق قَبْلُنَا تَوَلَّى
فَعَدَّ إِلَى مَعْبَدِي بِقَلْبِي

فلن نَرَى الشاطئَ الجميلا
سَنَمْتُ يَا زورقى الرَحِيلَا
وَمَا شَفَى الْبَحْرُ لِي غَلِيلا
نَرْجُو إِلَى الشاطئِ الْوَصُولَا؟
سَدَّتْ عَلَى خَطُونَا السَّيْبِلَا
لَا نَجْمُ فِيهِ لَنَا دَلِيلَا
وَلَمْ يَزَلْ سَادِرًا جَهْلُولا
وَحَسْبُ أَيَّامِنَا ذُهُولا

حَسْبُكَ يَا زورقى مَسِيرًا
وَارْجِعْ، كَمَا جِئْتَ، غَيْرَ دَارٍ
وَمَلَّ مَجْدَاكَ الْمَعْنَى
وَلَمْ يَزَلْ مَعْبَدِي بَعِيدًا
يَشْوِقُنِي الصَّمْتُ فِي حِمَاةِ
عُدْ بى يا زورقى إِلَيْهِ
مَا كَفَكَ الْبَحْرُ مِنْ دُمُوعِي
فَنَفِيمٌ فِي مَوْجِهِ اضْطِرَابِي

لَنْ يُخَدَعَ الْقَلْبُ بِالسَّرَابِ
قَدْ حَلَّكَ الْجَوُّ بِالسَّحَابِ
نَقَلَبَ الْمَوْجِ وَالْمُعْبَابِ
خَلْفَ الدِّيَا جِيرِ وَالضَّبَابِ
وَفَسْتَنَةُ الْأَيْكِ وَالرَّوَابِي
قَدْ حَانَ، يَا زورقى، إِيَّايِ
وَلَا جَلَاءَ عَنِّي أَكْتَئَابِي
وَأَيْنَ، يَا زورقى، رِغَابِي؟

تائهة، والحياةُ بخرٌ
تائهة والظلامُ داج
يا زورقي آه لو رجعتنا
انظرُ حواليك، أى نوء
البحر، يا زورقي جئون
وكل يومٍ له صريع
وانت فى الموج والدياجى
فعد إلى الامس، عد إليه

شاطئه مُبعدٌ سحيق
والصمتُ تحت الدجى عميق
من قبل أن يخبوا البريقُ
تجمدُ من هولِ المروقِ
وموجهُ نائرٍ دَفوقِ
فى هجمة الموت لا يُفيقُ
يا زورقي فى غد غريقُ
قد شاقنى أمسى الوريقُ

ماذا وراء الحياة؟ ماذا؟
وفيمَ جئنا؟ وكيف غمضى؟
يدفعُك الموجُ كل يومٍ
يا زورقي طال بى ذهولى
أسرى كما ترسمُ المقاديرُ
شريدةً فى دجى حياتى
فخافقٌ شاعرٌ، وروحٌ
وناطها بالذرى تُغنى

أى غموض؟ وأى سر؟
يا زورقي، بل، لأى بحر؟
أين ترى أخسرَ المقر؟
وأغرق الوهمُ جوَّ غمْرِى
لى إلى حيثُ لست أدرى
سادرةً فى غموضِ دهرى
قال لها الدغر لا تقهرى
وتنظّم الكون بيتَ شمرِ

١٩٤٥-٦-١٢

أشواق وأحزان

أين متى حرارة الأمل، والها
أسفاً للماضي الإلهي هل ما
أه يا شاعري لماذا تهاوَيَ
وأنا لم أزل صلاةً لمينَيَ
ضربُ يمشى بين الأسى والحمدِ؟
تت أغانيه في فؤادي الوحيد؟
ت بعيداً وراء أسمى البعيدِ؟
لك وإعصار لهفةٍ وشُرودِ

أه هل غابَ عن ظلام حياتي
كيف ضاع الحبُّ الإلهيُّ يا طا
وأنا لم أزل فؤاداً على الشو
ليستنى كنتُ بُحْتُ يا حلُم الرو
كلُّ ما كان لهفةً وفُنونا؟
ثرى الحرُّ فانفجرت ظُنونا؟
ق يدارى غرامه المدفونا
ح وأعلنتُ حبِّي المكنونا

كيف مرّت أيامنا كيف مرّت
ملء قلبي وقلبك الحبُّ والشتو
كلما حدثتكَ عيناى بالحبِّ
كيف يا شاعري كنمنا ولم يَف
بين فكُّ الأشواقِ والأحزانِ؟
ق ولكن نلوذ بالكتمانِ
أعاقب عيني بالحرمانِ
صر كيويده قبلنا عاشقانِ؟

كيف ضاعت عواطفى؟ كيف أنسو
ملئوا قلبك النبيل أباطيل
وقضيت الأيام أنرف إحسا
لا لقاء غير الظنون ولا فر

ك غرامى وحيرتى ووفائى؟
ل وصاغوا كواذب الأنبياء
مى دموعاً وأستلذ شقائى
حة غير الخيال والأصداء

أنت الذى احتفظت بذكرى
كيف غابت عن ذكرياتك أحلا
شهد العود كيف علمته حباً
شهد المعبد الكثيب لحنى

ه فلم يتسها فؤادى الوفى
مى وشوقى وحبى الروحى
ك مثلى فهو المحب الشقى
أن حبنى مخلص أبدي

يا نشيدى متى سنائك ألحا
فيم ألقى الأيام أكنم أشوا
أبدأ نلتقى فأعرض حيرى
إنها الكيسرياء تمتلك الرو

نى فتصنى إلى هتافات حنى؟
فى وقد ضاق بالمواطف قلبى؟
ولقلى الكثيب أشواق صب
ح فيبدو المحب غير محب

ضاع عمرى الحزين فى معبد الحزن
لم يزل حبنى العميق عميقاً
لم أزل تفحك النجوم وتبكي
لم أزل فى الحياة ورقاءك الحيد

ن وأذوته لهفتى وشكائى
لم تزد السنين غير ثبات
وتغنى على صدى أهائى
رى وما زلت أنت حلم حياتى

١٩٤٥-٣-١٥

مدينة الحب

فى عُمق صحراء الحياة، هناك فوق نَظَى الرمالِ
حيثُ الرِّيحُ الدَّائِياتُ، مدينةٌ بين التلالِ

فى قلبها نهرٌ تُحيطُ به المفاوِزُ والصخورُ
وشواطئُ لا ظلَ فيها، لا خمائلَ، لا عطورُ

الماءُ يسدو وادعاً ووراءَ الألمِ العميقِ
أمواجهُ السُّمِّ الرِّعَافُ وإن بدا حلَوَ البريقِ

كم زورقُ خدمته جنباؤه ورسومُه
كم حالمٌ أودتْ به أمواجهُ وسُموه

والشاطئُ الثانى يلوِّحُ بِالْجَمالِ وبالفتونِ
حتى إذا فاربتْ أبصرتْ إعصارَ المُنونِ

لا شىءَ غيرُ الشوكِ والأشلاءِ فوق مَخُورِهِ
لا صوتٌ يَسْمَعُ غيرُ ضَجَّةِ دُودِهِ ونسورِهِ

الليلُ فيه مخاوفٌ ووساسٌ لا تَخمدُ
أبدأ يزلزلهُ صُراخُ غامضٍ وتنهَّدُ

يا طارقَ البابِ المروِّعِ عُدْ ولا تهبطْ هنا
هذا الجمالُ سيستحيلُ دماً وماءً آسناً

هذى الشواطئُ، كلُّ ما فيها أسىً وتحسُّرُ
فحذارِ منها فالسُّمومُ مُعدَّةٌ والخنجِرُ

عيناك لا تسكُبُ بريقَهما على ظلُّماتِها
وصيباك لا تدفنُ مناهُ في شقاءِ حياتِها

وفؤادك الخفاقُ صُتُّه من قذَى أنامِها
ماذا رأيتَ من الحياةِ لتحتِمى بظلامِها؟

عُدْ، عُدْ إلى لَهَبِ الصحارى واتجُ من حَمَمِ المدينة
لا تلقِ قلبك في اللظى وأصيحْ لشاعرةٍ حزينه

١٩-٧-١٩٤٦

إلى عيني الحزینتین

عینی، ای اُسی یرینُ علیکما
وُثیرُ فی غَسَقِ الدُّجَى دمعیکما؟

إنی أرى خلفَ الجفُونِ ضِراعةً
تستطقُ الكونَ العریضَ المَبْهُما

أفقانِ تحتَ اللیلِ المَحْ فیهِما
قَطَرَاتِ ضِوَاءِ یرتشفنَ الأنجمَا

الكونُ مَبْنِیةٌ فآیةُ لوعةٍ
یا مقلتی تلوحُ فی جَفْنیکما؟

مَسْکِیتانِ، رأیتُما ما لا یرى
جَبَلٌ أقامَ على الضلالِ وحَومًا

جَهْلُ الحَقائِقِ فی الحیاةِ، فلم یُطقْ
عن زیفِها هَرَبًا وعاشَ مَهْومًا

مسيكيتان كنتمما حُمَمَ الأُمى
فأبى تأوهُ خافقَى أَنْ تكتما

فإذا اللُموعُ فشاوهُ رُفَتَ على
جَفَنيكما، سِلاً سَخِيناً مُفْعَمَا

ورأيتما، خَلَّلَ اللُّموعُ، مَفَاتِنَ الـ
مَاضَى وطافَ الشوقُ فى أنفبِكما

عَبثاً تصوغان التوسِّلَ فى الدُّجَى،
قلبُ القَضَاءِ قَضَى بِالْأَتْنَمَا

عَبثاً، فبَا عَيْنِي لَا تَتَضَرَّعَا،
لَا شَيْءَ يَرْجِعُ بِالْجَمَالِ إِلَيْكَمَا

حَسْبَى وَحَسْبُكُمَا الرُّضُوعُ لَمَّا قَضَى
قلبُ الليالى فَارَضَخَا وَاسْتَلِمَا

كم حَالِمٍ مِنْ قَبْلِنَا فَقَدْ الْمَنَى
فَقَضَى الْحَيَاةَ لَوْحِدِهِ مَتَجَهَّمَا

يَرعى اليلالى مانحاً ظُلُماتها
روحاً مجتحةً وقلباً ملهّماً

عينيّ، يا سرّ الطبيعة، حدّثنا
ماذا وراء الكائنات رأيتُما؟

رفعت دياجيرُ الحياة سُتُورها
لكما وأبدت سرّها المُستبهمما

هاتا حديث الموت، هاتا سرّه
قد آن، يا عينيّ، أن تتكلما

ما شاطئُ الأعراف؟ ما ألوانه؟
ما سرّه الخافي؟ صفّاه وترجمما

فى صدرى الخفقاق قلبٌ راعشٌ
ما زال صَبّاً بالفتن مُفرّما

لولا، يا عينيّ، ما غيّتُما
بهوى الحياة ولا أصابكما الظما

عُنْزراً إِذَا حُمِّلْتُمَا حُزْنَ الدُّنَا
لَوْلَايَ، يَا عَيْنِي، مَا حُمِّلْتُمَا

وَكُفَى فُؤَادِي، فِي الْحَيَاةِ، شَقَاوَةً
أَتَى جَنِيْتُ، مَعَ الْحَيَاةِ، عَلَيْكُمَا

١٩٤٥-٦-٢٥

خواطر مسائية

إذا زَحَفَ الليلُ فوق السُّهُوبِ
ومرَّتْ على الأفقِ كفُّ الغيومِ
ولم يبقَ غيرُ السكونِ الرهيبِ
ونام الدُّجَى تحت جُنْحِ الوجومِ

ولم يبقَ إلا نُوحُ اليمامِ
وممَسُ السواقي وأتاتُها
ووقعَ خُطَى عابِرٍ فى الظلامِ
تمرُّ وتخفتُ أصواتُها

جلستُ أناجى سكونَ المساءِ
وأرْمَقُ لونَ الظلامِ الحزينِ
وأرسلُ أغنيتى فى الفضاءِ
وأبكى على كلِّ قلبٍ غيبينِ

أَصْبَحُ إِلَى مَمَاسَاتِ الْيَمَامِ
وَأَسْمَعُ فِي اللَّيْلِ وَقَعَ الْمَطَرِ
وَأَنَاتُ قُنْزَرِيَّةٍ فِي الظَّلَامِ
تُفْتِي عَلَى الْبُعْدِ بَيْنَ الشَّجَرِ

وَأَهَاتُ طَاحُونَةً، مِنْ بَعِيدِ
تَنُوحُ الْمَسَاءَ وَتَشْكُو الْكَلَامِ
تَمُرُّ عَلَى مَسْمَعِي بِالنَّشِيدِ
وَتَفْتِنَا تَصَدِّحُ خَلْفَ التَّلَالِ

أَصْبَحُ وَلَا صَوْتَ غَيْرِ الْأَنِينِ
وَأَرْنُو وَلَا لَوْنَ غَيْرِ الدُّجَى
غَيُومٌ وَصُمْتُ وَلَيْلُ حَزِينِ
فَلَا عَجَبُ أَنْ أَحْسَ الشَّجَا

رَأَيْتُ الْحَيَاةَ كَهَذَا الْمَسَاءِ
ظِلَامٌ وَوَحْشَةٌ جَوْ كَثِيبِ
وَيَحْلُمُ أَبْنَاؤُهَا بِالضُّمَيَاءِ
وَهُمْ تَحْتَ لَيْلٍ عَمِيقٍ رَهِيبِ

طَبِيعَتُهَا أَبَدًا بَاكِيةٌ
فَصَمْتُ الدُّجَى وَأَبِينُ الرِّيحِ
وَتَنْهِيْدَةُ النَّسَمِ السَّارِيَةِ
وَدَمْعُ النَّدَى فِي عَيُونِ الصَّبَاحِ

وَأَبْصَرْتُ عِنْدَ ضَفَافِ الشَّقَاءِ
جَمْعَ الْحَزَانِ وَرَكْبَ الْجَبَاغِ
تُشْرِدُهُمْ صَرَخَاتُ الْقَضَاءِ
وَمَا أَرْسَلُوا هَمَّاتِ الْوَدَاعِ

وَأَصْفَيْتُ لَكِن سَمِعْتُ النُّشَيْجُ
يُبْوَى صَدَاهُ عَلَى مَسْمَى
وَرَاءَ الْقِمَمِ وَفَوْقَ الْمَرْوَجِ
فَمَنْ يَا تَرَى يَتَغَنَّى مَعِي؟

سَاحِلُ قَيْشَارَتِي فِي غَدٍ
وَأَبْكِي عَلَى شَجَرِ الْعَالَمِ
وَأُرْنِي لَطَالِمَهُ الْأَنْكَدِ
عَلَى مَسَمِعِ الزَّمَنِ الظَّالِمِ

١٩٤٥-١١-٢٤

التمثيل

«هدية إلى قائمة الأسماء الغامضة المنطفئة التي
جاءت في سفر التكوين من كتاب العهد القديم».

قد سَمْتُ التفكير يا ليلي السا
لم تُعدْ هذه الصحائف تُوحى
فهى صوتُ الأبادِ يحملُهُ الما
فِيدَوِي في عمقِ نفسِي صوتُ الـ
جى وأَلْقَيْتُ بِالكِتَابِ الحَبِيبِ
لى بغيرِ الحزنِ العميقِ المذِيبِ
ضى الى قلبِي الشَّجَى المشبوبِ
عَدَمَ المرِّ والفَنَاءِ الكَثِيبِ

أسفأ يا حياة ما هذه الأسـ
كيف مرّت أيامهم ليتَ شعري؟
أم ترى لم يكن لهم من جَنَاهَا
وطوؤاً لُجَّةَ الحَيَاةِ سَراها
حماء؟ ماذا قد كانَ من أهلِها؟
أترى أدركوا السَّعَادَةَ فيها؟
غيرَ كَأْسٍ من سُمِّها رَشَفوها؟
ثمَّ أَلْقَوْا أعباءَها ونُسوها

أسلموا للترابِ والموتِ والظُلْمِ
وطوّتْهم يدُ الزَّمانِ ولم تَسُدْ
أه يا موتُ يا مقادِرُ يا تا
أكذا يُسَدِّلُ السُّنَّارُ على الأمـ
حمة تلكَ القلوبِ دونَ رجاءِ
تبقى منهم شيئاً سوى الأسماءِ
ريخُ رفقاً بأنفسِ الأحياءِ
سماز؟ يا للأحزانِ يا للشَّقاءِ

لَيْتَ كَفَّ النِّسيانَ قَدْ مَحَتْ الأَسْرَ
لَيْتَهَا لَمْ تَدْعَ عَلَى صَفَحَاتِ الدِّ
تَرَكْتَهَا سُخْرِيَّةً فِي فَمِ الدَّهْرِ
يَا حَيَاةً هَمَّنَا بِهَا وَهِيَ لَيْلٌ

حَاءَ مِنْ قَبْلِ لَيْتَهَا لَمْ تَصْنَعْهَا
كُتِبَ ظِلًّا مِنْهَا يَحْدُثُ عَنْهَا
رِرٌّ وَهَزْأٌ مِنَ الْحَيَاةِ وَمِنْهَا
يَأْمُرُ الْمَوْتُ فِي دُجَاهُ وَيَنْهَى

أَيُّهَذِي الأَسْمَاءُ يَا مَنْ تَبَقَّيْتُ
أَنْتَ يَا مَنْ بِالْأَمْسِ كُنْتَ شُعُورًا
كُلُّ لَفْظٍ وَرَاءَ أَحْصَرَفِهِ مَعْدُ
كُلُّ لَفْظٍ قَلْبٌ مَشَى تَحْتَ ضَوْءِ الدِّ

تِ تَمَائِيلَ لَيْسَ فِيهَا حَيَاةٌ
وَقُلُوبًا تَشْوِقُهَا النِّعَمَاتُ
خِي حَيَاةً أَتَى عَلَيْهَا الْمَمَاتُ
شَمْسٍ يَوْمًا وَمَلْؤُهُ الرِّغَبَاتُ

وَاسْتَحَالَتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ رَمَادًا
كُلُّ حَيٍّ مَشَى بِهِ الْأَهْلُ وَالْأَصْدُ
وَتَصَدَّى لِلذِّكْرِيَّاتِ الْحَزِينَاتِ
فَشَدَّاهَا أَغْنِيَةً ظَنَّهَا تُبْدُ

وَاسْتَحَالَتْ أَعْمَارُهَا الْحَنَانَا
حَابٌ لِلْقَبْرِ يَأْتِسِينِ حَزَانِي
تِ فَتَى شَاعِرٍ يَلُوبُ حَنَانَا
خِي حَيَاةَ الْمَوْتَى وَتَعْدُو الزَّمَانَا

أَهْ يَا لِلْمَخْدُوعِ قَدْ بَقِيَ اللَّحْدُ
أَيْنَ الْحَاضِرُ؟ وَأَيْنَ أَمَلِي
أَيْنَ مَا حَدَّثُوا بِهِ اللَّيْلَ وَالْفَجْدَ
أَسْفًا شَاعِرِي! لَقَدْ بَادَ مَوْتُنَا

نَ وَلَكِنْ أَيْنَ الَّذِينَ شَدَّاهُمْ؟
عَمْرُهُمْ؟ أَوْ حَقُولُهُمْ وَقُرَاهُمْ؟
رَ؟ وَأَيْنَ ابْتِهَاجُهُمْ وَأَسَاهُمْ؟
كَ وَأَبْقَيْتَ فِي الْوَرَى ذِكْرَاهُمْ

ما تُفِيدُ الذِّكْرَى وقد خَبِثَ الْإِلَهْ
واستحالَ الْأَحْيَاءُ فِي الْكُتُبِ أَسْمَا
لَسْتُ أَدْرِي مَاذَا حَوَى كُلُّ لَفْظٍ
لَسْتُ أَدْرِي إِلَّا أَسَاىَ وَحَزَنَى

حَنَانٌ وَاسْتَسَلَمْتُ لِأَيْدِي السَّكُونِ؟
هـ تُشِيرُ الْأَسَى لِقَلْبِي الْحَزِينِ
مِنْ مَعَانٍ غَابَتْ وَرَاءَ السَّنِينِ
لِضَحَايَا الْمَاضَى وَصَرَحَى الْمُنُونِ

وَأَنَا يَا حَيَاةَ مَاذَا سَأَلَنِي؟
هَلْ سَطَوْنِي اللَّيَالَى وَتَلَقَى
وَهَذَا يَطْفَى الزَّمَانُ سِرَاجِي
ثُمَّ أَغْدُو بَيْنَ التَّمَائِيلِ ثَمَا

هَلْ سَأَغْدُو لَفْظاً جَفَنَهُ الْمَعَانِي؟
فَوْقَ عُمْرِي دِيَا جَرَّ النِّسْيَانِ؟
وَيُضَيِّعُ الرَّدَى صَدَى الْحَنَانِ؟
لَا؟ وَأُنْحَى مِنَ الْوُجُودِ الْفَانِي؟

أَهْ لَا أُرِيدُ فَلْتَرْحَمِ الْإِيَا
وَلِيَكُنْ مِنْ لَحْنِي الْحَزِينِ صَدَى يَا
رَحْمَةً لَا تَكُنْ دُمُوعِي الدَّفُوقَا
وَلْيُسَجِّلْ عَلَى ضَرْيَحِي مَا يَدُ

مُ دُمُعِي وَشَقُوتِي وَاكْتِنَايِ
قِ بِسَمْعِ السَّنِينِ وَالْأَحْقَابِ
تَ رِثَاءَ مَبْكُورٍ لَشَبَابِي
قَى شَبَابِي وَإِنْ أَكُنْ فِي التَّرَابِ

هَكَذَا يَنْتَهَى شِعْوَرِي بِحَرَمَا
وَأَصْرَى بَأَنَ فِي الْكَوْنِ مِنْ قَلْدِ
وَيَقُولُونَ: ذَلِكَ اسْمُ فَتَاةٍ
فَسَلَامٌ عَلَى أَسَاها وَذِكْرُهَا

نِي وَأَنْسَى مَأْسَةَ عُمْرِي الْخَادِعِ
جِي بِقَايَا مِنَ الْأَسَى وَالْمَدَامِغِ
طَالَمَا خَفَّتِ النُّجُومُ الْوَلَوَامِغِ
هَا سَلَامٌ عَلَى صِبَاها الضَّائِعِ

١٩٤٦-٦-٣

ذات مساء

ثورة من ألم، من ذكريات
خلفَ نفسي، ملء إحساسى العنيف
وجُمُوحٍ فى دمي، فى خَلَجَاتِي
فى ابتساماتِي، فى قلبى اللهيفِ

إن أكنُ أبسمُ كالطفلِ السعيدِ
فابتساماتِي وهمٌ وخِداغِ
إن أكنُ هادئةً، بين الورودِ
فنفوذِي فى جُنُونِ ومِرَاعِ

أىُ مأساةٍ تراها مُقلنايا!
أىُ حُزْنٍ عاصِرٍ فى نَظراتِي!
جَمَدَتِ فوق شِقائِي شَفَتَايَا
وانحنتِ كَفَأَيَ تحت الرَعَثَاتِ

لَا تَسْلُنِي عَنْ خَيْمَالَاتِي وَلِحْنِي
فَالِدَجَى الْآنَ بَغِيضٌ فِي عَيْوَنِي
أَيْنَ أَلْقَى بَصَرِي الْبَاكِي وَحُزْنِي
إِنْ أَنَا حَوَكْتُ مِنْ كَفَى عَيْوَنِي؟

أَيْنَ أَرْنُو؟ كُلَّمَا حَوَكْتُ عَيْنِي
طَالَمَتْنِي صُورَةُ الْوَجْهِ اللَّهْفِ
فَإِنَّ الْوَجْهَ الَّذِي الْهَبَ فَنِي
بِمَعَانِي الشِّعْرِ وَالْحُبِّ الْعَنِيفِ

أَيُّهَا الْغَادِرُ، لَا تَنْظُرْ إِلَيَّ
قَدْ سَنِمْتُ الْأَمَلَ الْمُرَّ الْكَذُوبَا
حَسَبُ أَقْدَارِي مَا تَجْنِي عَلَيَّ
وَكَفَى عُمْرِي حُزْنًا وَلَهْيَا

فِيمَ أَبْقَى الْآنَ حَيْرِي فِي مَكَانِي؟
أَهْ لَوْ أَرْجِعُ، لَوْ أُنْسَى شِقَايَ
أَدْفِنُ الْأَحْزَانَ فِي صَدْرِ الْأَغْنَى
وَأُنَاجِي بِالْأَسَى صَمْتَ الْمَسَاءِ

ليتنا لا نلتقي، ليت شَقائِي
ظِلَّ ناراً، ظِلَّ شوقاً وسُهادِ
يا مُموعي، أيُّ مَمنى لِلقاءِ
إن دَوَى الحُبِّ وأبلاءُ البَمامِ

أيُّها الأقدارُ، ما تبغينَ مِنّا؟
فيمَ قد جئتَ بنا هذا المكانا؟
آه لو لم نَكُ يا أَقدارُ جِئنا
ها هُنا، لو لم تَقُذِّنا قَدَمانا

ما الذي أَبقيتَ في قلبي الجريحِ
ليس إلا الأَلَمَ المرَّ الشَّديدِ
لم يَعدْ في جِسمي النَواوِي وروحِي
مَوضعُ يَحتمِلُ الجِرحَ الجَديدِ

أَكنا تنظفِي الذَكرى؟ وَيَمْنى
حَبَّنا؟ والأَمَلُ الشَمرى يُخبو
أَكنا تَذهِبُ أَمالي حُزنا
وهي أَشْمارُ وَأَنعامُ وحبُّ؟

خَدَّرَ الْحَزْنَ حَيَاتِي وَطَوَاهَا
لَمْ تَعُدْ تَعْنِينِي الْآنَ الْحَيَاةُ
أَبَدًا يَنْطِقُ بِالْبِئْسِ دُجَاهَا
وَتُغْنِي فِي قَضَائِهَا الْمَاصِفَاتُ

لَمْ يَعُدْ مِنْ حُلْمِي غَيْرُ ظَلَالٍ
مِنْ أَسَى مَرٍّ عَلَى وَجْهِهِ الْمُرِيرِ
أَهْ لَا كَانَ بُكَائِي وَخَبَالِي
أَيُّهَا اللَّيْلُ، وَلَا كَانَ شَعُورِي

وَالْتَقِينَا، لَا فَوَادُ يُتَغْنَى
لَا ابْتِمَامُ رَسْمِنَهُ الشَّفَقَتَانِ
لَمْ يَعُدْ إِحْسَانُنَا شِعْرًا وَفَنًا
لَيْتُنَا ضَعْنَا وَمَاتَ الْخَافِقَانِ

لَمْ يَمِمْدُ فِي نَفْسِي الْوَلَهَى مَكَانُ
لَأْسَى أَوْ فَرْحَةٍ أَوْ ذَكْرِاتِ
أَيُّ مَعْنَى لِلْمُنَى؟ فَاتِ الْأَوَانِ
وَدَوَتْ هَيْنَا، تَحْتَ الْعَبَبَرَاتِ

والتقينا في الدُّجَى، كالفرباء
تحتُ جُنَحِ الصَّمْتِ يطوينا الوجومَ
كلُّ شيءٍ ضاحكٌ تحتَ السماء
وأنا وحليّ تذكيني الهَمِّومُ

هكذا يا ليلُ صوّرتُ شعائِي
في نشيدٍ من كآبَاتِي وحزني
قصبةٌ قد وقعتْ ذاتَ مساء
وحسوتُ روحِي وأحزّنتُني

١٩٤٦-٥-٢

جزيرة الوحي

خُذْنِي إِلَى الْعَالَمِ الْبَعِيدِ
يَا زورِقَ السَّخَرِ وَالْخُلُودِ

وَمِيرْ بقلبي إِلَى ضِفافِ
توحي إِلَى القلبِ الْقَصِيدِ

جزيرةُ الْوَحْيِ، مِنْ بَعِيدِ،
تَلُوحُ كَالْمَأْمَلِ الْبَعِيدِ

الرَّمْلُ فِي شَطْطِهِمْ نَادِي
يَرشِفُ مِنْ دجلةَ الْبَـرُودِ

وَالْقَمَرُ الْخُلُوءُ فِي مَماها،
أُمِّيَّةُ الشَّاعِرِ الْوَحِيدِ

فَلتَسْرِ يا زورقي بروحي
قَدْ أَنْ أَنْ يَسْتَفِيقَ مَوْدِي

وَأَنَّ لِلشَّيْءِ نَفْسًا أَنْ يُغْنَى
بِالْحُلْمِ الضَّاحِكِ الشَّرُّودِ

حُلْمِي، وَقَدْ صَفْتُهُ نَشِيدًا
يَهْشُ، مِنْ سِحْرِهِ، وَجُودِي

شَاعِرَتِي، حُلْفَتِي، فَهَذِي
جَزِيرَةُ الشِّعْرِ وَالنَّشِيدِ

لَا حَتَّ، عَلَى الْبَعْدِ، ضَفَّتْهَا
أَمْنِيَّةُ الْعَالَمِ الْجَلِيدِ

إِنْ لَهَتْ الْمُقَاتِلَانِ عَنْهَا
صَاحَتْ بِهَا الْأَمْنِيَّاتُ: عَوْدِي

فَلْتَبْسِمِي، يَا ابْنَةَ الْأَغْنَى
لِلشَّاطِطِ السَّاحِرِ الْمَدِيدِ

وَلْتُوقِفْنِي الزُّورْقَ الْمَعْنَى
تَحْتَ شُعَاعِ السَّنَا الْبَلِيدِ

المودُ والشفرُ والأمانى،
شاعرتى، فاصلحى وزيدى

قد ضحكَ العمرُ واستنامتْ
عواصفُ اليأسِ والنكودِ

وانقلبَ اليأسُ بشنريات
وأمنياتٍ، فأىُّ عميدٍ

١٩٤٤-٩-٥

على وقع المطر

أمطرى، لا ترحمى طيفىَ فى عُمقِ الظلامِ
أمطرى صُبِّى على السيلِ، يا روحَ الغمامِ
لا تُبالى أنْ تُعيدننى على الأرضِ حُطامِ
وأحيلننى، إذا شئتِ، جليداً أو رُخامِ

أتركى ريحَ المساءِ المُمطرِ الداجى نُجْنُ
ودعى الأطيَّارَ، تحتِ المطرِ القاسى، تنُّ
أغرُقِ الأشجارَ بالماءِ ولا يُحزنُكَ غصنُ
زَمَجِرَى، دَوِّى، فلنْ أشكو، لنْ يأتِكَ لَحْنُ

أنطرى فوقى، كما شئتِ، على وجهى الحزينِ
لا تُبالى جَسَدى الراعشِ، فى كَفِّ الدُّجُونِ
أمطرى، سيلى على وجهى، أو غَشَى عيونى
بلِّلى ما شئتِ كَفِّىَّ وشَمَرى وجبينى

أغرقى، فى ظُلْمَةِ الليلِ، القُبُورَ الباليه
والطمي، ما شتت أبوابَ القُصورِ العاليه
أمطرى، فى الجبَلِ النَّاتِي، وفوقَ الهاويه
أطفئى النيرانَ، لا تُبْقَى لِحى باقيه

آه ما أَرْهَبَكَ الآنَ، وقد ساد السكونُ
غَيْرَ صَوْتِ الرِّيحِ، فى الأعماقِ، تدوى فى جُنُونِ
لم تَزَلْ تَهْمِي، من الأمطارِ، فى الأرضِ، عُيُونُ
لم يَزَلْ قلبى حزيناً، تحت أمواجِ الدُّجُونِ

أَيُّهَا الأمطارُ، قد ناداك قلبى البَشَرِيُّ
ذلك المُنْغَرَقُ فى الأشواقِ، ذاك الشاعِرِيُّ
اغسليه، أم ترى الحزنَ حِمَاهُ الأبدِيُّ
إنه، مِثْلُكَ يا أمطارُ، دَقَّاقُ نَقْيِ

أبدأ يسمعُ، تحت الليلِ، وَفَعِ القَطَرَاتِ
ساهماً يحلمُ بالماضَى وألغازِ المماتِ
يسألُ الأمطارَ: ما أنتِ؟ وما سرُّ الحَيَاةِ؟
وأنا، فيمَ وجودى؟ فيمَ دَمْعِي وشكَايَ؟

أيها الأمطارُ ما ماضيك؟ من أين نبعت؟
ابنة البحر أم السُحُب أم الأجواء أنت؟
أم تُرى من أدمع الموتى الحزاني قد عصرت؟
أم دموعي أنت يا أمطارُ في شذوي وصمتي؟

ما أنا؟ ما أنت يا أمطارُ؟ ما ذاك الخضم؟
أهو الواقع ما أسمع؟ أم صوتك حلم؟
أى شيء حولنا؟ ليل وإعصار وغيم
ورعود وبروق وفضاء مُثلهم

أسفاً لست سوى حلم على الأرض قصير
تذفنُ الأحزانُ أيامي ويلهوي شعوري
لست إلا ذرة في لُجّة الدهر المغير
وغداً يجرفني التيارُ والصمتُ مصيري

وغداً تدفمني الأرضُ سحاباً للفضاء
ويذيبُ المطرُ الدُفاقُ دمعى ودمائى
ما أنا إلا بقايا مطر، ملء السماء
ترجعُ الريحُ إلى الأرضِ به، ذات مساء

أمطري، دوى، اغلبى ضجّة أحزاني ويأسى
أغرقيني، فلقد أغرقتُ في الآلام نفسي
إملئي كأسى أمطاراً فقد أفرغتُ كأسى
واحجبي عني دجى أمسى فقد أبغضتُ أمسى

١٩٤٦-١٢-٩

شجرة الذكرى

مررتُ بها في المساء الدجى
فألقيتُ رُحلى في ظلِّها
وحذقتُ في خُفِّيرِ أوراقِها،
وروحى الكتيبةُ في ليلِها
فهاجتُ لقلبي دُجى الذكريات
وانرعتُ لحنى من ويلِها
وصيرتُ مُتَكَاي ساقِها
وظافتُ شجونى من حولِها

تذكرتُ، والقلبُ في حُرْزِنه
وقوفى، في ظلِّها الساحرِ
كأنْ لم تمرَّ الليالى الطوالِ
على أمسى الميميدِ الدابرِ
وقفتُ أكفكفُ دمعى السخينِ
وأصْرُخُ من الملى الأسرِ
أقصُّ على ظلِّها قصَّتى
وقصةَ شاعرى الغادرِ

قصصتُ عليها الحديثَ الكئيب
وفى يدي الشوكةُ القاطمه
أمرُّ بها، والأسَى غالي،
على ساقها البرَّةُ الوادعه
فيا ليدي جَرَحَتْ ساقها
وجدتُ أزاميرَها اللامعه
كأنني بذلك جرحْتُ الحياه
وعاقبتُ أقدارَها الخادعه

ومرَّتْ عليَّ السنينُ الطوال
وطالَ معنى يومي الخالدُ
فأبصرتُ فيه أسأى البعيد
يُحسُّ به قلبي الواجدُ
فسقتُ لقلبي: هيا نطفُ
بها، وليثُرْ حزنُك الهامدُ
نسألُها اليومَ عن جرحِها
ألم يشفِفسه الزَمَنُ الأبد

وَعُدْتُ إِلَيْهَا، كَأَن لَّمْ تَمُرْ
 عَلَى السَّيْنِ وَأَتَسَدَّرَهَا
 فَوَادَى مَا زَالَ مَسْتَأْصِرًا
 وَرَوْحِي مَا أَطْفَأْتُ نَارَهَا
 يُقَيِّئُنِي ظِلُّهَا مِنْ جَدِيدٍ
 وَتَحْنُو عَلَى الْقَلْبِ أَزْهَارَهَا
 فَيَا بُيَلَّهَا، صَفَحَتْ مِنْ يَدِي
 وَمَا زَالَ عِنْدَ يَدِي ثَارَهَا

وَدُرْتُ أَسْأَلُ عَنْ جُرْحِهَا
 أَمَا دَمَلَتْهُ أَكْفُ الْقَلْدَرِ؟
 فَلَمْ أَرَ إِلَّا اخْضِرَارَ الْحَيَاةِ
 فَلَيْسَ عَلَيْهَا جُرْحُ أَثَرِ
 وَأَمَا جِرَاحُ فَوَادَى الْحَزِينِ
 فَمَا زِلْنِي يَشْكُونَ طَوْلَ الصَّدْرِ
 فَيَا عَجَبًا لِلزَّمَانِ الْمَسِيءِ
 مَتَى مِنْ إِسَاءَتِهِ يَعْتَفِرُ؟

١٤-٦-١٩٤٤

الخيال والواقع

رحمة، لا تُزِلّيني من سَمَائِي
واتركيني في خيالِ الشُعراءِ

اتركيني، لا تُعيدني لى الظُنونا
ودعيني أملاً الدنيا لُحونا
وأصْغُ عُمْرِي جَمالاً وفُتونا
أبداً أضدَحُ حَبّاً وحنينا
لحببي وأنا تحتَ سَمَائِي
وخيالي، من خيالِ الشُعراءِ

اتركيني، أنا قد نُحِتُ طويلاً
ودعيني أبصرِ الكونَ جميلاً
شَبَّعَ القلبُ دموعاً وذُهلوا
فدعِبه يقطعُ العُمْرَ جَهُولاً
ويعش، مثلي في ظلِّ السماء
ويُشاركني خيالِ الشُعراءِ

رحمةً بي، رحمةً، لا تُحزِنينِ
ودعيني في خيالاتي، دعيني
قصَّةُ الإنثى وأنثى المُجُونِ
لا تُقصِّيها على قلبي الحزينِ
ودعني، في تماثيل السَّماءِ
معنأ في نَشَوَاتِ الشُّعراءِ

إنْ يَكُنْ قلبي ظمآنَ وفِيَّ
لا يَرَى في شاعري إلا نبيَّا
أو يَكُنْ يَكُنْ حُبًّا شاعرياً
فهو ما زال بأوهامِي يحيا
أبدأ يرسمُ أحلامَ السَّماءِ
ويغنى أغنياتِ الشُّعراءِ

قد سئمتُ الواقعَ المرَّ المملأ
ولقد عُدْتُ خيالاً مضمحلاً
فاتركيني بخيالي أنسلي،
آه كاد اليأسُ يعروني، لولا
أنني لُذْتُ بأحلامِ السَّماءِ
وتخيَّرتُ خيالَ الشُّعراءِ

صَوْرِي مَا شئتَ لِي الْأَمْسَ وَسَحْرَةَ
يَوْمَ كَانَ الْحُبُّ فِي كَفِّي زَهْرَهُ
ارْسَمِي لِلْقَلْبِ أَحْلَامَ الْمَسْرَةِ
وَدَعِيبِنِي أَذِقِ الْأَفْسَاحَ مَسْرَةَ
عَلَّتِي أَهْطُ مِنْ بُرْجِ السَّمَاءِ
وَبَجَافِنِي اكْتِثَابُ الشُّعْرَاءِ

لَا تُثِيرِي إِلَيَّ، حُسْبُكَ أَتَى
لَمْ أَزَلْ فِي مَعْبِدِ الْحُبِّ أَغْنَى
لَمْ يَزَلْ حُلْمِي رُؤْيَا مُتَمَنِّ
كُلَّ يَوْمٍ يَهْدِمُ الْيَسَّاسُ وَابْنِي
وَلَقَدْ شَبَّهْتَ لِي بُرْجَ السَّمَاءِ
وَحَيَالَاتِي وَوَهْمَ الشُّعْرَاءِ

لَمْ يَكُنْ حَيِّي سِوَى حُلْمٍ غَرِيبٍ
مَسَدَّ الْوَهْمِ عَلَى قَلْبِي الْكَثِيبِ
أَسْفَا، لَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُ شُحُوبِي
وَأَغَارِيدِي أَلْتِ لِلْفَسْرُوبِ
لَمْ يَعْذِلِي غَيْرُ أَحْلَامِ السَّمَاءِ
وَحَيَالَاتِي وَوَهْمَ الشُّعْرَاءِ

١٩٤٥-٨-٣١

السفينة التائهة

فى لُجَّةِ البحرِ الرهيبِ سفينةٌ تحت السماءِ
أَلْقَتْ بِهَا الأقدارُ فى لُجَجِ المنايا والشقاءِ
الريحُ تصرخُ حولها وتضجُ فى ظلمِ الفضاءِ
والموجُ يضربُها ويلقيها على شَفَةِ الفناءِ

سارتْ ولا رَيانَ يَهْدِيها إلى الشطِّ السحيقِ
حَيْرَى يُخَادِعها الظلامُ فلا شُمَاعَ ولا بريقَ
من فوقها هَوْلُ الرعودِ ومحتها اللُّجُ العميقِ
سارتْ وما تدري إلى أينَ المصيرُ وما الطريقُ

الريحُ مَزَقَتْ الشراعَ فأينَ يضربُ زورقِ؟
والموجُ أطفأَ ضوءَ مصباحِ فماذا قد بقى؟
وغداً سينسكبُ الدُّجى فى جَفَتِى المغرورِ
وتسيرُ أمواجُ البحورِ على شبائِى المُفرِّقِ

لا شيء يمسحُ أدمعى، لا حلمَ تلمحه عيونى
لا شاطئُ ترنو إليه سقيتى، تحت الدُّجونِ
كُتبت لى الأقدارُ أن أمشى على شوك السنينِ
جسماً تعذبهُ كآبةٌ خافقٍ جَمَّ الحنينِ

رحماك يا أيدي الكآبة ما الذى قد كان متى؟
ماذا جئيتُ لتغصُرى قلبى وأحلامى ولحنى؟
أبدأ تمسّدينَ الجَنَاحَ على خيالاتى وفنى
وتلوّتينَ مشاعرى بسوادِ آهاتى وحزنى

ويروحُ يصرخُ تحتَ عبثك قلبى المتمردُ
قلبى الذى ضاقَ الوجودُ به وعذبهُ الغدُ
قلبى الكئيبُ المُستَطارُ الشاعرُ المنتهَدُ
يحيا على ظمأ الحياةِ فأينَ أينَ الموردُ؟

كم شاعر عبَدَ الحياةَ وعاشَ يشدو بالجمالِ
أبدأ يغرُدُ للطبيعةِ والكآبةِ والخيالِ
حتى إذا طلَعَ الصباحُ على الصحارى والتلالِ
عثرَ الضياءُ على فتى مُسجى على كُتبِ الرمالِ

نَمَتْ عَلَيْهِ كَأَبَةٌ، لَمْ يَمُحْهَا الْمَوْتُ الرَّهِيْبُ
وَوَشَتْ بِهِ عَيْنَانِ رَأَى عَلَيْهِمَا الْيَأْسَ الْمَذِيْبُ
وَالِى يَمِينِ رُقَاتِهِ قِيثَارُهُ السَّاجِي الْكَثِيْبُ
حَفَظَ الْوَفَاءَ لِمَنْ خَبَتْ أَلْحَانُهُ وَذَوَى اللَّهِيْبُ

يَا لَيْلُ، مَا نَفْعُ الْأَسَى؟ يَا بَحْرُ، مَا مَعْنَى الدَّمْعِ؟
النَّوْءُ يَصْخَبُ دَاوِيَاً، وَالْمَوْجُ يَهْزَأُ بِالْقُلُوبِ
أَنْتَى تَسِيرُ سَفِيْنَتِي الْخَيْرَى إِنْ؟ أَنْتَى الرَّجُوعُ؟
فَلْنَمُضِ لِلْمَجْهُولِ، ذَلِكَ وَحْدَهُ مَا نَسْتَطِيعُ

١٩٤٦-٧-٧

قلب ميت

نعم، مات قلبي، أين أحزانُ حبه؟
وأيْن أمنيته؟ وأيْن أغانيه؟
حرارته أضحتَ رَماداً مهشّماً
وأحلامه ذابتْ على صدر ماضيه
هو الآن تلجئُ المصواطف، باردٌ
يُقضّى مع الأشباح غُرّ ليليه
ويرعبُه ذكْرُ المماتِ وليله
فيدفنُ نيرانَ الأسي في قوافيه

وكانَ له من قبلُ هيكلٌ مَعْبِدٌ
يُغْنِيه في أحلامه وصَلاته
من الحبِّ والأحلام صاغَ رِواءَه
وألقي عليه آمنيات حَياته
على صدره الشِّعري تمثالُ شاعِرٍ
تذوّبُ معاني الروح في نظراته
يرى فيه إحساسى حياة نقيّة
أطلّت خفاياها على ظُلُماته

وكان صباحٌ... واستنفتُ فلم أجذ
 من المعبدِ الشمريِّ إلا رسومه
 تحطَّم تمثالُ الجميلِ على الثرى
 وألقى على قلبي الثقيُّ همومه
 ورُحْتُ إلى حبيِّ أمزق زهره
 وأنثُرُ أحلامَ الصبا ونجومه
 وينضبُ في قلبي جمالُ شبابه
 وينثُرُ ليلَ الحزنِ فيه سُمومه

وها أنا ذى عُمرى احتقارٍ وأدمعُ
 وفي نفسي الولهى لظى وتمردُ
 أحزنُ إلى حبيِّ الجميلِ وإن يكنُ
 أنشاحَ عن التمثالِ جَفنى المسهدُ
 وماذا تبقى الآن؟ شلُّ حجارة
 تضيقُ بها نفسى، وصخرٌ ممددُ
 تعلّقَ قلبي بالنجومِ وقلْبُه
 تمرّغَ في الأوحالِ، والطينُ يشهدُ

هناك، في الأمس البعيد، وليله
سأدفنُ تمثالي وحُيَّ وأدمي
أشيّدُ قبراً من تمرٍ خافقي
واسقيه من بُغضِي له وترقي
أغنيه الحانَ احتقاري وثورتي
وتهزأ أضواءُ النجوم به معي
وأزرعُ فيه الشوكَ والسُّمَّ واللظى
وأتركُه شلواً كقلبي المروع

١٩٤٦-٧-٢٨

بعد عام

مرَّ عامٌ يا شاعري منذُ أبصرَ
مرَّ عامٌ لم تكتحلْ عينيَ الظم
الليالي تمرُّ تنبمُّها الأيـ
وأنا لهفةً وشوقى يزدا
ظمًا للحياة يملؤْ إحـ
وشظايا كآبة رسمتْ فو
نك في ذلك الصباح الكتيب
سأى برؤياك لم يخفْ قُطوبى
أم في بطشها المُلْ الرتيب
دُ وروحي في عاصف من لهيب
سى ونارُ في دمعى المسكوب
ق جبينى غلالة من شحوب

مرَّ عامٌ من قال؟ هل أنا فى حُلـ
أهو وهم ما خلته سنة أط
مرَّ عامٌ ولم أقابلْكَ، ماذا؟
كيف طبأت لى الحياة على بُغـ
الشهيقُ الحزينُ فى هدأة الـ
والشروءُ الذى أماتَ أحاسـ
سم بناءً تخيلى المصدومُ؟
فأ أضواءها الزمانُ اللثيمُ؟
كيف أبقتْ على حياتي الهمومُ؟
مدك عنى؟ ولم يُمتنى الوجومُ؟
ل، ألم يُلْقِه إليك النسيمُ؟
سى، أما حدثتْكَ عنه النجومُ؟

لم أزلْ أذكرُ الصِّباحَ الذى مرَّ
منذ عامٍ فى الشارعِ الصاحبِ المـ
جمعتنا هنالك الصُّدفَةُ الحـ
ندى فوق قلى المكسورِ
شدَّ والشمسُ فى صفاء الأثيرِ
وة فى غفلة من المقدورِ

والتقينا لم نبتسم لم أحدث
لحظة ثم أجهز الزمن القسا
سرتُ بمعنى وسرتُ يسرى ولم يـ

ك بما في فؤادي المعصور
سى على قلب حلمي المسحور
حق سوى ثودتي ونار شعوري

ومضى العام كله، كل يوم
كل يوم أقول: يا قلبي الظم
ربما أشفت بنا الصدف العم
لن يضُرَّ الأقدارُ في ليلها أن
فتدب الحياة ثانية فيـ
ويجنُّ الشعورُ في عمق أعما

أتلقي الصباح بالأحلام
آن للصحو لا تضق بالغمام
يأ هذا الصباح بعد الظلام
تلقاك مرةً بابتسام
ك وتصحو خوامد الأنعام
فك حياً حراً من الآلام

مرَّ عامٌ ودقَّت الساعةُ الحمم
الثلاثاء لم يمدك إلى أشد
مرَّ عامٌ كأنه حلمٌ مرَّ
مرَّ عامٌ لم يبق منه سوى لحـ
ليس إلا ابتسامتي المرةُ الظم
ليس إلا ظلُّ من الصمتِ واللهم

قاءً عشراً واستيقظتُ أحزاني
واق روعي الممزقِ اللهفانِ
على جفن شاعرٍ ومنانِ
من حزين مُغرورٍ بالأحانِ
أي ودقات قلبي الحيرانِ
فة يدو في جفني الظمانِ

١٩٤٥-٦-٢٦

العودة إلى المعبد

معبدى، عادت بى الأحزانُ فارأفَ بمعناي
عدتُ يا ليتكَ تَدرى بعضَ آلامى وما بى
عدتُ والقلبُ شريدُ نائه بين الضَّبَابِ
يتلوَّى فى إَسارٍ من حنيني واكتناي

ذهبَ الأَمْسُ بأوهامٍ فؤادى ومحاها
فإذا قلبي عَبدٌ ولقد كان إلها
آه فارأفَ بفتاةٍ حطَمَ الدهرُ منها
وأفاقتَ لِيَهْدُ الحَزْنَ واليأسُ قواها

مَعْبَدِي، افْتَحْ لِقَلْبِي الْبَابَ، قَدْ طَالَ وَقُوفِي
أَنَا مِنْ مَاتَ رَيْعِي فِي أَهْصِيرِ الْحَرِيفِ
جِئْتُ أَلْقَى بَيْنَ كَفِّكَ أَسَى قَلْبِي اللَّهْفِ
عَلَّنِي أَحْظَى بِظِلِّ فِي مَسْجَالِكَ وَرِيفِ

عُدْتُ، يا معبدُ، للصَّمتِ، فلنَ أَشدُّ بِحَيِّ
لمَ يَعدُ قَلْبِي يَهْفُو فَلَقَدْ وَدَّعْتُ قَلْبِي
حَسْبِيَ الْآنَ وَجُومِي وَكَأَبَاتِي حَسْبِي
حَسْبُ رُوحِي نَارُ إِحْسَاسِي وَأَهَاتِي وَرُغْبِي

أَسْفَا، كَيْفَ ذَوَى حُبِّي وَلَحْنِي وَرَجَائِي؟
لَيْتَنِي كُنْتُ تَنَاسَيْتُ، فَلَمْ أَرَعْ وَقَائِي
لَيْتَ حُبِّي لَمْ يُعَلِّمْنِي أَضَارِيدَ السَّمَاءِ
لَيْتَهُ خَلَقَنِي فِي الْأَرْضِ بَيْنَ الْأَشْقِيَاءِ

رَحْمَةً، مَاذَا تَرَانِي أَفْعَلُ الْآنَ بِفَنِّي؟
هِيَ ذِي آلِهَةِ الشَّعْرِ فَهَلْ تَمْسَحُ حُزْنِي؟
هُوَ ذَا الْعُودِ فَهَلْ يُسْعِدُ رُوحِي أَنْ أَغْنِي؟
رَحْمَةً بِي، مَا الَّذِي قَدْ أَبْقَتْ الْأَحْزَانُ مِنِّي؟

أَيْنَ أَمْسِي، وَهُوَ أَحْلَامُ وَالْحَانُ وَلَهْوُ؟
أَيْنَ آيَامِي إِذْ قَلْبِي مِنَ الْأَشْوَاقِ خَلَوُ؟
مَا الَّذِي أَبْقَى لِي الْحُبُّ؟ أَجْنَمِي، وَهُوَ نَضْوُ؟
وَفَوَادِي، وَهُوَ أَوْصَالُ؟ وَرُوحِي، وَهُوَ شِلْوُ؟

ادفِنِ الأحلامَ، يا قلبي الخياليَّ المَحَطَّمُ
واستَفِقْ من قبل أن ينطفئَ الحُلُمُ فتندمُ
ما الذي أغراك بالحبِّ؟ ومن أوحى وألهمَّ؟
عَجَباً، كيف ترى الشرَّ بعينيك وتعلمُ؟

استَفِقْ من حُلُمِكَ الشعريِّ وإيَّاسُ يا كتيبُ
ذبلتُ أغنيةَ الحبِّ وواراها المغيبُ
وستبقى، أيها المحزونُ، في الشوقِ تذبُّوبُ
أبداً ترجو رجوعاً لهوى ليس يؤوبُ

ثم ماذا؟ أيُّ حُلُمٍ ترمي يا ابنَ السماء
أنتَ في الأرضِ، فلا تحلُمْ بلُقياءِ الأوفياءِ
لا تَلُمْ شاعركَ الغادرَ وابسمِ للشقاءِ
والنجى للعودِ تسعدُ يا حزينَ الشُعراءِ

معبدى، افتحْ لقلبي البابَ، لا تنقُصْ عليه
ليجدَ عندك سَلواهُ لينسى أَمَلِيه
يا لمَحزونِ شقى مَزَقَ الشوكِ يَدِيه
ملءْ دُنياهُ عُبوسُ، فابْتَسِمِ أنتَ إِلَيْهِ

١٩٤٤-٨-٩

عيد الإنسانية

١٩٤٥/٥/٨١ يوم الهندة

فى دى لحن من الشوق جديد
والمجالى حوالى نشيد
ليلى هذى ابتسام ومود
طاف بالافق فغناه الوجود
هى يا قيثارتى لحن سعيد
هى شغراً، هى وحن، هى عود
هذه الليلة للعالم عيد
وهى، يا قيثارتى، الحلم الوحيد

أين أوتارك يا عودى الحبيب
شدها واصدح ولا تبق كئيب
لم تمد دنيك جمرأ ولهيب
أنت يا من عشت فى الكون غريب
نغم السلم سرى فاحى طروب
واملا الدنيا لحونا وطوب
وانس أمسا ملا الكون خطوب
آن للأفراح أن تمحو الكروب

فرحة الهدنة، يا بشرى لفتى
 أنا أحلم؟ أم تكذب أذننى؟
 أم هى الفرحة قد لاحت لمينى؟
 حلم المصادى ورؤيا التمنى
 يا إله الشفيع نَحْ الصمت عنى
 أن أن أسى ضراعاتى وحزنى
 أن أن أحببى الأمانى وأغنى
 ومضى قلبى وأشمارى ولحنى

أنا من غنت دموع الأشقياء
 وبكت أشعارها للأبرياء
 كم صريع قبره تلج الشتاء
 ويتيم مهله شوك العراء
 وصبايا كرعَت سُم القضاة
 قبل أن ترشَّف كأساً من هناء
 صُغت أحزاني وحبى ووفائى
 هو أحزاني وحبى ووفائى

ولقد صوّرتُ أحلامي سنينا
وهي ما زالت سَراباً. وظنونا
وإذا الرحمة تُتجى الحالمينا
بالسّلام الحلوى حلُم المنشدين
وصدّى الوحي ولحن الشعارين
لم يعبّد قلبُ المقاديرِ ضنينا
فابسمي، شاعرتي، في الباسمينَا
واملئني المعبّد زهواً وفتنونا

آه يا شاعرتي، غنى الأمانى
واسمعي، هذا هُتافُ المهرجانِ
فالنواقيسُ، على البُعْد، أغانِ
بشّرتُ بالفجرِ أحزانَ الزمانِ
وصدّى السلمُ على كلِّ لسانِ
فاتنِ النعمة علوى المعانى
إنها الفرحة، يدرى المشرقانِ
أقبلتْ ناسو جراحَ الحداثِ

١٩٤٥-٥-٨

ليلة مطرة

الآن يا نجمي تغيبُ ولم يحنْ وقتُ الأفول؟
الآن والليلُ الجميلُ يريقُ ضوءك في الحقول؟
والزهرُ، تحت الليلِ، نشوانٌ بمشرقك الجميل؟
والنهرُ، والشيطانُ تضحكُ تحت أشجارِ النخيلِ

الآن تغربُ؟ يا لمأسةَ الجمالِ الذابلِ
يا نجمي المأسورَ في كفِّ الضبابِ الشاملِ
يا فيلسوفَ الليلِ، يا سرَّ الوجودِ الذاهلِ
عبثاً أناشيدى إلي أضواءِ نجمِ آفلِ

عبثاً سهرتُ الليلَ أرنو والتفجعُ غالي
أنزودُ النظرَ الأخيرَ إلى ضياءِ الشاحبِ
وأصوغُ الحانَ الرثاءِ على صباكِ الذاهبِ
وأحوكُ من دمعِ الضياءِ لكلِّ نجمٍ غاربِ

رحمأك يا نجمي الجميل متى نهاية ليلتي؟
ومتى ستتشعُ الغيومُ وتستريحُ كآبتي؟
قد شاقَ قلبي أن أحسَّ الصمتَ تحتَ خميلتي
وتجوبُ حينئذٍ الفضاءَ وفي يدي قيثارتى

مازلتُ أنتظرُ السكونَ وليس غيرُ صدَى المطرِ
والرياحُ في سَمعِ المساءِ تتنُّ ما بين الشجرِ
لا طيرَ يمرحُ في الحقولِ ولا أريجَ ولا زهرَ
لا شيءَ غيرِ صراخِ رعدٍ هاتِفٍ بأسَى البشرِ

ومن الظلامِ تصاعدتْ آهاتُ قُمريَّ الغصونِ
ذهبتْ بمكمنه الرياحُ وعزّه المأوى الحنونِ
حيرانُ، مرتعشُ الجناحِ، مجرَّحُ تحتَ الدُّجونِ
رحمأك يا ربَّ العواصفِ، حسبنا المطرُ الهتونِ

أين الفضاءُ الحلو؟ أين الصَّحو؟ أين سَنَا النجومِ؟
من جمعِ المطرِ الكثيبِ، وِث في الليلِ الغيومِ؟
يا ربيعُ رفقاً بي ورفقاً بالعرائشِ والكرومِ
رفقاً بقُمريَّ المروجِ فقد أمضتْهُ الهمومُ

قد كان فى قلبى أمان يا رباحُ فحُشَّتْها
قد كان فى هذا المساءِ مُفَاتِنُ فمحويتها
قد كان فى المرجِ الجميلِ عرائشُ أذبلتها
قد كان فى ثَبَجِ السَّمَاءِ كواكبُ أطفأتها

وبقيت، فى الليلِ الكئيبِ، أصبحُ للمطرِ الكئيبِ
وعلى نغمِ اللحنِ الغريبِ، يصوغُهُ قلبى الغريبِ
وتلوحُ لى حَلَلِ النوافذِ ظلمةُ الليلِ الرهيبِ
عبثاً أغذى موقدى فالآنَ ينطفئُ اللهيبُ

قد حطَّمِ الإعصارُ نافذتىَّ وانطفأ الضياءُ
والآنَ لا أضواءَ حولى غيرِ إبراقِ السماءِ
يا ضجَّةَ الإعصارِ فى الأفاقِ، يا مَطَرَ المساءِ
الآنَ ألتمسُ الرُقَادَ إلى غَدٍ فإلى اللقاءِ

١٩٤٦-١١-٦

أَنْشُودَةُ الْأَبَدِيَّةِ

«إلى القيثارة الإلهية التي منحت الإنسانية أروع
الألحان، إلى تشايكوفسكى الموسيقي الروسي،
ذكرى لمرور أربع وخمسين سنة على وفاته».

سأحبُ الحياةَ من أجلِ الحما نك يا بلبلِ الحزينِ وأحيا
سأرى في النجومِ من نورِ أحلا مِكَ ظلاً مُـخَلِّداً أبدياً

سأناجي في الليلِ جَنَحاً من الأح حزانِ يوماً ألقى عليكَ ظِلالةً
سأحیی في الكرمِ فيضاً من الأم حرارِ أضفى يوماً عليكَ جمالةً

وإذا ثارتِ العواصفُ في اللي ملِ وراءَ الحقلِ الرهيبِ الدجى
لستُ رُوحی الشُّوقَ فيها ذكرياتٍ من رُوحِكَ النارِ

آه يا أيُّهَا الملاكُ إلى رو حكَ، في الموتِ، حنَّ رُوحی الحزينِ
أنا تلك التي حياتی على الأر ضِ اكتئابٌ ووحشةٌ وحنين

آه لو كنتُ عشتُ مثلكَ في الما ضی وأبصرتُ وجهَكَ العُلویا
لولا رأيتُ الإلهامَ يملأ عينيَّ لك ضياءٌ ووجهَكَ الشاعرياً

أه لو بعث كل عمري يوم
من بعيد أرنو إلى الهيكل السا
شاعري يراك فيه وجودي
مي وأصغى إليك يا معبودي

وأرى كيف يفرق الحزن مرآ
وأحس أرتعاش قلبك للحسن
ك وتبدو أسرارهِ في عيونك
من وظل الشُرود فوق جبينك

وأرى كيف تُرجف الوتر المس
كيف ترنو إلى الحياة وما فيه
حور كفاك يا ملاكي النبلا
بها وتستلهم الوجود الجميلا

وأرى كيف يغسل الدمع عين
وأرى كيف يرقص الألم الطا
ك وتبكي في وحشة الإنفراد
هر في مقتلتيك قبل الرقاد

كيف يأتي الدجى عليك فتترنو
بين فك الذكرى يماذبك الشو
في نهمول إلى ظلال الماضي
ق وتبقى في رعشة وانتفاض

كيف تحت الدجى تهيم على وج
هارباً من صراخ نفسك من دث
هك بحثاً عن لحظة من هدوء
بياك من عالم الورى الموبوء

هَارِباً هَارِياً نَحْدُقُ فِي النَّهْدِ	حَرِّ وَمَا فَوْقَ مَائِهِ مِنْ جَلِيدِ
تَمَنَّى أَنْ يَذْفَنَ الثَّلْجُ بِلَوَا	كَ بَعِيداً عَنْ اضْطِرَابِ الْوُجُودِ
أَهْ يَا بَلْبِلَى وَقَدْ جَاءَكَ الْمَوُ	تُ أَخِيراً وَغَبْتَ عَنْ دُنْيَانَا
أَحْمَدَ الصَّمْتُ وَالْفَنَاءُ أَغَانِي	كَ وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ رَجْعِ أَسَانَا
رَقَدَ الْحَالِمُ الْإِلَهِيُّ نَحْتَ الـ	فَجَرَّ جَسماً مَيْتاً وَرَوْحاً أَصْماً
كُلُّ أَنْغَامِهِ السَّمَاوِيَةِ الظَّلَمَ	أَيُّ وَأَحْلَامَ رُوحِهِ عَذَنَ حُلَمَا
وَعَلَا ذَلِكَ الْجَبِينُ الْأَثِيرِيُّ	شَحُوبُ الْمَوْتِ الْمَرِيرِ الْقَاسِي
وَهَوَى ذَلِكَ الْإِلَهُ السَّمَائِيُّ	عَلَى الْأَرْضِ خَامِداً الْأَنْفَاسِي
عَبَثاً قَبَّلْنَاهُ آلِهَةً الْفَجْ	رِ وَغَتَّسَهُ أَعْذَبَ الْأَنْغَامِ
عَبَثاً ذَكَرْنَاهُ رَبَّةً مُوسِي	قَاهُ بِالذِّكْرِيَّاتِ وَالْأَحْلَامِ
أَيُّهَا الْمَوْتُ أَيُّهَا الْمَارِدُ الشَّرُّ	يُرِيَا لَعْنَةَ الزَّمَانِ الْعَنِيدِ
كَيْفَ تَرْضَى بِذَاكَ أَنْ تَقْتُلَ الْإِلَـ	هَامَ؟ مَاذَا تَرَكْتَهُ لِلْوُجُودِ؟

سوف تنفى يدك أنتَ ويُنقى
ظلُّ ذاكَ الطيرِ الجميلِ الوديعِ
سوف تبقى مجواه تخفقُ فوقَ الأ
رضِ بالحبِّ والجمالِ الرفيعِ

أيُّها الحاقِدُ الترابيُّ أمَّا
أنتَ الآنَ فوقَ حَقْدِكَ فوقَ الأ
أنتَ فاحقِدْ وعشْ على الأضغانِ
رضِ، فوقَ الفناءِ والنسيانِ

١٩٤٧-٦-٣

على الجسر

يا نَهْرُ لا تحفظْ دموعي أو أَسَى قَلْبِي المَرُوعِ
اكنم - حنانك - ما تساقطَ في مياهِك من دموعي

ذهبَ المساءُ بكلِّ ما أبصرتَ من حزنِي العميقِ
ومحا الدُّجَى من عُمُرِ يَأْسِي ليلَةً لن تستفيقُ

انسَ الذي أبصرته بالأمس من أحزانيه
واكنمُ أَسَى وأدمعي تحتَ النُجومِ الحانيةِ

انسَ الخطى المتعثراتِ وصوتِي المتهدِّجا
والدمعَ، يغتُكُ كلَّ ألفاظِي بكفٍ من شجَا

رحماك أنتَ الكاتمُ الحاني على المتأوِّمينِ
وحنان موجكِ كم طوى قلباً يعذبهُ الحنينُ

أنتَ الذي شَهِدْتَ مياهِك أدمعي وترددي
أنتَ الذي سمعتَ ضفافك آهتي وتتهلدي

وَمَشَيْتُ فَوْقَ الْجَسْرِ أَبْكِي أُمْنِيَّاتِي فِي مَسْكُونٍ
وَأَدِيرُ وَجْهِي، نَحْوَ مَوْجِكَ، عَنْ صُيُونِ الْعَابِرِينَ

أَحْزَانُ حَبِيٍّ كُلِّهَا، فِي شَاطِئِكَ، نَقَضَتْهَا
أَسْرَارُ رُوحِي كُلِّهَا، تَحْتَ الظَّلَامِ، نَثَرَتْهَا

لَمْ أَسْتَطِعْ، يَا نَهْرُ، كَتْمَانَ الْعَوَاطِفِ وَالشُّعُورِ
مَنْ يَمْنَعُ السَّيْلَ الْقَوِيَّ مِنَ التَّدْفِقِ وَالْمَسِيرِ؟

وَإِذَا طَفَى الْحُزْنَ الْعَمِيقُ فَمَنْ يَرُدُّ هَدِيرَهُ؟
وَإِذَا ذَوَى الْأَمَلِ الْجَمِيلُ فَمَنْ يُعِيدُ عَبِيرَهُ؟

عَبَثًا أَقَاوِمُ نَارَ أَحْزَانِي فَلَنْ يَخْبُوَ اللَّهْيَبُ
أَبَدًا تُذَكِّرُنِي الْحَيَاةَ بِرُوحَةِ الْمَاضِي الْحَبِيبِ

حُلُمُ إِلَهِي الْجَمَالَ رَسَمْتُهُ تَحْتَ النُّجُومِ
وَبِنْيَتُهُ قَصْرًا مِنَ الزَّهْرِ الْمُنْتَضِرِ فِي الْغَيُومِ

وَصَبَّيْتُ فِيهِ، مِنْ حَيَاتِي، صَفْوَهَا وَنَقَاءَهَا
وَنَثَرْتُ فِيهِ، مِنْ زُهُورِي، عِطْرَهَا وَرُوءَاهَا

وهرعتُ، كالطفلِ النقيُّ، إلى رجائي الأوحِدِ
فرايتُ قصرى الحلو أطلالاً تثير تنهدي

لا شيء يمحو ذكرياتِ الأمس من قلبي الكئيبِ
لا نور ينفذُ في ظلامي، لا انطفاءُ للهبِ

في عُقْ أعماقى أعاصيرُ يَجُنُّ جنونها
وعلى جفونى رَسْمُ أحلامٍ يَضِجُ حنينها

أَيَّانَ أنجو من ظلالِ الأمس، أينَ ترى المَقَرَّ،
والليلُ يعكسُ ذكرياتى، والأغاني والشجر؟

يا نهرُ فلتَدفنْ شكَاياتى ومُرَّ شُجونها
الأدميةُ إنْ بَكَتْ فليَضَعفها وجنونها

١٩٤٦-٩-٢٥

إلى الشاعر كيتس

الإشارات إلى قصيدته

"Ode to a Nightingale"

حياتى وآلامُ روحى الحزينِ
وأحلامى المرّةِ الداويةِ
وموكبُ أيامى الذهابِ
وأطرافُ أيامى الآتيةِ
تجمّعنَ فى باقِةٍ من عبيرِ
ثوتٍ خلفها روحى الفنانِ
وأهدئُها نَفْماً حالمًا
إلى روحك الحرةِ الباقيةِ

حياتى، يا شاعرى، كلها
حياة فتاة من الحالمينِ
إلهة الروحِ لكنّها
على الأرضِ حَفَنَةُ ماءٍ وطينِ
تُملئُها صَرَخاتُ الأسمى
وترعشُها صدماتُ السنينِ
ولولاك ما وجدتُ فى الثرى
عزاءً، ولم يجتلبها الحنينُ

أناشيدك الخالدات العذاب
 نشيدى وأغنيى الهاتفه
 فكم ليلة من ليالى الشتاء
 دفعتُ بها ضجَّةَ العاصفه
 وأسممتُها النارَ فى موقدى
 وغنيَّتُها الظُّلَّةُ الوارفه
 وأيقظتُ فى ظلِّها فتتى
 ونارَ عواطفى الجارفه

وكم فى ليالى الخريف الكتيب
 وقفتُ أحلقُ عند النَّهْرِ
 أصيخُ إلى صوت قُمْرِيَّةٍ
 سَجَّتْ فوقَ بعضِ عُصُونِ الشَّجَرِ
 أفترسُ فى صَوْتِها عن شَجَاكَ
 وشكواك بين الأسى والفكرِ
 وأسألُها عن شبيبِ ذوى
 وظلِّ صيبا راقِدٍ فى الحَفْرِ

أَقُولُ لَهَا: صَوِّرِي مِنْ جَلِيدِ
 ظِلَامِ الْمَسَاءِ الْكَثِيبِ الْبَعِيدِ
 وَمَا كَانَ مِنْ شَاعِرِي فِي دُجَاهِ
 وَأَهَاتِهِ وَأَسَاءِ الْمُبِيدِ
 صَفَى حُرَّتَهُ عِنْدَ رَأْسِ الْمَرِيضِ
 وَوَحْشَتَهُ وَالرَّجَاءَ الْبَدِيدِ
 صَفَى ذَلِكَ الْجِسَدَ الْأَدْمَى
 وَمَا قَالَتْ عِنْدَ وَدَاعِ الْوُجُودِ

صَفَى شَاعِرِي كَيْفَ أَمْضَى الْمَسَاءَ
 عَلَى قَلَمِي ذَلِكَ الْمَبِيتِ
 يُصَيِّخُ إِلَى التَّنَفَّسَاتِ الْحَنُونِ
 وَيُطَرِّقُ إِطْرَاقَةَ الْمُنْهَبِ
 صَفِيهِ، كَمَا أَرْمَشْتُهُ الْحَيَاةَ
 أَسَى، تَحْتَ سَيْفِ الرَّدَى الْمُصَلَّتِ
 عَلَى كَفِّهِ رَأْسُهُ الشَّاعِرِي
 وَحَبِيداً، إِلَى جَانِبِ الْجَفَّةِ

وكيف تولّى المساءُ الحزين
على شُعلةِ الشمعةِ السّاحبة؟
وهل صرّختْ في الظلامِ الريحُ
كما صرّختْ نفسُهُ الصاخبة؟
«هنالكَ حيثُ يموتُ الشبابُ
وتذوى أشمعتُهُ الفارِية»
هنالكَ حيثُ الذهولُ الغريبُ
يودّعُ روحَ المُنَى الذاهبة

وتَمُضِي الليالي إلى قَبْرِها
وتَمُشِي الحياةُ مع الموكبِ
أسيرُنا في شِعابِ الوجودِ
أنتَشُرُ عن حُلُمِي التَّعَمُّبِ
تُخَادِعُنِي كُلُّ قَمَرِيَّةٍ
وتعَبَّتْ كُلُّ الأَغَارِيدِ بِي
وما زالَ طيفُكَ طيَّ الحُفَاءِ
تُحِبُّهُ ظُلُمَةُ المَغْرِبِ

١٩٤٧-٢-٦

”صوت التشاؤم“

<p>لِ تَطِيلُ التحديقَ تحتِ الدِّيَاجِ لأنينِ الرِّيحِ والأمواجِ على رائعٍ من الأنبجاجِ أغرقتهُ المياهُ خلفَ السِّياجِ</p>	<p>هَى ذَى يا ظلامُ عاشقةً اليـ وقفتُ عند شاطئِ النّهرِ تُصنّى وترى الليلَ غيبها راعبَ الظلِّ وتُحسُّ الحُزنَ العميقَ لحقلِ</p>
<p>وتبكي في مَسمعِ الظُّلُماتِ يةِ والبائسين من ويلاتِ جِ فباتوا صرعى القضاءِ المعاني لِ وما من منجى من المأساةِ</p>	<p>وقفتُ في الدُّجى تُحسُّ الأسى المرَّ وترى بالخيالِ ما حلَّ بالقَرِّ فجأتهُم، تحتِ الدُّجى، لجةِ المو ومَضَوْا يضربونَ فى ظُلْمةِ اليـ</p>
<p>رددتهُ الرِّيحُ للأشجارِ تِ وصرعى الأمواجِ والأقذارِ لِ لقلبِ الظَّلامِ والأسرارِ نُ وحكمُ الآهاتِ والدمعِ جارِ</p>	<p>وتعالى تحتِ الظلامِ صُراخُ هو صوتُ الأحياءِ، فى لجةِ المو عبثاً تضرعين، عاشقةً اليـ عبثاً فالحياءُ ستَّها الحز</p>

”صوت الأمل“

<p>بِ وإن أُمِدلتْ ستورُ الظلامِ كى على مَسْمَعِ القلوبِ الدوامِ جِ ولن نرهبَ العُبابَ الطامِ قت رِياحَ الأقسَدارِ والأَيامِ</p>	<p>سِرُّ بنا سِرِّ يا زورِقَ الأملِ العَذِ وتعالى الدوى فى النَهَرِ البَا سِرُّ بنا لن نخافَ من ضِجَّةِ المو نحنُ فى الموجِ دَقْسَةً طالما لا</p>
<p>يهولُ سِرِّ فى هذا الوجودِ الحزينِ سنا أسأها فى عُمُرنا المَغيبونِ وغداً مَقَرِبُ الأسى والشُّجونِ ضِجَّةُ الموجِ فى عميقِ السكونِ</p>	<p>سِرُّ بنا حيثُما يُريدُ لنا اللجِ لن تنالَ الحياةُ متاً فقد دُقْ ورمثنا أحزانُها فصَبَرنا وغداً تنضُبُ الدموعُ وتَفنى</p>
<p>رِ ويخبو الإعصارُ خلفَ التلالِ كما كنَّ فى الليالى الخوالِ رِقِ نشوانُ ضاحِكِ الأمالِ دى ويغفو على جَمالِ الليالى</p>	<p>سوف تصفو الأمواجُ فى لجةِ النَهْ وتعود النخيلُ يضحكُ لِلشَطْ ويمودُ الملاحُ يخرُجُ بالزو هكذا يرجعُ الصفاءُ إلى الوا</p>

”صوت الشاعر“

مُفَرَّقٌ فِي خِيَالِهِ شَارِدُ الْعَيْدِ خَيْنٍ مُسْتَسْلِمٌ إِلَى الْأَحْلَامِ
يَذْرَعُ الضَّفَّةَ الْجَمِيلَةَ مَفْتُو نَا بِصَوْتِ الْأَمْوَاجِ وَالْأَنْسَامِ
وَيَرَى اللَّجَّةَ الرَّهِيْبَةَ سَحْرًا وَيَنْابِيعَ فَضْنٍ بِالْإِلْهَامِ
وَعَلَى الْبُعْدِ مَنْظَرُ النَّخْلِ فِي النَّهْ رٍ وَمَرَايَ التَّلَالِ وَالْأَكَامِ

هَكَذَا الشَّاعِرُ الْخَيَالِيُّ يَقْضِي يَوْمَهُ فِي الْأَوْهَامِ وَالْأَلْحَانِ
وَيَرَى فِي طُغْيَانٍ مَا تَكَّ يَا نَهْ رُ جَمَالَ الطَّبِيعَةِ الْفَتَانِ
فَهُوَ ذَاكَ الطَّيْرُ الْمَغْرُدُ بِالشَّمْرِ رٍ نَبِيُّ الْخَيَالِ وَالْأَلْوَانِ
تَنْصَبُهُ مَوْجَةٌ تَفْسِلُ الشَّطْ وَنَهْرُ دَاوٍ وَلُجٌّ قَانِ

كُلُّ مَا فِي الطَّبِيعَةِ الْحُلُوةِ الْمَفْ تَانِ يُوحِي لِقَلْبِهِ بِالْفَتَاءِ
كَيْفَ لَا وَهُوَ ذَلِكَ الشَّاعِرُ الْمُرْ هَفٍ وَابْنُ الْخَيَالِ وَالْإِيْحَاءِ
عَاشِقُ الصَّحْوِ وَالْغَيْومِ الْحَزِينَا تٍ وَشَادَى الضِّيَاءِ وَالظُّلْمَاءِ
وَرَسُولُ السَّمَاءِ لِلْعَالَمِ الْبَا كَى وَصَوْتُ الْأَمْوَاطِ وَالْأَحْيَاءِ

(١٩٤٦)

الخطوة الأخيرة

اشهدى أينُها الأشجارُ، أنى
لن أرى ثائِيَةً تحتَ الظلالِ
ها أنا أمضى فلا تبكى لحُرزنى
لا يُعَلِّبْكَ اكتئابى وابتهالى

خُطُّواتى، فى الدُّجَى لا تحسبِها
إنَّها آخِرُ ما أخطو هنا
إنَّها رَجْعُ أَغْصَانٍ لَنْ تَعْمِيها
سوف تَذوى مثْلَما أذوى أنا

خُطُّواتى، أى رَجْعِ مُخْزَنٍ
أه لو لم أسمعِ الصوتَ الكَتِيبَا
ليتنى أنْقِدُ حَسَى، ليتنى
لم اشاهدْ ذلكَ الحُلَمَ الغَرِيبَا

أَيُّ حُلُمٍ ذَابِلٍ فَوْقَ الرَّمَالِ
صُنْتُ فِيهِ كُلَّ مُوسِيقَى حَيَاتِي
كُلَّ أَحْلَامِ شَبَابِي وَخَيَالِي
كُلَّ مَا فِي خَافَقِي مِنْ نَغَمَاتِ

هَـا أَنَا أَرْحَلُ، يَا أَشْجَارُ، هُنَا
تَحْتَ عِيبٍ مِنْ شُرُودِي وَخَشُوعِي
لِيَتَنَى أَجْسَرُؤُ أَنْ أَلْقَى عَلَيْكَ
نَظْرَةً ثَانِيَةً، دُونَ دُمُوعِ

لَنْ تُحَسِّيَ، فِي غَيْبِكَ وَفِعْ خُطَايَا
فَإَنَا، يَا أَخَوَاتِي، لَنْ أَعُودَا
كُلُّ أَحْلَامِي وَأَضْغَاتِ رُؤَايَا
عُذْنُ يَأْسٍ صَارِخًا، عِندَ شُرُودَا

سَوْفَ أَلْقَى الْعُودَ فِي الظِّلِّ وَأَمْضِي
أَيُّ مَعْنَى، بَعْدُ، لِلْعُودِ الرَّقِيقِ؟
سَوْفَ أَحْيَا، يَا سَمَائِي، فَوْقَ أَرْضِي
سَوْفَ أَطْوِي النُّورَ فِي قَلْبِي الْعَمِيقِ

وَدَاعَا، أَنْتَ يَا حُلْمَ شَجَابِي
أَنْتَ يَا مَنْ صَفْتُهُ خَمْسَ سَنِينَ
هَذَا أَنَا أَدْفِنُ، فِي الْأَرْضِ، رَغَابِي
وَأَوَارِي أَمَلِي الْمُرَّ الْحَمِيزِينَ

الْمَمْرَاتُ الْجَمِيلَاتُ سَتَبْكِي
فَوْقَ ذِكْرَائِي وَلَكِنْ لَنْ أَعُودَا
حَسْبُ رُوحِي، أَيُّهَا الْأَشْجَارُ، مِنْكَ
أَنْ ذَكَّرْتَنِي رَغَابَاتِي، لَنْ تَبِيدَا

وَأَنَا؟ لَا تَجْزَمِي، حَسْبُكَ مِنْ
أَنْ ذَكَّرَاكَ بِقَلْبِي سَوْفَ تُحْيَا
كُلُّ جَذْرٍ مِنْكَ فِي أَعْمَاقِ فَنِي
سَوْفَ يَبْقَى شَاعِرِيًّا أَبَدِيًّا

أَهْ يَا أَشْجَارُ، لَا، لَا تَذَكِّرْنِي
فَنَانَا تَمَثَّلُ يَا سَ بَشَرِي
لَيْسَ عِنْدِي غَيْرُ أَثَارِ حَنِينِي
وَيَقَايَا مِنْ شَقَائِي الْأَبَدِي

كنت يوماً خافقاً، بينَ الغيوم،
أسْكَبُ الأحلامَ في عُمقِ حياتي
تصمّدُ الأملُ بي فوق النجوم
ويصوغُ الشمرُ أحلى رَغباتي

أيُّها المودُّ، وداعاً من حياتي
هبطَ الليلُ وقد حانَ رحيلي
امنحْ ما قد كان، إمسحْ نغماتي
انسَ أنفامَ شَقائِي ودُعولي

لن نعي، في الغد، أنفامَ أسايا
وترانيمَ سروري وشَقائِي
فانسنِي، ها قد نأى رجْعُ خطايا
ها أنا أغرقُ، في قلبِ المساءِ

١٩٤٦

البحر

للشاعر الإنكليزي جورج غوردن بايرون من قصيدته

الطويلة: Childe Harold pigrimage

أيها البحر أيها الأزرق الدا
ساخر الموج من قُوى الأدمية
مَخَرَّتْ في العُبابِ منك الأساطير
وَبَقِيَتْ لِلْمَجْهُولِ يَرْهُبُكَ الْإِنْدِ
كُنْ إِهْدِرْ مَا شِئْتَ فِي الظُّلُمَاءِ
مِنْ عَمِيقاً مُدَوَّى الْأَنْوَاءِ
لُتُ وَتَاهَتْ فِي مَوْجِكَ اللَّاتِهَاتِي
سَانٌ وَهُوَ الطَّاعِي عَلَى الْأَشْيَاءِ

كل ما عنده من القوة الهُوْ
فهو يَطْفَى في الأرض بالشر والتخ
وَتَظَلُّ الْأَمْوَاجُ مِنْكَ كَمَا كَا
ما عليها ظلٌ لَطْفِيَانِ مَخْلُو
جاء يا بحرٌ عند شطِّكَ بَعِيَا
رَيْبٍ لَكِنْ تَظَلُّ أَنْتَ عَتِيَا
نَتْ حَمِيٌّ زَاخِرًا وَسَطْحًا سَوِيَا
قِ سَيَبْقَى عَلَى الزَّمَانِ صَبِيَا

ذلك الحى ليس يُتْرَكُ مِنْ ظِلِ
عندما تحتويه أمواجك الهُوْ
صارخاً هابطاً إلى عُمُقِ أَعْمَا
دون قَبْرِ يَضُمُّ أَشْلاءَهُ أَوْ
سَوَى ظِلِّهِ عَلَى الْأَمْوَاجِ
جُ فَيَهْوَى فِي لُجَّةِ الْأَبْجَا
فَكَ مَيِّتًا تَحْتَ الْفَضَاءِ السَّاجِي
كَفَنٍ غَيْرِ رَائِمَاتِ الدِّيَاغِي

كلُّ ما فوقَ موجك الحالدِ الجبِّ
ومسافاتك البعيداتُ لَيْسَتْ
أَيُّها المزدري بطفئانه المك
إنه ذلك الضعيفُ إذا جا

ار ما إن يبقَى بقايا خُطَاهُ
أَيُّها البحر ما تنالُ يَدَاهُ
لذوبٍ يا ساخرأ بكنه قواه
هَكَ يوماً وأبصرتُ عَيْنَاهُ

تلقاه موجةً بعدَ أخرى
ثم ترمى به الرياحُ المُخيفَا
فلإذا ما خَبَا جُنُونُ الأعاصيرِ
عادَ شِلْوا إلى حِمَى الشاطئِ السا

منك يا بحرُ في ظلامِ المساءِ
تُرفَاتَا مَيْتاً إلى الأجواءِ
سِرٍّ وماتتْ أصدأؤها في الفضاءِ
جى وجسماً على حَفَافِ الماءِ

أَيُّها البحرُ آه ما هذه الأمـ
أى شيء هذى القلاعُ الرهيبَا
لَقَبُوا سادةَ البحارِ وما هُم
تسلقاهم قوَى موجك الرا

حوارُ تحت الحديدِ والنيرانِ؟
ت؟ وما سرُّ ذلك الطُفْيَانِ؟
غيرُ طيفٍ من الغُرورِ الفانى
نَعِ بالموتِ والأذى والهوانِ

كلُّ شيءٍ فى الساحلِ الشاسعِ النا
كلُّ شيءٍ يَلْكَى وتلبثُ جَبَا
أين آشورُ؟ أين روما وقرطا
ذهبتْ كلُّها وماتتْ وما زلـ

ننى يُطيعُ الموتَ البطيءَ العتِيَا
رأ كما كنتَ ساخرأ أبديَا
جئةً ما عادَ ذكرُها قَطُّ يحيا
تَ كما كنتَ أَيُّها البحرُ حيا

كل تلك السواحل الحلوة الغنى
ينمشی فيها الغريبُ وكانت
وتبقيت أنت مثلك بالأم
لم يفضن جبينك الزمنُ الما

ساء عادت تحت الزمان صحارى
أمس دنيا تفيض نورا ونارا
حس عميقاً مدوياً جبارا
ضى وما زلت جارياً قهّارا

منذ أن ثبتت الخليفة أنت الـ
كل شيء كما أرى البشرُ ألفا
أبدأ أنت ذلك اللاتيهائى
أبدأ أنت سرمدى خفى

بحرٌ تحت الضياء والظلمات
نونَ باقٍ وانت أنت العائى
المدوى فى مسمع الداجيات
فى السكون الساجى أو العاصفات

وأنا أيها المحيطُ المدوى
طلما سرتُ، فى صباى، على الضف
طلما سرتُ شاردأ مثل أموا
كل حلمى أن يحتوى زورقى مو

عاشقُ الموج والحصى والرمال
ة مُستفرقاً بوادى الخيال
جك تشوان ضاحكاً للمجالى
جك يوماً فنرتوى آمالى

كيف يا بحرُ كيف تنسى مراحى
عندما فى طفولتى كنتُ الهو
طلما من أمواجك الباردات الـ
ليت شمعى فهل نسيت أغاريـ

عند أمواجك الجميلاتِ أمسى؟
فى شواطيك بين بشرى وأنسى
بيضى أترعتُ فى الأمس كأمى
على وحبى الطاغى وفورة نفسى؟

١٩٤٦-٦-١٨

مرثية فى مقبرة ريفية

«ترجمة للقصيد المشهورة: An Elegy Written in

a Country Churchyard للشاعر الإنكليزى

توماس غرى»

فى المساء الكئيب والجرسُ المح
والقطيعُ المكدودُ ينسابُ فى المر
والفتى الحارسُ المؤودُ إلى الما
تاركاً هذه المجالى الحزينا

حزونٌ ينمى النهارَ للأجواء
ج بطيء الخطى كئيب الثغاء
وى يجرُّ الخطى من الإعياء
ت لقلبي أنا وللظلماء

سوف يخيو النورُ الملائى فى الأف
والفضاءُ الممتدُّ يغمره اللي
ليس إلا حفيفُ أجنحة الأط
ودوى الأجراسِ ينثرُ فوق الـ

حق بعيداً على امتداد السهوبِ
ل فلا شىء غير صمت رهيبِ
يبار فى جوها الدجى الكئيبِ
مرج وهم الكرى وصمت الغيوبِ

ليس إلا قمرية يرسلُ الشك
عشها قنة تسلقها الزف
تشكى الذين مروا بـدنيا
عكروا العزلة القديمة والصم

وى الى البذر قلبها المغبونُ
ر وأخفته فى الظلال الغصونُ
ها فلم تدر ما عسى سيكونُ
ت فلوئ هتافها المحزونِ

ها هنا فى الظلال من شَجَر السَّرْ
حيثُ تملو الرمالُ والعُشبُ ينمو
رَقَدَ الراحلونَ من ساكنى القَرْ
أسلمتهم أيدى المنونِ إلى ضِيَبِ

و بينَ الأغصانِ والأشجارِ
بينَ هذى الكتبانِ والأغوارِ
ية بين الرمالِ والأحجارِ
حقِ قبورِ تحت الثرى المنهارِ

رقدوا فابتسامَةُ الفجرِ لا تَوُ
ومراحُ الطيورِ فى أسقفِ الأك
رقدوا الرقدةَ الأخيرةَ فى الوا
ليس تُغريهمُ هُتافاتُ بوقِ

قطْ دنياهمُ على الأنسامِ
واخِ ما إن يُصحبهمُ من مَنامِ
دى الدجى الحزينِ وادى الحمامِ
كيف تُغرى هياكلُ من عظامِ؟

رقدوا فى العراءِ تحتَ الثلوجِ الـ
ومضوا فالبُيوتُ خاويةٌ منـ
لا صغارُ تخفُّ جَذَلَى مَسَاءِ
يا لتنهيدهِ اليَنامِ فما يرَ

بيضٍ لا موقدٌ ولا نيرانُ
همُ وفى قلبِ أهلها أحزانُ
تلقاهمُ ولا أحضانُ
جعُ أبائهمُ إلى ما كانوا

كم تمرَّتْ سنايِلُ القمحِ فى أيـ
ولكم شَقَّتِ الحقولُ محارِبـ
وبأى الأفراسِ ساقوا إلى الما
ولكم أخضعوا من الشَجَرِ الصلـ

لديهمُ كم ترنموا فى السهولِ
نُهمُ فازدعتْ زهورُ الحقولِ
وى قطعِ الأغنامِ عندَ الأميلِ
يدِ وألقوا بساقِه فى الوحولِ

لِسَ لِلْهَازِئِينَ أَنْ يَحْقِرُوا جُهِدَ
أَوْ مَسَرَّاتِهِمْ وَذَكَرَهُمُ الْمَغْ
رَحْمَةً لَا تَكُنْ دُمُوعُ الْحِزَانِي
لِسَ لِلْأَغْنِيَاءِ أَنْ يَحْقِرُوا عُمَدَ

لَهُمْ أَوْ طُمُوحَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
مَمُورًا بِالْفَقْرِ وَالشَّقَاءِ الْعَاتِي
بَسَمَاتٍ فِي الْأَعْيُنِ السَّاحِرَاتِ
رَفَقِيرٍ مَخْضِيءٍ لِلْأَهَاتِ

أَوْ لَيْسَتْ هَذِي الْحَيَاةُ سَرَابًا؟
أَوْ تُنَجِّي الْأَلْقَابُ أَوْ مَنَحُ اللَّجْ
يَا لَوْ هُمْ الْأَحْيَاءُ كَمِ مِنْ حَضَارَا
كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ يَنْتَهِي إِلَى الْقَبْرِ

أَوْ لَيْسَ الْفَنَاءُ عُقْبَى مَنَاهَا؟
بَدِ إِذَا مَا الْحِمَامُ أُخْتِي الْجَبَاهَا؟
تِ أَطَافَ الْبَلْبَى بِهَا فَمَحَاهَا
رَفَقَ مَا مَجْدُهَا؟ وَمَا جَنُوهَا؟

لَا تَلْمِهُمْ يَا أَيُّهَا الْكَائِنُ الْمَغْ
لَا تَلْمِهُمْ إِنْ لَمْ يَشِدْ فَوْقَهُ اللَّجْ
هَذَا هُنَا لَا قُبَابَ لَا قَوْسَ نَضِيرَ
وَهُوَ الْمَرْقَدُ الْأَيَّدُ لِقَوْمِ

رَوْرُ إِنْ لَمْ يَرْقُ هَوَاكَ الثَّوِي
بَدِ النَّمَائِلُ أَيُّهَا الْبَشَرِيُّ
لَيْسَ إِلَّا سُرُّ الرَّدَى الْأَبْدِيِّ
لَمْ يُرْنَمْ مَلِيحَتُهُمْ أَدْمَى

لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا تَقُولُ النَّمَائِلُ
أَلْهَا أَنْ تَرُدَّ لِلْكَائِنِ الْحَيِّ
وَمُتَّافُ الْمَلِيحِ هَلْ هُوَ يَوْمًا
وَنَفَاقُ الْأَحْيَاءِ هَلْ يَمْنَحُ الْأَجْ

حَلْ لَمَعْتَ؟ وَمَا غَنَى الْأَقْوَاسِ؟
إِذَا مَاتَ خَاسِدُ الْأَنْفَاسِ؟
بَالِغُ مَسْمَعِ الْحِمَامِ الْقَاسِ؟
بَدِثِ الْمَوْتَ وَعِشَةَ الْإِحْسَاسِ؟

لستَ تدري من حلّ في هذه البُقْ
علّه كان شاصراً طاهرَ الرُّو
علّه المبقرى لو أسهلّ المو
علّه الملهم الذى يوقظُ النّاس

حمة تحت التراب والأشواك
ح حبّته السماء قلب ملاك
ت لقاد الدنيا إلى الأفلاك
ي فيفتت كل قلب باك

عبقرياتهم زوتها المآسى
فهمُ الجاهلون ما رُفرف العدا
وهم البائسون أطفأ برد ال
فلذا عبقريّة الروح مجرى

مَحَتْ ضوءها يدُ الأقدارِ
م عليهم بجَنَحه الطيّارِ
فَقَرَّ فيهم نبعُ اللهبِ الوارى
جامدُ السَّيلِ راسبُ التَّيارِ

يا لظلم الأقدار كم ماسة حسنة
أخفت اللُجّة العميقة لا لا
كم زهور زجى بها القدرُ القسا
تبعث العطر والفتون إلى جو

سَاءَ ظَلَمْتُ فِي ظُلْمَةِ الْأَصْمَاقِ
ها فيا ضيعة السَّنا الْأَلَقِ
سى بعيداً عن أَمِينِ الْعُشَّاقِ
الصَّحَارَى وَدُجِيَّةِ الْأَفَاقِ

ربما كان تحت هذا الشرى العما
ربما كان تحتها (هامدن) نا
أو فتى مثل (ملتن) الشاعر الم
ربما كان تحتها (كرومول) آ

رى قلوب شواصر وعقول
ن زوّه مقبرة الجبهول
هم أخفاه صمته والذُحول
خر لم يصبه الدم المطلول

مَيْشٍ وَاسْتَعْبَدَتْهُمُ الْأَلَامُ
فَبَقِيَ حَيْثُ لِلْحَيَاةِ هُدًى وَسَلَامُ
مِ الْحَزَانِ وَتُخَفَّرُ الْإِتْمَامُ
رُّ وَأَيَّامُهُمْ طَوًى وَسَقَامُ

حَرَمَتْهُمْ أَيْدَى الْقَضَاءِ نَعِيمَ الْ
فَهُمْ حَيْثُ لَا مَجَالِسَ لَا تَصْ
وَهُمْ حَيْثُ لَيْسَ يَنْهَزَا بِالْأَلَا
وَهُمُ الْبَائِسُونَ أَرْضَهُمْ قَفْ

يَبَاهُ الْإِثْمِ وَالْأَذَى وَالْفُرُورِ
رَضٍ مِنْ حَوْلِهِمْ وَلَا تَنْمِيرِ
لَمْ يَغْرِفُوا الدَّمَ الْمَهْدُورِ
حَةً فَاسْتَعْبَدُوا الشُّعُورَ الظُّهُورِ

غَيْرَ أَنَّ الشَّقَاءَ أَحْمَدَ فِي دُنْ
فَلِذَا هُمْ وَلَا جِرَائِمَ تُنْمَى الْ
لَمْ يَخُوضُوا الْحُرُوبَ سَعْيًا إِلَى الْجِدْ
وَالْيَالِي مَدَّتْ لَهُمْ سُبُلَ الرَّحْدِ

ضًا مِنَ الشَّرِّ وَالْأَذَى وَالْحَقُودِ
أَحْمَرَارُ الْحَيَاءِ لَوْنُ الْحُدُودِ
عَبِيدًا لِلْمَطْمَعِ لِلْحُدُودِ
عَلَى مَنَازِلِ الْغِنَى الْمُنَشُودِ

وَهُوَ الْفَقْرُ رَدَّ أَنْفُسَهُمْ يَدِ
فَلِذَا طَافَ بِأَطْلُ بِحِمَامِهِمْ
لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ سَخَرِ الشَّعْرِ وَالْفَنِّ
لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ دَاسِ آلِهَةِ الْفَنِّ

نَ عَنِ النَّارِ وَاحْتِدَامِ الصَّرَاعِ
لَا فَلَمْ تُغْرِمْهُمْ رُؤْيُ الْأَطْمَاعِ
مُفَرَّقَى الْعُمُرِ فِي صَفَاءِ الطَّبَاعِ
ضٍ وَنَايَ تَشْوَانِ فِي قَسَمِ رَاعِ

وَلَقَدْ أَمْضَوْا الْحَيَاةَ بِمَعْيَدِ
مَلَانِهِمُ الْوَانُ أَحْلَامُهُمْ نُبْ
عَبَرُوا وَادَى الْحَيَاةِ سُكُونًا
لَهُمْ هُمْ مُتَبِّحٌ يَفِيضُ عَلَى الْأَر

رَقِدُوا وَالْقُبُورُ عَارِيَةٌ إِلَّا
وَعَلَى الْبُعْدِ تَلْمَحُ الْعَيْنُ تَمَاشَا
كُتِبَتْ تَحْتَهُ قُوفٌ وَأَشْعَا
يَسْأَلُ الْمَابِرِينَ آهَةَ حُزْنٍ

مِن الصَّمْتِ وَالْهَدْوِ الْحَزِينِ
لَا ضَنْبِلًا يَبْكِي لَصَرْعَى الْمَتُونِ
رُتَغْنَى لِمَنْ ثَوَّوْا فِي الطَّيْنِ
لِقُبُورٍ تَحْتَ الدُّجَى وَالْدُّجُونِ

الْقُبُورُ الَّتِي حَتَّتْ رِيثَةَ الشَّعْرِ
فَإِذَا اللَّحْنُ لَحْنُ شَادٍ مَقْلُ
الْقُبُورُ الَّتِي عَلَى صَخْرَهَا لَحْ
وَيُنَادِي الْأَحْيَاءُ أَنَّ حَيَاةَ الْـ

رٍ عَلَيْهَا بِلَحْنٍ حُزْنٍ حَائِرٍ
لَيْسَ فِيهِ إِلَّا تَفْجُعُ شَاعِرٍ
مَنْ رِثَاءٍ يُشِيرُ دَمْعَ الْمَابِرِ
حَمْرٍ حَلَمٌ عَقْبَاءُ صَمْتُ الْمَقَابِرِ

أَيُّ نَفْسٍ تَرَى يَهُونٌ عَلَيْهَا
وَلَتَكُنْ هَذِهِ الْحَيَاةُ شَقَاءً
أَيُّ قَلْبٍ يَرْضَى مَغَادِرَةَ الْأَرِ
وَهِيَ أَفْقُ الْأَضْوَاءِ وَالسَّحَرِ وَالْأَشْرِ

أَنْ تُوَارَى فِي لُجَّةِ النَّسِيَانِ؟
مَنْ تَرَاهُ يَرْتَاحُ لِلْأَكْفَانِ؟
ضِيٌّ يَلَا حَسْرَةً وَلَا أَحْزَانِ
عَارٍ وَالْقَبْرِ عَالَمُ الدِّيدَانِ؟

وَهِيَ الرُّوحُ حِينَ تَرْحَلُ تَهْفُو
وَالْعَيُونُ الْمَوْدَعَاتُ يَعْزِي
وَمِنَ الْقَبْرِ ذَلِكَ الْمُظْلَمُ الْبَا
أَهٍ حَتَّى فِي شِلْوِ أَجْسَادِنَا الْمَيِّ

لِفُؤَادِ حَانَ وَصَدْرِ خَفُوقِ
هِيَ أَسَى مُشْفِقٍ وَدَمْعُ صَدِيقِ
رَدُّ يَلَوِ صَوْتِ الزَّمَانِ الْعَمِيقِ
تَبْقَى آثَارُ ذَلِكَ الْبَرِيقِ

آه يا شاعري وأنت؟ وقد خَلَّ
أنت يا من قَصَصْتَ أنباءهم شِعْر
علَّ روحاً تقوده الوحدةُ الخمر
علَّه سائلٌ غداً عن أغانيه

لدتَ ذكرى الأمواتِ والبائسين
رأى وذويتَ قلبِكَ للمحزون
سأه يوماً إلى حماكَ حنيناً
لكَ وما قد جرتَ عليكِ السنون

أيها الشاعرُ الوفىُّ وقد يَه
طلما قَبَلْتَ خُطاهُ نَرَى الوا
طلما سارَ مُسرِعاً تنفضُ الآن
ليُلاقى إشراقةَ الشمسِ فوقَ الـ

تُفُّ قلبٌ ثانٍ يُجيبُ السؤالَ:
دى صباحاً وجابتِ الأدغال
لدهاءِ أقدامه وتطوى التلال
يقيمُ الخضرِ فتنةً وجمالاً

ها هنا فى الظلالِ من شَجَرَ البلد
طلما مدَّ جسمه الخائرَ المك
سابعاً فى الخيالِ مغرورقَ العبد
أبدأ بِرُقْبِ السواقى حيراً

وط بين الأغصانِ والأفياءِ
لدودٌ مُستَلِماً لا يدى القضاءِ
حينَ نَهَبَ اكتشايةَ خرساءِ
نَ وَيُصْنِى إلى خَريرِ الماءِ

كم رأيتُهُ شارداً فى اللجالى
كم لمحناه حالمَ القلبِ يحثُّ
تارةً ضاحكاً وأنا حزيناً
قومتَ ظهره مغمومٌ الليالى

وعلى ثغره ابتسامةٌ ساخر
خطاهُ بين الروابي النواضر
شاحبَ الوجهِ مُفرقاً فى الخواطر
قَصَّتْ بالأسى عليه المقاديرُ

طالما سارَ شاردَ الخطوِ مكدو
أو كمن اخلصَ الغرامَ فلم يك
أو كمن وشَّحَ الشقاءَ لياليه
أو كمن عاشَ حالمَ الروحِ بالنو

داً كسارَ ضلَّتْ به قَلَمَاهُ
حقَ سوى البَغْضِ والجفاءِ هواهُ
به وماتت أحلامُهُ ورؤاهُ
و فلم يرحمِ الظلامُ مناهُ

وأتى الفجرُ ذاتَ يومٍ فلم أم
لم أجدهُ على التلالِ الحبيبا
ومضى اليومُ ثم أقبلَ ثانٍ
لا إلى جانبِ الجداولِ ألفي

خرُّ على الشاعرِ الشريدِ النبيلِ
ت إلى قلبه ولا في السُّهولِ
والفتى في مَقَرِّه المجهولِ
به ولا في الرُّبى ولا في الحقولِ

وأتانى الصَّبَّاحُ بالنبأِ المجدِ
حملوه على الأَكْفِ والحا
آه يا عابرَ السبيلِ اقتربِ واقد
كتبوه على حجارةِ قبرِ

يهولِ فالشاعرُ الحزينُ صريعُ
نُ المرائي تفجَّعَ وخُشوعُ
رأى رثاهُ فذاك ما تستطيعُ
ما بكنهُ غيرَ الدجونِ دُموعُ

”الكلمات المكتوبة على القبر“

ها هنا فى التراب فى ظِلَّة الشو
جهلته الحظوظُ والمجدُ والشه
لم يَنَلْ من مناهلِ العلمِ والفنِّ
والليالى صاغتُ صَبَاءَهُ من الحزْ
ك وسادَ لشاعرٍ محزونٍ
رُة فى ظُلْمَةِ الزَمَانِ الضنينِ
سوى كَأْسِ ظامئٍ مغبونٍ
ن وهزَّتْ حَيَاتُهُ بالشجونِ

وَسِعَ الكونَ كُلُّهُ قَلْبُهُ الحَقِّ
ولقد كافأتهُ أَلْهُةُ الشِّيمِ
مَنَحَ البائسينَ أثمنَ ما يَمِ
فَحَبَبَتْهُ السَّمَاءُ أَنبِلَ ما تَمِ
باقُ بالودِّ والحنانِ الدَّفْءِ
ر على قلبه النبيلِ الرقيقِ
لَكُهُ: عِبْرَةٌ انْفِمالِ عميقِ
نَحْنُهُ لِلأحياءِ: قَلْبٌ صديقِ

آه يا صابرَ السَّيْلِ دَعِ الشَّا
لَا تَحَاوَلْ كَشْفَ السَّتَارِ عَنِ الحَيِّ
فوراءَ الترابِ قَلْبٌ لَهُ فى
مأملُ الحَافِقِ الذِّى ضَمَّهُ الدِّ
عَرَفَى مَرَقْدَ الرِّدَى مُطْمَئِنًّا
رِ وَدَعِ مَقَلَّةَ الْمَسَاوَى وَسَنَى
رَحْمَةُ اللهِ مَأْمَلٌ لَيْسَ يَفْنَى
هُ إِلَى عَدْلِهِ فَأَغْمَضَ عَيْنَا

أيار ١٩٤٥

شظايا ورماد

الطبعة الأولى ١٩٤٩

مقدمة

فى الشعر، كما فى الحياة، يصح تطبيق عبارة برنارد شو: «اللاقاعدة هى القاعدة الذهبية»، لسبب هام، هو أن الشعر وليد أحداث الحياة، وليس للحياة قاعدة معينة تتبعها فى ترتيب أحداثها، ولا نماذج معينة للألوان التى تلون بها أشياءها وأحاسيسها، ولاتناقض بين هذا رأى وما يقسم إليه النقاد الشعر من مدارس ومذاهب حين يقولون «كلاسيكى، رومانتيكى، واقعى، رمزى، سريالى...» فهذه كلها ليست قواعد، وإنما هى أحكام.

وقد يرى كثيرون معى أن الشعر العربى، لم يقف بعد على قدميه، بعد الرقعة الطويلة التى جشمت على صدره طيلة القرون المنصرمة الماضية، فنحن عموماً ما زلنا أسرى، تسيّرنا القواعد التى وضعها أسلافنا فى الجاهلية وصدر الإسلام، ما زلنا نلهث فى قصائدنا ونجر عواطفنا المقيدة بسلاسل الأوزان القديمة، وقرقعة الألفاظ الميتة، وسدى يحاول أفراد منا أن يخالقوا فإذا ذلك يتصدى لهم ألف غيور على اللغة، وألف حريص على التقاليد الشعرية التى ابتكرها واحد قديم أدرك ما يناسب زمانه، فسجّلنا نحن ما ابتكر واتخذناه سنّة، كان سلامة اللغة لاتمم إلا إن هى جمدت على ما كانت عليه منذ ألف عام، وكان الشعر لا يستطيع أن يكون شعراً إن خرجت تفعيلاته على طريقة الخليل.

ويقولون: ما لطريقة الخليل؟ وما للغة التى استعملها آباؤنا منذ عشرات القرون؟ والجواب أوسع من أن يمكن بسطه فى مقدمة قصيرة لديوان. ما لطريقة الخليل؟... ألم تصدأ لطول ما لامستها الأقلام والشفاة منذ سنين وسنين؟ ألم تألفها أسماعنا، وترددها شفاهنا، وتعلكها أقلامنا، حتى مجتها منذ قرون ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الأسلوب حتى لم يعد له طعم ولا لون

لقد سارت الحياة، وتقلب عليها الصور والألوان والأحاسيس ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لقلبك، وبنات سعاد، الأوزان هي هي، والقوافي هي هي. . وتكاد المعاني تكون هي هي؟

ويقولون: ما للغة؟ وأية ضرورة إلى منحها آفاقاً جديدة؟ فينسبون أن اللغة إن لم تركز مع الحياة ماتت، والواقع أن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء، التي تستطيع بها مواجهة أعاصير القلق والتحرق التي تملأ أنفسنا اليوم. إنها قد كانت يوماً لغة موحية، تتحرك وتضحك وتبكي وتعصف، ثم ابتليت بأجيال من الذين يجيدون التحنيط وصنع التماثيل، فصنعوا من ألفاظها «نسخاً» جاهزة، ووزعوها على كتابهم وشعرائهم، دون أن يدركوا أن شاعراً واحداً قد يصنع للغة ما لا يصنعه ألف نحوى ولغوى مجتمعين، ذلك أن الشاعر بإحساسه المرهف وسمعه اللغوى الدقيق، يمد للالفاظ معاني جديدة لم تكن لها، وقد يخرق قاعدة مدفوعاً بحسه الفنى، فلا يسئ إلى اللغة، وإنما يشدها إلى الأمام. الشاعر أو الأديب إذن هو الذى تتطور على يديه اللغة أما النحوى واللغوى فلا شأن لهما بها، النحوى واللغوى عليهما واجب واحد هام، واجب الملاحظة واستخلاص قواعد عامة من كلام «المهرفين» من الكتاب والشعراء.

على أن الأديب الذى ستفق على تسميته «مرهفاً»، لابد أن يملك ثقافة عميقة تمتد جذورها فى صميم الأدب المحلى قديمه وحديثه، مع اطلاع واسع على أدب أمة أجنبية واحدة على الأقل، بحيث يتهيأ له حس لغوى قوى، لا يستطيع معه إن هو خلق، إلا أن يكون ما خلق جميلاً وسمواً، فإذا خرق قاعدة، أو أضاف لوناً إلى لفظة، أو صنع تعبيراً جديداً، أحسنا أنه أحسن صنعاً، وأمكن لنا أن نعد ما أبدع وخرق قاعدةً ذهبية.

ولن نقف وظيفة الأديب المرهف، عند خرق قاعدة هنا، وإضافة معنى هناك، وإنما سيكون عليه واجب أدق من هذا تفرضه عليه طبيعة التطور فى

اللغات الإنسانية الحية، سيكون عليه أن يُدخل تغييراً جوهرياً على القاموس اللفظي المستعمل في أدب عصره، فيترك استعمال طائفة كبيرة من الألفاظ التي كانت مستعملة في القرن المنصرم ويدخل مكانها ألفاظاً جديدة لم تكن مستعملة، ذلك لأن الألفاظ تخلق كما يخلق كل شيء يمر عليه إصبع الاستعمال في هذه الحياة المتغيرة، وهي تكتسب بمرور السنين، جموداً يسبغ عليها التكرار، فتفقد معانيها الفرعية شيئاً فشيئاً، ويصبح لها معنى واحد محدود، يشلّ عاطفة الأديب، ويحول دون حرية التعبير.

ثم إن هنالك سبباً آخر هاماً يستدعي هذا الاستبعاد للألفاظ التي كثرت استعمالها، هو أن الأذن البشرية تحمل الصور المألوفة والأصوات التي تتكرر، وتستطيع أن تجردها من كثير من معانيها وحياتها، وخير مثال لهذا أننا ننفر الآن بطبيعتنا من استعمال ألفاظ كهذه: «عمير، كافور، غصن بان، قد، هلال، صدى، عود، نرجس، لؤلؤ» وهي ألفاظ كانت في بعض العصور السالفة تبدو رقيقة شعرية، وربما كانت يوماً بما لا يستعمله إلا المجددون من الشعراء.

وقد لاحظت خلال دراستي للأدب المعاصرة، هذه الملاحظة الطريفة: لاحظت أننا في هذا العصر، قد أصبحنا ننسى المدلول الخاص لكلمة «بدر» فنهملها إهمالاً يكاد يكون كلياً، ونؤثر عليها لفظ «القمر» وقل في الشعراء المعاصرين من يرضى استعمال كلمة «بدر» إلا في الحالات النادرة، وأنا أعترف، أنني أكلف نفسي أحياناً متاعب كثيرة، لكي لا أستعملها، والتعليل السايكولوجي لهذا يسير، فأنا وسواي نتذكر بلا شك تلك العشرات من الأبيات الصماء النافرة التي تركها شعراء العصر المنطقي الماضي، واستعملوا فيها كلمة «بدر» حتى جردوها من جمال معناها، وأطفأوها، وأبقوا منها ظلالهم هم عليها.

وربما كان هذا كله من عمل ما يسميه علماء النفس الاقتران Association وربما كان له عندهم تحليل آخر، سوى أن هذا كله يتعلق بالسبب لا بواقع الأمر، فالهمم أن الالفاظ تصدأ وتحول، وتحتاج إلى استبدال بين حين وحين، وقد رأينا أن هذا الاستبدال وظيفة الأديب يقوم بها وهو «نصف واع» لأن الوعي التام قلما ينتج شيئاً ذا قيمة.



لنعد إلى حديث الأوزان ..

فى هذا الديوان لون بسيط من «الخروج» على القواعد المألوفة، يلاحظ فى قصائد مثل «جامعة الظلال» و«لنكن أصدقاء» و«مرثية يوم تافه» و«أغنية الهاوية» وسواها، وقد يحسن بى أن أؤكد للقارئ أننى لا أعد نفسى واحدة من المرهفين الذين تحدثت عنهم فى الصفحات السابقة، سوى أننى أحسست أن هذا الأسلوب الجديد فى ترتيب تفاعيل الخليل يطلق جناح الشاعر من ألف قيد، وسأحاول فيما يلى أن أبسط خاصية هذا الأسلوب، ووجه أفضليته على أسلوب الخليل، الأبيات التالية تنتمى إلى البحر الذى سماه الخليل «المقارب» وهو يركز إلى تفعيلية واحدة هى «فعلون»:

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم

يداك لجمع الظلال

وتشييد يوتوبيا فى الرمال

أترانى لو كنت استعملت أسلوب الخليل، كنت أستطيع التعبير عن المعنى بهذا الإيجاز وهذه السهولة؟ ألف لا، فأننا إذ ذاك مضطرة إلى أن أتم

بيناً له شطران، فأتكلف معاني أخرى غير هذه، أملاً بها المكان، وربما جاء البيت الأول بعد ذلك كما يلي:

يداك للمس النجوم الوضاء ونسج الغمام ملء السماء

وهي صورة جنى عليها نظام الشطرين جناية كبيرة، ألم نلصق لفظ «الوضاء» بالنجوم دونما حاجة يقتضيها المعنى إتماماً للشطر بتفعيلاته الأربع؟ ألم تنقلب اللفظة الحساسة «الغيوم» إلى مرادفها الثقيلة «الغمام» وهي على كل حال لا تؤدى معناها بدقة؟ ثم هنالك هذه العبارة الطائشة «ملء السماء» التي رقعنا بها المعنى، وقد أردنا له الوقوف فخلقنا له عكاظات؟

هذا كله إذا نحن اخترنا الوزن «المثقارب» و أما إذا اخترنا «الطويل» مثلاً، فالبلية أعمق وأمر، إذ ذاك تطول العكاظات وتتسع الرقع، وينكمش المعنى انكماشاً مهيناً، فنقول مثلاً:

يداك للمس النجوم أو نسج غيمة يسيرها الإعصار في كل مشرق

ليلاحظ القارئ بلادة التعبير، وتقلص المعنى، وأين هذا من تعبيرنا الأول:

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم

وينبغي ألا ننسى أن هذا الأسلوب الجديد، ليس «خروجاً» على طريقة الخليل، وإنما هو تعديل لها، يتطلبه تطور المعاني والأساليب خلال العصور التي تفصلنا عن الخليل، فالخليل قد جعل وزن البحر «الكامل» كما يلي:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

كفأى ترتعشان أين سكيقتي؟

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

شفتاي تصطخبان أين هدوني؟

✓ مرتكزاً إلى «متفاعِلن» التي اعتاد العرب أن يضعوا ثلاثاً منها في كل شطر؟ وكل ما سنصنع نحن الآن، أن نتلاعب بعدد التفاعيل وترتيبها فتجئ القصيدة من هذا البحر أحياناً كقصيدة «جدران وظلال» وهذا مقطع منها:

وهناك في الأعماق شيء جامد

حجزت بلادته المساء عن النهار

شيء رهيب بارد

خلف الستار

يدعي جدار

أواه لو هدم الجدار

ولو قطعناه لجاءت تفعيلاته كما يلي:

متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن

متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن

متفاعِلن متفاعِلن

متفاعِلن

متفاعِلن

متفاعِلن متفاعِلن

✓ ومزية هذه الطريقة أنها تحرر الشاعر من طغيان الشطرين، فاليبت ذو التفاعيل الست الثابتة، يضطر الشاعر إلى أن يختم الكلام عند التفعيلة السادسة، وإن كان المعنى الذي يريد قد انتهى عند التفعيلة الرابعة، بينما يمكنه الأسلوب الجديد من الوقوف حيث يشاء.

ثم نتحدث عن القافية، ذلك الحجر الذى تلقمه الطريقة القديمة كل بيت، قالوا إن العربية لغة واسعة غنية، وأن ذلك يبرر كونها اللغة الوحيدة التى اتخذت القافية الموحدة سنة فى قصائدها، ونسوا أن أية لغة مهما اتسعت وغنيت، لا تستطيع أن تمد «ملحمة» بقافية موحدة، أياً كانت، ولم يتهوا إلى أن ذلك كان واحداً من الأسباب التى حالت دون وجود الملحمة فى الأدب العربى، مع أنها وجدت فى آداب الأمم المجاورة، كالفرس واليونان.

✓ وليس هذا مكان الحديث عن الحسائر الفادحة التى أنزلتها القافية الموحدة بالشعر العربى طيلة العصور الماضية، وإنما المهم أن نلاحظ أن هذه القافية تضى على القصيدة لوناً رتيباً يمل السامع فضلاً عما يثير فى نفسه من شعور بتكلف الشاعر وتصيده للقافية، ومن المؤكد أن القافية الموحدة قد خنقت أحاسيس كثيرة، ووأدت معانى لاحصر لها فى صدور شعراء أخلصوا لها، ذلك لأن الشعر الكامل «الغنائى» منه خاصة، والشعر العربى غنائى كله تقريباً لا يستطيع أن يكون إلا وليد الفورة الأولى من الإحساس فى صدر الشاعر، وهذه الفورة قابلة للخمود لدى أول عائق يعترض سبيل اندفاعها، فهى أشبه بحلم سرعان ما يفيق منه النائم، والقافية الموحدة قد كانت دائماً هى «العائق»، فما يكاد الشاعر يفعل، وتعتبره الحالة الشعرية ويمسك بالقلم فيكتب بضعة أبيات، حتى يبدأ محصولة من القوافى يتخلص، فيروح يوزع ذهنه بين التعبير عن انفعاله، والتفكير فى القافية، وسرعان ما تفيض الحالة الشعرية وتهمد فورتها، ويمضى الشاعر يصف الكلمات ويرص القوافى دونما حس، ولذلك، قلما نجد فى أدبنا القديم قصائد موحدة الفكرة، يسيطر عليها جو تعبيرى واحد منذ مطلعها إلى ختامها، فالشاعر يضطر إلى مصانعة القافية، وأنا أعرف شعراء يختارون القافية، ثم يكتبون البيت وفقاً لها، وهذا أبرز دليل على مدى طغيان هذه الإلهة المغرورة.

إلا أن من حسن الحظ، أن شعراءنا المعاصرين قد استخفوا بسلطان القافية، وخرجوا عليه فاستعملوا نظام الرباعية وأشباهاها، ويكاد هذا يصبح الآن أمراً مقبولاً، لا يبقى على قوافي هذا الديوان اعتراضاً، إلا أنني أعترف مع ذلك بأنني أخضعت القافية أحياناً، لأكثر مما فعل سواي، فنظمتها في قصيدة «مسامير» هكذا: «أ ب أ، ب ج ب، ج د ج، د ه د، ه و هـ. الخ.» (١) وفي «رماد» التي استعملت فيها نظام الرباعية كما يلي: «أ ب ب أ» وفي «غرباء» التي استعملت فيها نظام «المقطوعة Stanza» وكانت القافية في كل مقطوعة تجري هكذا «أ ب ب أ ب»، أما قصيدة «الكوليرا» فقد كانت المقطوعة فيها أطول مما «ينبغي» قليلاً وقد جرت على هذا النسق «أ ب ب ج ج ب ب د د ب هـ هـ هـ هـ» على أنني حررت القافية تحريراً تاماً في قصائد مثل «مر القطار» و«نهاية السلم» و«خرافات» و«جدران وظلال» و«سواها»، فتركها تتكرر كما يشاء السياق دون تقيد بنظام معين، ولعل هذه هي الخطوة الوحيدة التي تسبق الشعر المرسل Blank Verse، وإن كان لا بد من إشارة إلى قصيدة «الجرح الغاضب» فلا قرر أن الأسلوب الطريف في تقفيته مقتبس مباشرة عن الشاعر الأمريكي «أدجار آلان بو» في قصيدته البديعة «Ulalume».

قلت إن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء؛ لأن كتابها وشعراءها لم يعتادوا استغلال القوى الكامنة وراء الألفاظ استغلالاً تاماً، إلا حديثاً، فقد بقيت الألفاظ طيلة قرون الفترة الراكدة «المظلمة» تستعمل بمعانيها الشائعة وحدها، وربما كان ذلك هو السبب في جنوح الجمهور العربي جنوباً شديداً إلى استنكار المدارس الشعرية التي تعتمد على القوة الإيحائية للألفاظ، كالرمزية، والسريالية، على اعتبار أن هذه المدارس تحمّل اللغة أنقالاً من

الرموز والأحلام الباطنية والخلجات الغامضة، واتجاهات اللاشعور، ومثل ذلك عما لانتفض به إلا لغة بلغت قمة نضجها.

والواقع أن القارئ العربي يتهرب من الشعر الرمزي، لأن اللغة تجابه التعبير عن مثل هذه الأحاسيس المبهمة أول مرة، فليس غريباً أن تتلكأ قليلاً، وتتوتر، أما تحليل الأمر بأن ذاتية العربي تنفر بطبيعتها من الرموز ولا تجد جمالاً في الدهاليز التي تتلوى وراء الحس، والعوالم الخفية التي يعسر إدراكها، فأمر لا أعتقد به أنا على الأقل..

ذلك لأن النفس البشرية عموماً، ليست واضحة، وإنما هي مغلفة بالفسر، وقد يحدث كثيراً أن تعبر الذات عن نفسها بأساليب ملتوية، تشيها آلاف الذكريات المنظمة الراكدة في أعماق العقل الباطن منذ سنوات وسنوات، ومئات الصور العابرة التي تمر فيخلق فيها العقل الواعي ببرود وينسأها نسياناً كلياً، فيتلفقها العقل الباطن ويكتنزها مع ملايين الصور الثقافية، ويغلق عليها الباب، حتى إذا آتت غفلة من العقل الواعي، أطلقها صوراً غامضة لا لون لها ولا شكل.

وليست مثل هذه الأحاسيس الغريبة وفقاً على إنسان دون إنسان، سوى أن التعبير عنها يختلف، فالإنسان العادي يراها في أحلامه، أما الفنان فيعبر عنها بفنه وأحلامه معاً، وما دمنا لانستغرب حين نستيقظ أحياناً في أعماق الليل وقد حلمنا أننا نركض حفاة، في قبو قديم، كان جزءاً من دار خربة كنا نسكنها منذ ثماني عشرة سنة كاملة، لم نعد إليها خلالها مطلقاً، ومع ذلك لاحظنا في الحلم أدق الأشياء المنظمة الثقافية التي شاهدها في السنين الغابرة، ذلك المسار القديم المموج على الجدار، وقد تدلى منه الحبل الباهت القديم نفسه، ثم هناك، حلى ارتفاع أمتار، أنبوب المياه الذي كنا في طفولتنا نتسلقه أحياناً، أقول: ما دمنا لانستغرب ذلك في حلم فلماذ لا نتقبله حين

يصفه شاعر في قصيدة؟ إن الشاعر الذاتي الذي يراقب نفسه، كما لو كان يراقب بحراً زخراً لا شطآن له ولا قرار، لا يستطيع أن يتهرب من مثل هذه الصور الباهتة المحوكة، فهي تلاحقه أبداً، ولا بد له من وصفها في شعره، والإبهام جزء أساسي من حياة النفس البشرية، لا مفر لنا من مواجهته إن نحن أردنا فناً يصف النفس، ويلمس حياتها لمساً دقيقاً.

ومع ذلك فالإبهام ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو صورة من صور الحياة، ولذلك يندر أن نجد شاعراً، كل شعره معقد ملتو، أما الذين يتعمدون تعقيد شعرهم، فقد يكون (الدمس هكسلي) التمس لهم بعض العذر حين قال إن المعاصرين يهربون إلى الإبهام خوفاً من الوضوح الذي هو الصفة الأساسية في الأدب الشعبي.

وليس قصدي من هذا التعليل للتعبير الرمزي والسريالي، أن أقول إن طائفة من قصائد هذه المجموعة تنتمي إلى هذه المدرسة أو تلك، وإنما أود أن أمهد لطائفة من القصائد التي عاجلت فيها حالات تتعلق بالذات الباطنية أحياناً، وباللاشعور أحياناً، وهي حالات لم يقف عندها الشعر العربي إلا نادراً، فهو قد وقف نفسه على معالجة السلوك الخارجي للإنسان.

ففي «الخيط المشدود في شجرة السرو» حاولت رسم صورة شعرية للانفعالات والخواطر التي اعترت شاباً فوجئاً بنبأ موت حبيبته، وملاحظ أن القصة العاطفية في هذه القصيدة ثانوية الأهمية بالنسبة للخيط المشدود في الشجرة وما كان له من صلة وثيقة بشroud الشاب المصدوم، وفي حالة الهذيان الداخلي التي اعترته، فعقدة القصيدة تعتمد على الحالة التي تعترى إنساناً يتلقى نبأً مثيراً فاجعاً لا يتوقعه؛ فهو إذ ذاك يصاب بشroud كبير عميق، ويبدو أنه لم يسمع النبأ، ويتلفت حوله فتعلق عيناه بأول شيء تافه تصادفاته، فيغرق في التفكير فيه، وقد كان الشيء التافه في هذه القصيدة هو الخيط، كان

مشدوداً في شجرة سرو تقوم عند الباب فانشغل العقل المصدوم بالتفكير فيه،
ويبقى منشغلاً حتى عاد إليه وعيه وأدرك فداحة المأساة التي نزلت به .

ولن يعثر القارئ على شيء مثير في قصيدة «مر القطار» إن هو توقع أن
يجد فيها وصفاً للقطار أو لرحلة في القطار، فقد كان غرضي الأساسي من
كتابتها أن أعبر عن الشعور الغامض الذي يحسه المسافر ليلاً بالدرجة الثالثة من
القطار، فهناك حالة التعب الكلي التي يجد فيها المرء نفسه مشوبة بلون من
الكسل والارتخاء، وهناك صوت عجلات القطار الرتيب الذي لا يتغير، ولون
الغبار المتراكم على كل شيء، على الحقائق، وعلى الوجوه والشياب، ثم
هناك منظر المسافرين الغرباء وقد جمعتهم عربة القطار صفوفاً، والقطار يصفر
بين حين وحين فيشير إحساساً غريباً في النفس، كل ذلك والسكوت يغمر
العربة، التي نام أغلبية الموجودين فيها وهم جالسون على مقاعدهم، وبين
فترة وأخرى، يصدف أن يتأهب مسافر غريب لا نعرفه، ويهتف بملل ويرود
«كم الساعة الآن؟» أو «متى نصل؟» أو «أين نحن؟» أو مثل ذلك من
العبارات، فإذا أحس قارئ «مر القطار» ببعض هذا الجو كان ذلك حسي .

أما قصيدة «الأفعوان» فقد عبرت فيها عن الإحساس الخفي الذي يعترينا
أحيانا بأن قوة مجهولة جبارة، تطاردنا مطاردة نفسية ملحة، وكثيراً ما تكون
هذه القوة، مجموعة من الذكريات المحزنة، أو هي الندم، أو عادة نمقتها في
سلوكنا الخارجى، أو صورة مخيفة قابلناها فلم نعد نستطيع نسيانها، أو هي
النفس بما لها من رغبات وما فيها من ضعف وشرد، أو أى شيء آخر . . .
فالامر متوقف على ذاتية القارئ، وليس يعنيه أن أعين «أفعوانى» أنا، فذلك
أمر ثانوى، وإنما المهم، أن هذا الأفعوان يطاردنا باستمرار وسدى نتهرب منه،
حتى إذا لئنا باللايرنث Labyrinth «وهو تيه معقد المسالك يدخله المرء فلا
يملك مغادرته لالتواء طرقه وكثرة أبوابه»، حتى إذا استعملنا طريقة الإيحاء
الذاتي كما صنعت أنا في القصيدة:

إنه لن يجيء
لن يجيء وإن عبر المستحيل
أبداً لن يجيء

فالتجربة الحتمية، أنه يجيء أخيراً، وسرعان ما نصرخ «إنه جاء!» وفي قصيدة «خرافات» يجد القارئ لونا من الشعور أحسه، ويحسه كثيرون، كلما ساد السكون مكانا، فإذا ذاك نسمع بأذن الروح ألف قصة تقصها الأشياء الراكدة حولنا، فالسياج يتكلم ويعيد ما كانت عنده من ذكريات انطمست وماتت، و«قصائص الورق الممزق في الخرائب» تحكى أقاصيص مثيرة عن حوادث بعيدة منسية، و«الغبار» يقص قصة النسيان الذي تذرعه العصور على كل شيء، و«مقاعد الغرف القديمة» تتحدث عن جيل من الناس مر بها يوماً ثم انتقل إلى أفق بعيد مجهول، وهكذا... حتى يكاد الإنسان الحساس لا يرى شيئا إلا ويحسه يغمغم ويهمس ويطارده بالكلام.



✓ والذي اعتقده أن الشعر العربي، يقف اليوم على حافة تطور جارف عاصف لن يبقى من الأساليب القديمة شيئا، فالأوزان والقوافي والأساليب والمذاهب سترزعزع قواعدها جميعاً، والألفاظ ستسع حتى تشمل آفاقاً جديدة واسعة من قوة التعبير، والتجارب الشعرية «الموضوعات» ستجه اتجاهها سريعاً إلى داخل النفس، بعد أن بقيت تحوم حولها من بعيد، أقول هذا اعتماداً على دراسة بطيئة لشعرنا المعاصر واتجاهاته وأقوله لأنه النتيجة المنطقية لإقبالنا على قراءة الآداب الأوروبية ودراسة أحدث النظريات في الفلسفة والفن وعلم النفس، والواقع أن الذين يريدون الجمع بين الثقافة الحديثة وتقاليدهم الشعر القديمة، أشبه بمن يعيش اليوم بملابس القرن الأول للهجرة، ونحن بين اثنين: إما أن نتعلم النظريات ونتأثر بها ونطبقها، أو ألا نتعلمها إطلاقاً.

وقد يفيدنا أن نتذكر دائماً أن التطور الذي يحدث في الفنون والآداب في عصر ما، أكثر ما يكون ناشئاً عن التقاء أمتين أو أكثر، فقد يحدث أن أمة معينة، تخمد قابلياتها وتركد قسروناً كاملة بتأثير عوامل خاصة، ثم يأتي عليها زمن متوثب يوقظها فتتململ وتتحرك، وترنو إلى ما حولها، وتبدأ باستيعاب ما فاتها من ثقافات، فتستفيد من تجارب أمة مجاورة بقيت نشيطة فأضافت إلى الفكر الإنساني فصولاً لامية، فما يمضي نصف قرن حتى تنتهي الأمة التي كانت راكدة من مرحلة الاستيعاب، وتبدأ حيث وقفت الأمة المجاورة تبدأ بالإضافة، وهذا هو الأسلوب الذي يتبعه خط التطور في تاريخ الأمم، بحيث لانستطيع أن نعثر على مذهب، أو اختراع، أو نظرية، توصلت إليها أمة بعينها، دون أن تستفيد من تجارب الأمم الأخرى.

* * *

آخر ما أود أن أقوله في هذه المقدمة، إنني أؤمن بمستقبل الشعر العربي إيماناً حاراً عميقاً، أؤمن أنه مندفع بكل ما في صدور شعرائه من قوى ومواهب وإمكانات، ليتبوأ مكاناً رفيعاً في أدب العالم.

وآلف تحية لشعراء الغد.

١٩٤٩/٢/٣

نازك الملائكة

كبرياء

لا تَسْلُنِي عن سرِّ أدمي الحرِّ	يَ فبعضُ الأسرارِ يأبى الوضوحا
بعضُها يؤثرُ الحياةَ وراءَ الـ	حسنٌ لُغزاً وإن يكنْ مجروحا
بعضُها إن كشفتهُ يَسْتَحِلْ حُبِّ	أُ مَهاناً يموتُ موتاً حزيناً
بعضُها بعضُها تكبِّرُ أن يكـ	شفَّ عما وراءهُ أو يُبيناً
ومئاتُ الأسرارِ تكمنُ في دمـ	حمة حُزن تلوح في مقلتينِ
ومئاتُ الألفاظِ في سكتة تـ	تترُّ خلفَ انطباقِ الشفتينِ
وعيونٌ وراءَ أهدا بهـا أشـ	جأحُ يأسٍ في حَبيرةٍ وانكسارِ
تؤثرُ الظلَّ والظلامَ ارتياعاً	من ضياءٍ يَبوحُ بالأسرارِ
وقلوبٌ تَضُمُّ أشلاءها فـ	قَ جـراحٍ وأدمعٍ وذمحلِ
تؤثرُ الموتَ كـبرياءَ ولا تنظـ	قُ بالسرِّ بالرجاءِ الخجولِ
وشفاهُ تموتُ ظمأى ولا تـ	أل أينَ الرحيقُ؟ أينَ الكأسُ؟
ونفوسُ تحسُّ أعماقَ إحماـ	سٍ وتبدلو كآنها لا تُحسُّ

واكفُّ تودُّ لو مَزَقْتُ لو قَتَلْتُ لو تَمَرَّدْتُ فِى جُنُونِ
لو رَأَتْهَا الْحَيَاةُ قَالَتْ: هَدُوهُ وادِّعْ فِى بَرَاءَةٍ وَسُكُونِ

لو رَأَتْهَا مَاذَا تَرَى؟ كُلُّ شَيْءٍ مُفَرَّقٍ خَلْفَ دَاكِنَاتِ السُّتُورِ
أَلْفُ سِتْرِ وَأَلْفُ ظِلٍّ مِنَ الْكِبَرِ بَيْنَ عَمِيقٍ وَأَلْفِ قَيْدٍ وَنِيرِ

لَا تَسَلْنِى لَا تَجْرِحِ السِّرَّ فِى نَفْ حِى وَلَا تَمَحُّ كِبَرِيَاءَ سَكُونِى
لو تَكَلَّمْتُ كَانَ فِى كُلِّ لَفْظٍ قَبْرِ حُلْمٍ وَفَجْرِ جُرْحٍ مُمِيتِ

لو تَكَلَّمْتُ كَيْفَ تَرْتَعَشُ الْأَشْءَ حَمَارُ حُزْنًا وَتَرْتَمِى فِى عِيَاءِ
لو كَشَفْتُ السِّرَّ الْعَمِيقَ فَمَاذَا يَتَبَقَّى مِنِّى سِوَى الْأَشْلَاءِ؟

لو تَكَلَّمْتُ رَعِشَةً فِى حَيَاتِى وَكِبَرَانِى تُلَحُّ أَنْ أَتَكَلَّمَ
وَسَكُونِى الْعَمِيقَ يَكْتُمُ أَنْفَا سِى وَقَلْبِى يَكَادُ أَنْ يَتَحَطَّمَ

لو تَكَلَّمْتُ لو سَكَتُ نَدَاءُ نِ عَمِيقَانِ كَالْحَيَاةِ اسْتِعَارَا
تَتَلَاقَى عَلَيْهِمَا كُلُّ أُسْرَا رِى فَايْقَى شِعْرًا وَحَبًّا وَنَارَا

وَتَظَلُّ الْحَيَاةُ تَخْلُقُ مِنْ وَجْدِ هِى قَنَاعًا صَلْدًا يَفِيضُ رِيَاءَا
جَامِدًا بَارِدًا أَصَمًّا وَيُخْفِى بَعْضُ شَيْءٍ سَمِيئَتَهُ كِبَرِيَاءَا

(١٩٤٨)

يوتوبيا الضائعة

يُجاذِبُ رُوحِي صَبَاحَ مَسَاءٍ	صَدَى ضَائِعٍ كَسْرَابٍ بَعِيدٍ
وَيُوقِظُنِي بِرَقْسِيٍّ الْغَنَاءِ	أَنَامُ عَلَى رَجَمِهِ الْأَبْدِيِّ
تَغْنِيهِ قِيَارَةٌ فِي الْخَفَاءِ	صَدَى لَمْ يَشَابِهْهُ قَطُّ صَدَى
حَنِينًا وَنَادَتْهُ أَلْفَ نَدَاءٍ	إِذَا سَمِعْنَهُ حَيَاتِي ارْتَمَتْ
بِقَلْبِي وَيُشْرِقُ كُلُّ رَجَاءٍ	يَمُوتُ عَلَى رَجْعِهِ كُلُّ جُرْحٍ
يَخْدَرُهُ حُلْمُ يوتوبيا	وَيَمُضِي شُعُورِي فِي نَشْوَةٍ

أَمُوتُ وَأَحْيَا عَلَى ذِكْرِهِ	وَيُوتُوِيِيَا حُلْمٌ فِي دُمِي
عَلَى أَقْقِ حِرْزَتُ فِي سِرِّهِ	تَخَيَّلْتُهُ بِلَدًّا مِنْ عَجَبٍ
تَذُوبِ الْكَوَاكِبِ فِي سَحْرِهِ	هَنَالِكَ عَبْرَ فُضَاءٍ بَعِيدٍ
مَا لَوْنُهُ مَا شَذَى زَهْرِهِ	يَمُوتُ الْفُضْيَاءُ وَلَا يَتَحَقَّقُ
وَيَنْطَلِقُ الْفِكْرُ مِنْ أَسْرِهِ	هَنَالِكَ حَيْثُ تَذُوبُ الْقَبُودِ
هَنَالِكَ تَمَسُّدُ يوتوبيا	وَحَيْثُ تَنَامُ عَيُونُ الْحَيَاةِ

ويوتوييا حيث يبقى الضياء
وحيث يظل عبيرُ البنفسج
وحيث تفيض الحياةُ حقيقاً
وحيث تضيقُ حدودُ الزمان
هناك الحياة امتداد الشباب
هناك يظل الربيعُ ربيعاً

ولاتفرب الشمسُ أو تغلسُ
حياً ولا يذبل النرجسُ
غيراً ولا تفرغُ الأكؤسُ
وحيث الكواكبُ لاتنعسُ
تفور بنشوته الأنفسُ
يظلل سكان يوتوييا

هنالك حيث وعت شهرزاد
وحيث ديانا تسوقُ الضياء
هنالك يوتوييا في الضباب
يحفُّ بها أبدٌ من عطور
وترقدُ في سكرة لا تُحدُّ
على شاطئِ كضياء النجوم

أقاصيصُ غنتَ بها ألفَ ليلة
ونارسيسُ يعبدُ في الشمسِ ظلَّهُ
على شفق لم ترَ العين مثلهُ
ويمنحُها ألفَ لحنٍ وقُبلة
على رجع أغنية مضمحلَّة
أسميه شاطئَ يوتوييا

هنالك طوقتُ ذات مساء
أحسُّ خطاهُ على الرَّمْل لكن
وكنتُ أحسُّ بجسمي حياةً
وكان أمامي عمرٌ غريبُ
ويمتدُّ عن جانبيه خليجُ
وفي حلمي صحتُ: أين أمير

وكان معي هيكلاً كالترابِ
أرى غير شيء وبعضِ سحبِ
تطيرُ بروحي فوق الترابِ
تغلّفهُ دفقات الضبابِ
وبعضُ جزائر بعضِ هضابِ
فردُّ صدى: قرب يوتوييا!

أحسستُ في قعر روعي جنونا
أريدُ انتهاء الطريقِ الغريبِ
لى ذلكَ الأفقِ الأزلى
أسيرُ أسيرُ ولا شيءَ يبدو
على ظمأ لوجودٍ عجيبِ
على ظمأ صارخٍ وأخيراً

وشوقاً عميقاً كبحرٍ عميقٍ
إلى البلدِ التمتنى السحيقِ
وحيثَ يعيشُ أبولو الرقيقِ
أمامي غير امتداد الطريقِ
ينوبُ عليه الندى والبريقِ
صحوتُ ولم أرى يوتوبيا

وفي حلمٍ آخر كنتُ أمشي
غريبٌ غريبٌ بلون الأثير
تناهى بأقدامي التثعبات
تسلقُها أملٌ مضمحلٌ
وقفتُ على قدميها أنوحٌ
وساءلتُ ماذا ترى خلفها؟

على شاطئٍ من حصيٍّ ورمالٍ
يحفُّ به أفقُ كالخيالِ
إلى صخرة رسخت كالبحالِ
فقد تنزحلقُ حتى الظلالِ
على حلمٍ بائسٍ لن يُنالِ
فقال لي الرملُ: يوتوبيا!

وفي حلمٍ ثالثٍ خلتُ نفسي
أحدقُ في نشوة لا تحدُ
أحقاً أرى البابَ؟ الواحهُ
تقدمتُ واجفةً في خُشوعِ
أدقُ على البابِ في نشوةٍ
فصحتُ بصوتٍ حيسٍ: دعوني

على بابها المرمرى الكبيرِ
أكادُ أجنُّ.. أكادُ أطيرُ
تلوحُ مبطنةٌ بالحسريِّ
وفي مقلتي ومنضٍ حلمٍ قريزِ
ولا ردَّ غير السكونِ المريزِ
أموتُ على بابِ يوتوبيا

ومرّت حياتي مرّت سدى
سدى قد عبرت صحارى الوجود
وما زلت أذرعُ صمت القفار
يطولُ على قلبي الانتظار
أحاولُ أن أتمزى بشيء
دقاتك... ثم أخيبُ وأهتف:

ولا شيء يطفئ نار الحنين
سدى قد جررت قيود السنين
وأسالُ عن سرّها العابرين
وأغرقُ في بحر ياس حزين
بغسّاب، بواد، بظلة تين
لا شيء يشبّه يوتوبيا

سأبقى تمجاذبي الأمنيات
وأحلمُ أحلمُ لا أستفيد
أقبلُ جذراتها في الخيال
وأسالُ عنها انكساب المطور
وأسالُ حتى يموت السؤال
وحين أموت... أموتُ وقلبي

إلى الأفق السرمديّ البعيد
حقٌ إلا لأحلمُ حلماً جديداً
وأسالُ عنها الفضاء المديد
وقطر الندى وركام الجليد
على شفتي ويخبو النشيد
على موعدٍ مع يوتوبيا

١٩٤٨

تواريخ قديمة وجديدة

لَنَسِرْ كَانَ أَمْسٌ وَمَاتَ مِنْذُ بَضْعِ مِئَّاتِ السَّنِينَ
مَسَحَتْ ذِكْرَهُ السَّنَوَاتُ وَطَوَتْهُ مَعَ الْمِئَّاتِينَ

وَيَحْفَتُنَا زَمَانًا طَوِيلٌ عَنْ كَوَاكِبِهِ الْأَفْلَاتِ
وَأَسْتَمِرُّنَا يَدَ الْمَسْحِيلِ لِنُعِيدَ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ

وَأَهْبُنَا بِرُكْبِ الْعُصُورِ أَنْ يَمُودَ عَلَى بَدَنِ
عَلَّنَا نَسْتَمِيدُ الشُّعُورِ فَتَرْجَعُنَا بِلا شَيْءٍ

كَمْ شَقَقْنَا هُنَاكَ الظَّلَامَ وَعَبَرْنَا سَكُونَ الرُّكُودِ
وَنَبَشْنَا رُكَّامَ الْعِظَامِ لَمْ نَجِدْ شَيْئًا مَقْقُودِ

وَرَأَيْنَا هُنَاكَ جَبَابًا لَا تَرَى فِيهِ عَمِيَاءَ
وَعَيُونًا طَوْنَهَا الْحَيَاةَ صَمَتَتْ فِيهِ خَرَسَاءُ

وَرَأَيْنَا رَفَافَاتَ قُلُوبٍ حَنَظْنَهَا يَدُ الذِّكْرِيَّاتِ
وَسَدَى حَاوَلْتُ أَنْ تَزُوبَ مَعْنَا فِيهِ.. فِيهِ رُفَاتِ

ورأينا شفهاها خوت
وأكتفاً ذوت وانتطوت
لم تعد تشكى أو نجوغ
لم يعد لاسها دموغ

وسالنا عن الأمس
ومناك على الرمس
فمشرنا على تابوت
يجثم الزمن البهوت

ورجعنا إلى التقسويم
فسمعنا صراخ الهشيم
علنا نخدع الأيام
خلف سخرية الأرقام

ورأينا الغد المنتظر
ساحباً نصفه المحتقر
ساحباً نصفه المشلول
نصفه الجامد المملول

ومناك انطوى سفر
وغداً ينبت العفر
واختمنا التشيد القديم
فوق جرح الزمان الأليم

ويتبهُ صدى الأمس
ونحس على الكأس
فى مدار الزمان العميق
فورة الحلم المستفيق

١٩٤٨

صراع

أحبُّ.. أحبُّ.. فسقلى جُنون
أحبُّ فروحى حبسٌ غريبٌ
وسورةُ حبٍّ عميقِ المَدَى
لهيبٌ من الحبِّ لن يَخمدَا
يضيعُ لديه جمودى سُدَى
سلبتُ ملتهباً موقداً
جسمى قلبٌ خَفوقٌ خَفوق

وأكرهُ أكرهُ قلبى لهيبٌ
وروحى مستمرُّ الاحتقار
وسورةُ مَقَتٍ كبيرِ كبيرِ
على عالمٍ مفرقٍ فى الشُرور
يرى الكونَ أفقاً وضيقاً حقير
ونفسى فى ثورةٍ لا تَقْسرُ
تحقرُ ما حولها من صخور

أحبُّ وأكرهُ.. حبى شقاء

أحبُّ وأكرهُ.. كُرهِى أَلَم

فقيمَ أعيشُ؟ ستمتُ البقاء

وشاقَ حياتى صمتُ العَدَم

وأبكى.. وأبكى.. فدمعى لهيب
تعدبُننى حَبِرَتى فى الوجود
يَحطُمُ روحى ويُذوى المنى
مُنحتُ صيونا نخبُ الدموع
وأصْرُخُ من المي: من أنا
وروحاً تَعْتَرِ فيمما يريد
وقلباً يَحْبُذُ أن يُطعنا
فمَجَّ الظلامَ وعاف السَنَا

وأضحكُ من كلِّ ما فى الوجود	وفى ضحكى مَرَحٌ ساخرُ
فقلبي سخريةٌ واحتقارُ	يشيرهما العالمُ العائرُ
أحدقُ من قَمَتى فى الثرى	فيُضحكنى دودُه الناخرُ
وأضحكُ ضحكةَ ربِّ كَثيب	تمردَ مخلوقُه الكافرُ

وأبكى وأضحكُ.. دمعى دماءُ

وأبكى وأضحكُ.. ضحكى ندمُ

نفيمُ أسرُغُ تحت الضياءُ

فؤاداً سيرُقدُ تحت الظلمُ

أريدُ وأجهلُ ماذا أريدُ	أريدُ وعاطفتى لا تريدُ
أحبُّ السماءَ ولونَ النجومِ	وامتُتها كلُّ فجرٍ جديدِ
أريدُ وأشمُّ أنى أحسُّ	ويسخرُ بما أحسُّ الوجودُ
وأرغبُ فى حلمٍ غامضٍ	فليس له هيكُلٌ أو حدودُ

وانفرُ من كلِّ ما فى الوجود	واهربُ من كلِّ شيءٍ أراه
ففى عُمقِ نفسى صوتٌ غريب	يعلمُ قلبى ازدياءَ الحياءِ
ويصرُخُ بى: اهربى اهربى	ويتعبُ أحساسُ روحى صداه
فاهتفُ يا عالمى: لا أريدُ!	وتصرُخُ بى ذكرياتى: النجاء!

أريدُ وأنفِرُ تحت السماء
 فأرسمُ كلَّ صراعى نغم
 ومن أجلِ لحنى سأرضى البقاء
 وعارَ الحياةِ ودُلَّ الأثم

وأكرهُ؟ أىُّ شعورٍ عجيب؟	أحبُّ وأكره ما إذا أحبُّ
يشيرُ بكائى وضحكى الغريب؟	وأبكى وأضحك ما إذا ترى
حياتى؟ أىُّ صراعٍ رهيب؟	أريدُ وأنفِرُ، أىُّ جنون
ومنذا أصارعه، من يُجيب؟	لماذا أغنى؟ لماذا أصيش؟

١٩٤٧

عندما انبعث الماضي

أُمسُ في الليل وكانت صور الأسرار شتى
تَصْبِي حاضري الغافي وكان الأُمسُ ميتاً
خَلَّتْني كَفَّتْه ذات مساء
وَمَحَصَتْ بِدَعْوَى كِبْرِيائِي
سَمِعْتُ رُوحِي فِي إِغْفَاءِ الظِّلْمَةِ صَوْتَا
لَمْ يَكُنْ حُلْماً خُرَافِي السُّتُورِ
بَعَثَتْهُ رَغْبَةً خَلَفَ شَعُورِي
كَانَ شَيْئاً، كَانَ فِي صَمْتِ الدُّجَى صَوْتُكَ أَنَا
ذَلِكَ الصَّوْتُ الَّذِي يَعْرِفُهُ سَمْعِي مَلِيّاً
صَوْتُ مَاضِيٍّ الَّذِي مَاتَ وَمَا خَلَفَ شَيْئاً
غَيْرَ أَشْتَاتٍ احْتِقَارٍ بَاهِتٍ
رَسَبْتُ فِي قَعْرِ قَلْبِي الصَّامِتِ
غَيْرَ أَشْتَاتٍ إِذْ كَارَاتِ لِحَبٍّ كَانَ حَيّاً
مَنْذُ أَهْوَامٍ.. وَقَدْ فَاتَ وَمَرّاً
مَنْذُ أَهْوَامٍ.. وَصَارَ الْآنَ ذِكْراً
لِقَهْرِ الْمَاضِي وَوَارَاهَا التُّرَابُ الْأَبَدِيَا

ذلك الصوتُ الذي مرَّ على سمعيَ أمس
كان يوماً رغبةً تجهش في أعماقِ نفسي
كان حُلماً ذاتياً في عبراتي
كان حبّاً نائهاً في أمنيّاتي
ثم حطمتُ على ذكره قيثاري وكأسي
عندما ضيَعَتْ تحت الضبابِ
وتعثرتُ بأشلاءِ شبابي
وتهاويتُ على جنةِ أحلامي وأنسي

ومضى عامان ممطوطان مرّاً في شُحوبِ
كان صمري خربةً يصبغها لون الغروبِ
تذرُعُ الأشباحِ في الصمتِ دُجاها
ويعيش اليوم في ظلِّ أساها
كلما جالت بي الحيرة في القبو الغريبِ
مدتُ الذكرى ذراعها إليّ
لونها يخلقُ من رُعيّ دنيا
ويثيرُ الوترَ الميّتَ في قلبي الكتيبِ

وانتفضى عامان ملعونان من أهوام حبي
مزقت روجي أظفارهما، روجي وقلبي
لم تدع حتى شراعاً من رجاء
أبدأ لم تبق إلا كبرياتي
وأبديت أذكارات لها قسوة ذنب
عرفت روجي فيها لون أمسي
أمسي الراسب في أعماق حتى
عرفت فيها صدى الصوت الذي غمغم قربي

إنه الأمس إذن عاد ليحيا من جديد
إنه عاد إذن يطرق أبواب شرودي
أسفاً يا شبجي عد للتراب
لم تعد تملك أن تطرق بابي
لم يعد يربطنا إلا ركام من حدود
هوة أعمق من ذنبك! ماذا؟
قد تبقى لك عندي غير هذا؟
غير ذكرى عبرت يوماً ومرت بوجودي؟

مر القطار

الليلُ ممتدُّ السكونِ إلى المدى
لاشئَ يَقْطَعُهُ سِوَى صوتِ بليدٍ
لحمامةٍ حَيْرَى وكلبٍ يَنْجُ النجمَ البعيدَ
والساعةَ البلهاءُ تلتهمُ الغدا
وهناك في بعض الجهاتِ
مر القطارُ

عجلاته غزلت رجاءً بتُ أنتظر النهارَ
من أجله.. مرَّ القطارُ
وخبا بعيداً في السكونِ
خلفَ التلالِ النائياتِ

لم يبقَ في نفسى سوى رجوعٍ وهُونٍ
وأنا أحتقُ في النجومِ الحالماتِ
أتخيلُ العرباتِ والصفَّ الطويلَ
من ساهرينَ ومتميعينَ
أتخيلُ الليلَ الثقيلَ

في أعينِ ستمتَ وجوهَ الراكبينَ
في ضوءِ مصباحِ القطارِ الباهتِ

سَمِعْتُ مِرَاقِبَةَ الظَّلَامِ الصَّامِتِ
أَتَصَوِّرُ الضَّجَرَ الْمُرِيرَ
فِي أَنْفْسِي مِلَتْ وَأَتَعْبَهَا الصَّغِيرَ
هِيَ وَالْحَقَائِبُ فِي انْتِظَارِ
هِيَ وَالْحَقَائِبُ تَحْتَ أَكْدَاسِ الْغَبَارِ
تَقْفُو دَقَاقِثَ ثُمَّ يَوْقِظُهَا الْقَطَارُ
وَيُطْلِلُ بِمَضْ الرَّاكِبِينَ
مُتَثَابًا، نَعْسَانِ، فِي كَسَلٍ يَحْدَقُ فِي الْقِفَارِ
وَيَعُودُ يَنْتَظِرُ فِي وَجْهِ الْأَخْرَيْنِ
فِي أَوْجِهِ الْقُرْبَاءِ يَجْمَعُهُمْ قَطَارُ
وَيَكَادُ يَغْفُو ثُمَّ يَسْمَعُ فِي شُرُودِ
صَوْتًا يَغْمِغُمُ فِي بُرُودِ
«هَذِي الْعِقَارِبُ لَا تَسِيرُ!»
كَمْ مَرَّ مِنْ هَذَا الْمَسَاءِ؟ مَتَى الْوُصُولُ؟
وَتَدُقُّ سَاعَتُهُ ثَلَاثًا فِي دُحُولِ
وَهُنَا يَقَاطِعُهُ الصَّغِيرُ
وَيَلُوحُ مُصْبِحُ الْخَفِيرِ
وَيَلُوحُ ضَوْءُ مَحْطَةِ عَيْرِ الْمَسَاءِ
إِذْ ذَاكَ يَتَنَدُّ الْقَطَارُ الْمُجْهَدُ
... وَتَنِي هُنَالِكَ فِي انْطِوَاءِ

يَأْيى الرقادَ ولم يزلَ يتنهدُ
سهرانَ يرتقبُ النجومَ
فى مقلتيه برودةَ خطِّ الوجومِ
أطرافها.. فى وجهه لونٌ غريبُ
ألقَتْ عليه حرارةُ الأحلامِ آثارَ احمرارِ
شَفَتْها فى شبهِ الترازِ
عن شبهِ حلمٍ يفرُّشُ الليلَ الجديبِ
بحفيفِ اجتنحةِ خفياتِ اللُحونِ
عيناهُ فى شبهِ انطباقِ
وكأنها تخشى فرارَ أشعةِ خلفِ الجفونِ
أو أن ترى شيئاً مقيناً لا يُطاقِ
هذا الفتى الضَّجِرُ الحزينِ
عينا يحاول أن يرى فى الآخرينِ
شيئاً سوى اللُغزِ القديمِ
والقصةِ الكبرى التى سَمَّ الوجودِ
أبطالها وفصولها ومضى يراقبُ فى بروذِ
تكرارها البالى السقيمِ
هذا الفتى.....
وعمرُ أقدامِ الحفيرِ
ويطُلُّ وجهه عابسٌ خلفَ الزُّجاجِ،

وجهُ الحفير!
 ويهزُّ في يله السراج
 فيرى الوجوه المتعبه
 والنائمين وهم جلوسٌ في القطار
 والأعين المترقبه
 في كل جفن صرخهٌ باسم النهار،
 وتضيق أقدام الحفير الساهد
 خلف الظلام الراكد

مرَّ القطارُ وضاع في قلب القفار
 وبقيت وحدي أسأل الليل الشroud
 عن شاعري ومتى يعود؟
 ومتى يجيئُ به القطار؟
 أنراه مرَّ به الحفير
 ورآه لم يعبأ به.. كالآخرين
 ومضى يسير
 هو والسراجُ ويفحصان الراكبين
 وأنا هنا ما زلت أرقبُ في انتظار
 وأودُّ لو جاء القطار....

عروق خامدة

يا حُبُّ لَمْ تَبْقَ لَنَا ذِكْرِي لَمْ يَطْوِهَا الْمَوْتُ
كَانَ لَنَا ماضٍ وَقَدْ مَرَّ وَلَقَدْ الصَّمْتُ

نحن هنا وهمان، لا لونا لا صوتَ لا شكلا
سرابُ لا شيءٍ، لا معنى لا لفظَ لا ظلاً

تدفعنا الآهاتُ والأحزانُ وما لنا مأوى
يا ليتنا نظفرُ بالنسيانُ أو نُمنحُ السلوى

نبكى فلا تحنو علينا يدُ بريئة من حنانِ
نحن هنا إلا أَمْسُ واللا قَدُ نحن هنا اللاكِبَانِ

أعطينا أفقَ بلا لونِ لا يعكس الأشياءُ
شفاهنا لحمَ بلا لحنِ وروحنا أشلاءُ

ونلتقى فنسكتُ النجوى وتكنم الأنفاسُ
وضحكةٌ تبلو بلا جدوى ينقصُها الإحسانُ

ورغشة الأشواق؟	وتلتقى الكفان أينَ الرغابُ
ليس لها أعماقُ	أصابع مَيِّتة الأعصاب
ليس لها قلبُ	وأعينٌ فارغة الأحداقُ
ويلهتُ النفسُ رُبُ	الشرقُ فيها أسودُ الأفاقُ
فأرقها الشوقُ	وأذرعُ صماءُ كالأحجارُ
لم يستفق عرقُ	جامدة لو لامسها النارُ
شيءٌ وراءَ السروحِ	ونلتقى ينقصنا شيءٌ
وليلنا مجروحُ	شفاهنا يُنكرها الضوءُ
وأدمعُ خُـمـرُ	ونلتقى تفصلنا آلامُ
وبيننا الأمسُ	يعمرُ أنْ تجمَعنا الأيامُ
تقذفُ بالأشباحِ	وبيننا هاوية الذكرى
قد غرقَ الملاحُ	سُدَى أريدُ الضفَّة الأخرى

١٩٤٨

الجرح الغاضب

أغضبُ أغضبُ لن أحمل الجُرْحَ الساخرُ
جُرْحٌ قد مرَّ مساءً الأمس على قلبي
يجثمُ أسود كالنِقْمَةِ في فكرٍ ثائرُ
جُرْحٌ يجثمُ كالليل المُتَمِّمِ في قلبي
جرحٌ لم يعرف إنسانٌ من قبلي مثلهُ
لن يشكو قلبٌ بشريٌّ بعدى مثلهُ

الظلمة في أمسى المطوى أحسنهُ
ومضت نهمس في صمت الليل: من الجاني
حتى الأبدية والافاق أحسنهُ
وتناسى، لم يعبا، لم يتبهِ الجاني.

أغضبُ، تنضبُ لي فَمَسَاتُ الليلِ الصامتُ
وتُحِيلُ الجوّ الواجمَ صرخَةً جبارِ
ويشورُ بقلبِ الأبديةِ جُرْحٌ ساكتُ
وتقولُ الأنجمُ: هذى نِقْمَةُ جَبَّارِ
أغضبُ، يرتعشُ الموجُ معي تحت القمرِ
ويضجُ وتبلغُ ثورتهُ سَمْعَ القَمَرِ

ويُجَنُّ الغيمُ الأسودُ في عَرْضِ الأفقِ
ويتحوّلُ صمتي ناراً تصرخُ في الأفقِ
ويلفُ الشاطئُ ثوبُ حِدادِ كجنازه
وأغنى رقّةً إحساسى لحنَ جنازه

أَمْسَى، فِي أَمْسَى قَدْ دُفِنَتْ أَشْلَاءُ غُلَى
كَانَتْ، لَمْ يَلِدْ بِهَا أَحَدٌ، شَبُّ جَرِيمِهِ
كَيْفَ عَلَى الْأَرْضِ تَسَاقَطَ حُلْمِي بَيْنَ يَدَيِ
الْجُرْحُ النَّدِيانِ سَيْسَهْدٌ، أَيْ جَرِيمِهِ
وَتَبَقَتْ بَضْعَةٌ أَشْلَاءُ كَانَتْ قَلْبَا
كَيْفَ الْمَقْدُورُ مَضَى نَزَقًا يَقْتُلُ قَلْبَا؟

وَتَبَقَتْ ذِكْرِي مُطْفَأَةٌ كَانَتْ أَمْسَا
وَتَبَقَتْ أَنَاثُ حَيْرِي كَانَتْ لَحْنَا
جُدْرَانُ عَارِيَةٍ كَانَتْ يَوْمًا أَمْسَا
أَصْدَاءُ فِي غَارٍ خَاسٍ كَانَتْ لَحْنَا

وَمِنَ الْأَعْمَاقِ تَصَاعَدَ صَوْتُ مَخْنُوقُ
يَهْتَفُ فِي حُزْنٍ فِي جَزَعٍ: كَيْفَ أَبُوحُ؟
قَدْ يَشَارُ لِي مَطَرٌ وَرَعُودٌ وَبُرُوقُ
لَيْتَ الْجُرْحَ الْمَظْلُومَ إِلَى اللَّيْلِ يَبُوحُ
وَرَأَيْتُ عَلَى الْأَقْ لِلْخَضُوبِ بِفَيْضٍ دَمِي
شَبَحًا تَفْتَرُّ عَلَى فَمِهِ قَطَرَاتُ دَمِي

عَيْنَاهُ الزَّرْقَاوَانِ مَسَاءَ أَهْوَالِ
وَيْلَاهُ السُّودَاوَانِ ذُرَاعَا عَفْرِيتِ
شَبَحَ مَجْنُونٌ أَبْقَطَ عَاصِفَ أَهْوَالِ
وَأَحَالَ دِيَا جِيرِي أَحْبَبَةَ عَفْرِيتِ

أغضبُ للجرحِ الخنلجِ الشاكى أغضبُ
 سيجنُ معى الصبرِ المذبوحُ المرتعشُ
 ستجنُ معى اللعنةُ والحقدُ المرتعشُ
 لا مهربَ من جرحٍ قد مرَّ على قلبى
 جرحٌ يصرخُ كالجوعِ البائسِ فى قلبى

الظلمةُ فى صمتِ الأفاقِ أحستهُ
 ومضتْ تسألُ فى قلبِ الليلِ: من الجانى؟
 حتى القمريةُ والأشجارُ أحستهُ
 ونضاحكُ، لم يشعر، لم يتبهِ الجانى

١٩٤٨

الباحثة عن الغد

غداً نلتقى، نبأ في الزمان	رَوَّتهُ الحـيـاةُ
تلاشى ولم تروِه شَفَتان	تلاشى وتاه
وجاء غدٌ ثم ولى ومات	ومادَ ضَبَّابا
فأين «غداً نلتقى» يا حياة	أعـمـادتُ تـرابـا؟
«غداً نلتقى» ثم مات الزمان	وضاع المكان
وهل يلتقى أبداً عاشقان	على لا كـيـان؟
وكان لنا موعدٌ فانطوى	صـمـدهُ ومـمات
وكم كوكبٍ في الدياجي هوى	عـمـادَ رُفـات
وكانت لنا قصَّةٌ كالْبَشَرِ	نـسـيـجُ السـنـينِ
فأسفرَ آخرُها عن قَدَرٍ	وذابَ الـرـنـيـنِ
وكنّا نمرُّ فنعترنو الحـيـاةَ	وتومئى إلينا
وها نحنُ نخنصم الذكرياتُ	على شَفَتَيْنَا

ويطرُونا الأَمنُ من كلِّ ما ملكناهُ يومَنا
سوى حاضِرٍ مُشرقٍ في الدِّما ويقطُرُ سُـمـما

ونسَمعُ بعضاً وراءَ المساءِ من المَشْرِقِ
صدى لفظَينِ يجوسُ الفِضاءِ «غداً نلتقي»

ويأتى غداً في أسيٍّ وثُرُودِ بصَـمـتِ طویلِ
بألفِ صدىٍ ساخرٍ في برودِ وراءَ النَخِيلِ

«غداً نلتقي» ويسود السكون سكون الخـريفِ
وأسمع تحت السماءِ الحنون صـراخاً عـنـيفِ

وقهقهةً، فظةً، بارده كجـوِّ القـبـورِ
تردها شفةً حاقدِ وراءَ المـصـورِ

«غداً نلتقي» وتمطَّ النغم وتسـخـر مني
ويبقى غداً نائهاً في الظلم يـفـتـش عـنـي

١٩٤٨

الأفعوان

أين أمشي؟ مللتُ الدروبُ
وسنمت المروجُ
والعدو الخفى اللجوج
لم يزل يقتضى خطواتي، فأين الهروب؟
الممرات والطرق المذاهباتُ
بالأغاني إلى كل أفق غريب
ودروب الحياة
والنهاليز في ظلمات الدجى الحالكاكات
وزوايا النهار الجليد
جبتها كلها، وعدوى الخفى المعنيدُ
صامدٌ كجبال الجليد
في الشمال البعيد
صامدٌ كصمودِ النجومِ
في عيون جفّاهما الرقادُ
ورمتها أكفُّ الهمومِ
بجراح السهادِ
صامدٌ كصمودِ الزمنِ

ساعة الانتظار
كلما أمنت في الفراز
خطواتي تخطي القنن
وأنا بما حطمت جهود النهار
من قيود التذكر... لن أنشد الانفلات
من قيودي، وأى انفلات
وعدوى المخيف
مقلته تمج الحريف
فوق روح تريد الربيع
ووراء الضباب الشفيف
ذلك الأفق الفظيع
ذلك القول أى اعتاق
من ظلال يديه على جيتهى الباردة
أين أنجو وأهدأه الحاقده
فى طريقى نصب غداً ميتاً لا يطلق؟

أين أمشى؟ وأى انحناء
يُغلق الباب دون عدوى المريب
إنه يتحدى الرجاء

ويقهقهُ سخريةً من وجومي الرهيبُ
إنه لا يحسّ البكاءُ
أين.. أين أغيبُ
هَرَبِي المستمرُّ الرتيبُ
لم يعدْ يستجيبُ
لنداء ارتياحِي وقيم صراخِ النداء؟
هل هناك ملاذٌ قريبُ
أو بعيدٌ.. سامضِي وإن كان خلفَ السماءِ
أو وراءَ حدودِ الرجاءِ
ثم ذاتَ مساءٍ
أسمع الصوتَ:
«سيري فهذا طريقٌ عميقُ
يتخطى حدودَ المكانِ
لن تَمي فيه صوتاً لغمغمةِ الأفقِ
إنه «لا برنث» محيقُ
ربما سيَدقُّ يدٌ في قديمِ الزمانِ
لأمير غريبِ الطباغِ
ثم ماتَ الأميرُ.. وأبقى الطريقُ
لاكفَّ الضياعِ
أسمع الصوتَ ملءَ البقاعِ

فأسيرُ لعلِّي أفيقُ
من دياجير كابوسيَ الأبدى الصفيقُ
ربما سيفضلُ هدوئِي الطريقُ
ما أحبُّ المسيرَ وليس ورائي خطيَ مائه
تتمطّئ بأصدائها الباهته
في محاني طريقِي الطويلُ
إنه لن يجيءُ
لن يجيءُ وإن عَبرَ المستحيلُ
أبدًا لن يجيءُ
لن يراه فؤادي البريُّ
من جديدٍ يثيرُ الرياحُ
لتسدَّ على السبيلِ
في هدوءِ الصباحِ
أبدًا لن يجيءُ
لن يجيءُ أ
وأسمعُ قهقهةَ حاقده
إنه جاء، يا لضبايعِ رجائي الكسيرِ
في دُجى اللَّابَرُوثِ الضَّريرِ
وأحسُّ اليدَ الماردة
تضغَطُ البردَ والرُّعبَ فوق هدوئِي الغريرِ

بأصابعها الجامده
إنه جاء.. فيم المسير؟
ساودعُ حُلْمِي القصير
وأعودُ بجُثَّةِ الباردة

وتمرُّ ثمرُ الحياة
وعدوى الخفى العنيد
خلف كلِّ طريقٍ جديدٍ
فى ليلالى الأسى الحالكات
خلف كلِّ سحرٍ
وأراه يُطلُّ على مع المنتظر
مع أمسى البعيد
مع ضوء القمر
فى الفضاء المليد
أين أين المفر
من عدوى العنيد
وهو مثلُ القنر
سرمدى، خفى، أبيض.
سرمدى، أبيض.

خرافات

هدية إلى صديقتي ديزى الأمير تحية لذكرى مساء
فلسفا فيه كل شيء حتى الكراسى والمناضد والسناثر.

قالوا الحياة

هى لونٌ هينى مَيّت
هى وقعُ خَطوِ القاتِلِ التَلَقّتِ
أيامُها التَجَمُّعاتُ
كالْمِطَفِ المِسمومِ يَنْضَحُ بِالْمِماءِ
أحلامُها بِسَماتِ سَعَلَةٍ مَخْذُورَةِ العِيونِ
ووراءَ بِسْمَتِها المُنُونِ

قالوا الأمل

هو حَسْرَةُ الظَمآنِ حينَ يَرى الكُؤُوسَ
فى صُورَةٍ فوقِ الجِدارِ
هو ذلِكَ اللَّونُ العَبُوسُ
فى وَجْهِ عَصْفُورٍ تَحْطِمُ عَشرَهُ فَبكى وطارَ
وأقامَ يَنْتَظِرُ الصَّباحَ لَعَلَّ مِعْجَزَةً تُعيدُ
أَنْقاضَ ماوَاهُ للخَرْبِ مِنْ جَليدٍ.

قالوا النعيم

ويبحثُ عنه في العيون الفائراتُ
في قصّة البؤس التي كُتبت على بعض الوجوه
في الدهر تاكلهُ سنوه
في الزهر يرصدُ عطره شبحُ الذبول
في نجمة حسناء يرصدُها الأفول
قالوا النعيم ولم أجده فهل طوى غده ومات؟

قالوا السكون

أسطورةٌ حمقاءُ جاء بها جمادُ
يُصغى بأذنيه ويتركُ روحه تحت الرمادُ
لم يسمع الصرّخات يُرسلها السياجُ،
وقصائصُ الورق الممزق في الخرائب، والغبارُ،
ومقاعدُ العُرف القديمة، والزجاجُ،
غطاءُ نَسج العنكبوت، ومعطفٌ فوق الجدار.

قالوا الشباب

وسألتُ عنه فحدثوني عن سنينٍ
تأتى فينقشعُ الضبابُ

وتحدثوا عن جنة خلف السراب
وتحدثوا عن واحة للمتعبين
وبلغتها فوجدت أحلام القَد
مصلوبة عند الرِجاج الموصدِ

قالوا الخلودُ

ووجدته ظلاً تغطى في برود
فوق المدافن حيث تنكمش الحياة
ووجدته لفظاً على بعض الشفاء
غشته وهي تنوح ماضيتها وتنزله للحدود
غشته وهي تموت.. يا للإزدراء!
قالوا الخلودُ، ولم أجد إلا الفناء.

قالوا القلوبُ

ووجدت أبواباً تؤدي في اختناق
لمقابر دفن الشعور بها ومات غدُ الخيال
جدرانها اللزجات تبلع الجمال
ونجح قبحاً لا يُطاق
وهربت شاحبةً أتلك إذن قلوب؟
يا خيبة الأحلام، إنى لن أووب.

قالوا العيون

ووجدتُ أجفاناً وليس لها بَصَرٌ
وعرَّقتُ أهداً شُلْدنَ إلى حَجَرٍ
وخبرتُ أقباءَ ملقعةً بأستارِ الظنونِ
عمياءَ عن غيرِ الشرورِ وإن تكن تُدعى عيونَ
وعرفتُ آلافاً وأعينُهم صفائحُ من زجاجِ
زرقاءُ في لونِ السماء، وخلفِ زرقتها دِياجُ

قالوا وقالوا

الفاظُهم لاكتِ تَرَدَّدُها الرياحُ
في عالمِ أصواته الجوفاءِ يرصدُها القناءُ
المتعبونَ بلا ارتياحِ
الضائمونَ بلا انتهاءِ
قالوا وقلتُ وليس يبقَى ما يُقالُ
يا للخرافةِ! يا لسُخريةِ الخيالِ!

ج ح و د

فِي سُكُونِ الْمَسَاءِ فِي ظِلَامِ الْوَجْدِ ————— وَودُ
حِينَ نَامَ الضَّيَاءُ وَاعْتَرَانِي جُودُ

خِلْتُ نَفْسِي أَسِيرَ فِي مَكَانٍ بَعِيدِ
فَوْقَ قَلْبِي أَثِيرَ تَحْتَ رِجْلِي قُودِ

فِي كِبَانِي قُنُورُ فِي دَمِي نَوْدُ
لِقَبْوَةِ الشَّمْعِ ————— وَودُ
وَمَوْلَا شَيْءِ

فِي إِسَارِ الْأَلَمِ رُوحِي الْمَبِيدِ ————— وَودُ
يَا مَعَانِي الْعَلَمِ آهَ لَوْ أَنَا هُمُ

فِي ضَبَابِ الْوَجْدِ أَنَا كَالسَّوْدِ
وَعُدًّا سَاعِدُودِ دُونَ أَنْ أُدْرِ

جَنَنِي فِي الْأَلَمِ خَاطِرِي فِي الْقَيْدِ
بَيْنَ هَمَسِ الْعَلَمِ وَصُورِ الْوَجْدِ ————— وَودُ

وسكونى حياة
النجاة النجاة
وظلامى بريق
من شعورى العميق

أنا حُلُم
أم أنا جَسَم
وشعورٌ ظهوز
مُفَرَّقٌ فى الشُّرُوز

بل أنا آفـاق
وأنا أمـاق
من شعورٍ عَنيف
من خِصَمٍّ مَسْخِيف

المقاييسُ
الأحاسيسُ
ليس تغنينى
هى قـانـونى

أنا لا أهـوى
فـإذا دوى
ما يُحبُّ الناسُ
فى دـمى إحـساسـ

سـررتُ لا أـلوى
فـنـفـداً يـطوى
سـررتُ خـلف الصـوت
فـجـر عـنـرى المـوت

فى دـمى إعـصار
وشظايبا نار
عاصفٌ بالجمود
تسحـبـدى الرـكـود

كلُّ قَلْبِي شَكُّ فِي مَعَانِي الْخَيْرِ
فِكْرَةٌ تُضْهِجُكَ أَنَا أَهْوَى الشَّرِّ

إِنْ يَكُ الْجَنُّمُ مِنْ تَرَابِ حَقِيرِ
فَأَنَا إِثْمٌ... أَنَا لَسْتُ أَثِيمِ

إِنْ يَكُ الْعَمَلُ بِمَقْتِ الْإِنْفِجَارِ
فَأَنَا حِلٌّ... يَا لِلْعَمَارِ

إِنْ يَكُ الْإِيمَانُ هُوَ هَذَا الْجُودُ
فَأَنَا نُكْرَانُ أَنَا كُلِّي جُودُ

١٩٤٧

مرثية يوم تافه

لاحت الظلمةُ في الأفق السحيقِ
وانتهى اليومُ الغريبُ
ومضت أصداءه نحو كهوفِ الذكرياتِ
وغداً تمضى كما كانت حياتي
شفةً ظمأى وكوبُ
عكست أعماقه لونَ الرحيقِ
وإذا ما لمستهُ شفتايا
لم نجد من لذةِ الذكرى بقايا
لم نجد حتى بقايا

انتهى اليومُ الغريبُ
انتهى وانتجت حتى الذنوبُ
ويكت حتى حماقاتي التي سميتها
ذكرياتي
انتهى لم يبقَ في كفى منه
غيرُ ذكرى نغمٍ بصرخُ في أعماق ذاتي
رائياً كفى التي أفرغتها

من حياتى، واذكاراتى، ويوم من شبائى
ضاع فى وادى السرابِ
فى الضبابِ.

كان يوماً من حياتى
ضائعاً ألقيته دون اضطرابِ
فوق أشلاء شبائى
عند تلِّ الذكرياتِ
فوق آلاف من الساعاتِ ناهت فى الضبابِ
فى متاهاتِ الليالى الغائراتِ.

كان يوماً تافهاً، كان غريباً
أن تدقَّ الساعةُ الكسلى وتُحصى لحظاتي
إنه لم يك يوماً من حياتى
إنه قد كان تحقيقاً رهيباً
لبقايا لعنة الذكرى التى مرقتها
هى والكأسُ التى حطمتها
عند قبرِ الأملِ الميتِ، خلفَ السنواتِ،
خلف ذاتى

كان يوماً تافهاً.. حتى المساء
 مرت الساعاتُ في شِبهِ بكاءٍ
 كلُّها حتى المساء
 عندما أيقظَ سَمْعِي صَوْتَهُ
 صَوْتَهُ الخُلُو الذي ضيَعتهُ
 عندما أهدقتِ الظلمةُ بالأنفِ الرهيبِ
 وامتحتُ حتى بقايا الـمِى، حتى دنوئى
 وامتحنى صوتُ حبيبى
 حملتِ أصداؤه كَفُ الغروبِ
 لمكان غابَ عن أمينِ قلبي
 غابَ لم تبقَ سوى الذكري وحيتى
 وصدى يومٍ غريبِ
 كشحوى
 عبثاً أضرعُ أن يُرجعَ لى صوتَ حبيبى.

الغاز

دَعْنِي فِي صَمْتِي فِي إِحْسَاسِي الْمَكْبُوتِ
لَا تَسْأَلْ عَنِ الْغَازِ غُمُوضِي وَسَكُوتِي

دَعْنِي فِي لُغْزِي لَا تَبْحَثْ عَنْ أَغْوَارِي
اقْنَعْ مِنْ فَهْمِ أَحَاسِيسِي بِالْأَسْرَارِ

لَا تَسْأَلْ إِنِّي أَحْيَانًا لُغْزٌ مُبْهِمٌ
أَبْقَى فِي الْغَيْبِ مَعَ الْأَسْرَارِ وَلَا أَفْهَمُ

رُوحِي لَا تَعْتَشِقُ أَنْ تُحْيَا مِثْلَ النَّاسِ
أَنَا أَحْيَانًا أَنْسَى بَشَرِيَّةَ إِحْسَاسِي

حَتَّى حُبِّكَ.. حَتَّى آفَاقِكَ تُوْذِنِي
فَأَنَا رُوحٌ أَسْبَحُ كَالطَّيْفِ الْمُقْتُونِ

قَلْبِي الْمَجْهُولُ يُحَسُّ شُعُورًا عُلُويًا
لَا حَسًّا يُشَبِّهُهُ لَا وَعْيًا بَشَرِيًّا

إِذَا ذَاكَ أَحْسَكَ شَيْئاً بَشَرِيّاً قَلِقَا
قِمَّةُ أَحْلَامِي تَرَفُّضُهُ مَهْمَا اتَّسَلَقَا

إِذَا ذَاكَ يَحْسَكَ رُوحِي بِمَعْضِ الْأَمْوَاتِ
مَا سُمِّيَ «أَنْتَ» هَوَى، لَمْ تَبْقَ سِوَى ذَاتِي

فِي وَجْهِكَ أَنْظَرُ لَكُنِّي لَا أَبْصِرُهُ
فِي رُوحِي أَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ أَتَذْكُرُهُ

أَتَذْكُرُ، لَا أَدْرِي مَاذَا، مَاذَا كَانَا؟
شَيْءٌ لَا شَكْلَ يَحْدُدُهُ.. لَا أَلْوَانَا

الْمِیْهَمُ فِي رُوحِي يَبْقَى فِي إِیْهَامِهِ
دَعَاهُ لَا تَسْأَلْنِي عَنْهُ، عَنْ أَنْغَامِهِ

دَعْنِي فِي الْغَازِي الْعَلِيَا، فِي أَسْرَارِي
فِي صَمْتِي، فِي رُوحِي، فِي مَهْمَةِ أَفْكَارِي

فِي نَفْسِي جُزْءٌ أَبَدِيٌّ لَا تَفْهَمُهُ
فِي قَلْبِي حُلْمٌ عُلُوِيٌّ لَا تَعْلَمُهُ

دعهُ، ماذا يَعْنِيكَ لتَسْأَلَ في إِصرَارٍ؟
الحبُّ يَمُوتُ إِذَا لم تَحْبِبْهُ أَسْرَارُ

إِنِّي كَاللَّيْلِ: سَكُونٌ، عَمَقٌ، آفَاقُ
إِنِّي كَالنَّجْمِ: غَمُوضٌ، بُعْدٌ، إِيرَاقُ

فَافْهَمْنِي إِنْ فَهَمَ اللَّيْلُ، افْهَمْ حَسِيَّ
وَالْمُسْتَنِي إِنْ لُمِسَ النَّجْمُ، الْمَسْ نَفْسِي

١٩٤٧

جامعة الظلال

أخيراً لمستُ الحياةَ
وأدركتُ ما هي أَىُّ فراغٍ ثَقِيلٍ
أخيراً تبيّنتُ سرَّ الفقايعِ وأخيئناه
وأدركتُ أنى أضمتُ زماناً طويلاً
ألمُ الظلالِ وأخطُ في عَمّةِ المستحيلِ
ألمُ الظلالِ ولا شىءَ غيرِ الظلالِ
ومرّتْ علىَّ الليالِ
وها أنا أدركُ أنى لمستُ الحياةَ
وإن كنتُ أصرُخُ وأخيئناه!

ومرّ علىَّ زمانٌ بطيءُ العبورِ
دقائقُهُ تتمطى ملالاً كأنَّ العُصورَ
هنالكَ تغفو وتنسى مواكبها أن تدورَ
زمانٌ شديدُ السوادِ ولونُ النجومِ
يذكّرُنّى بعيونِ الذنابِ
وضوءٌ صغيرٌ يلوحُ وراءَ الغيومِ
عرفتُ به في النهايةِ لونَ السرابِ

ووهم الحياة

فواخيبتاه

أهنا إذن هو ما لقبوه الحياة؟

خُطوطٌ نَظَلْ نَخطَطُها فوقَ وجهِ المِياهِ

وأصداءُ أُخْنِيَة فَظَّةٍ لَا تَمَسُّ الشِّفاهِ

وهذا إذن هو سرُّ الوجود؟

ليالٍ مَمَزَّةٌ لَا تَعُودُ

وَأَثَارُ أَقْدَامِنَا فِي طَرِيقِ الزَّمانِ الْأَصَمِّ

تَمَرُّ عَلَيْهَا يَدُ الْعاصِفِ

فَتَمْسَحُهَا دَوْغًا عَاطِفِ

وَتُسَلِّمُهَا لِلْعَمَمِ

وَنَحْنُ ضَحَايَا هُنَا

تَجْوَعُ وَتَعَطِّشُ أَرْوَاحُنَا الْحَائِرَةِ

وَنَحْسَبُ أَنَّ لِلنَّيِّ

سِتْمَلًا يَوْمًا مَشَاعِرَنَا الْعَاصِرِ

وَنَجْهَلُ أَنَّ نَدُورُ

مَعَ الْوَهْمِ فِي حَلَقَاتِ

نَجْزِي أَيَّامَنَا الْأَفَلَاتِ

إلى ذكريات
ونتظرُ الغدَ خلفَ المصورِ
ونجهلُ أن القبورَ
تمدُّ إلينا بأذرعها الباردة
ونجهلُ أن الستائرَ تُخفي يداً ماردة

عرفتُ الحياةَ، وضقتُ بجمع الظلالِ
وأضجرتُني أنْ نجوبَ التلالِ
نحلقُ في حَسرةٍ خلفَ ركبِ الليالي
تسيرُ بنا القافلة
نجوسُ الشوارعَ في وَحْلةٍ قاتله
إلامْ يُخادعنا للمبهمِ؟
وكيفَ النهايةُ؟ لا أحدٌ يعلم

سنبقى نسيرُ
وأبقى أنا في ذهولي الغريرِ
ألمُ الظلالِ كما كنتُ دونَ اهتمامِ
عيونٌ ولا لونٌ، لا شيءٌ إلا الظلامِ
شفاهُ تريدُ ولا شيءٌ يَقربُ عما تريدُ

وأيّد تُريدُ احتضانَ الفضاءِ المديدِ
وقلبٌ يريدُ التجوّمَ
فيصفعهُ في الدياجيرِ صوتُ القُدومِ
يُهيلُ الترابَ على آخرِ الميتينِ
واقصوصةً من يرّاعِ السنينِ
تضجُ بسمي فأصرخُ: آه!
أخيراً عرفتُ الحياه
فواخيئناه!

١٩٤٨

أجراس سوداء

لَنَمْتُ فَالحياة جَفَّتْ وهذَى الأ
كؤُوسُ الفارغاتُ تَسْخَرُ مِنَّا
وغيومُ الذُهلِ في أعين الأيـ
امِ عادتِ أجلى وأعمقَ لونا
وسكونُ الحياةِ في جَسَدِ الأحـ
لامِ لم يُبقِ قَطُّ للمعيشِ معنى
وفراغُ الأهاتِ أثبتَ أَنّا
قد فرغنا من دورنا وانتهينا

وعميقاً في الليلِ نسمعُ أَنّا
مَ الليالى في رهبةٍ ووجومِ
ودوىُ الأجراسِ يُنذِرنا أَنّا
لَا انتهينا من دورنا المحمومِ
أنّ ما في الكؤُوسِ يوشكُ أن يند
خُصَبَ إلا من حَفنةٍ من همومِ
أنّ ما في الميُونِ من عَطشِ الأحـ
لامِ أَمسى رمادَ حُبٍّ قديمِ

وبعيداً في الجوّ تُنذِرنا الأصـ
واتُ أَنَّ الحياةَ عادتِ جُنونا
أنّ لونَ الخيالِ قد حالَ وارندٌ
شُحوباً وواقماً محزوناً
أنّ «قَبْلَ» الرجاءِ أصبحَ لا «بَعـ
لَدَه» له فهو فكرةٌ لَنْ تكونا
أنّ شيئاً في عُمقِ أنفُسنا يجـ
لذُبنا للمماتِ، شيئاً مكيثاً

ولماذا نبقى هنا؟ أولم نشد
 أولم نذكر النعيم وخمر الد
 أولم نعرف الأسي العاصم
 أولم تشيع الوجود ومن في
 بيع ونضجر ونزو دون انتهاء؟
 حصر والحب نابضاً بالرجاء؟
 والنوم بمد طول البكاء؟
 احتقاراً ونمض باستهزاء؟

ولماذا نبقى هنا؟ أسمع المو
 لئمت فالرياح تجرح وجهي
 وهنا نحن متعبان غريباً
 وهنا نحن ميّتان وإن كا
 ت ينادي بنا فلم لا نجيب؟
 لنا ولون الدجى عميق رهيب
 ن تعالي بنا الشباب الكتيب
 ن لعرق الحياة فينا وجيب

«الغريبان» هكذا يهمس اليه
 أيها الليل لن يعيش الغريباً
 خذهما ارخ جنحك الأسود الها
 خذهما عز أن يقولوا «غريباً»
 ل وأجراسه تلف الوجودا
 ن ولن يلمساً مساءً جديدا
 دى حوليهما وحلق بعيدا
 ن» وكانت أقصوصة لن تعودا

١٩٤٨

نهاية السلم

مرت أيام متطفئات
لم نلتق لم يجتمعنا حتى طيفُ سرَّابٍ
وأنا وحدي، أقتاتُ بوقعِ خطي الظلماتِ
خلف زُجاجِ النافذةِ الفظةِ، خلف البابِ
وأنا وحدي...

مرت أيام
باردةٌ تزحفُ ساجبةً ضَجَرى المرتابِ
وأنا أصنى وأعدُّ دقائقها القلقاتِ
هل مرَّ بنا زمنٌ؟ أم خُصنا اللازمنا؟
مرت أيام
أيامٌ تُثقلُها أشواقى، أين أنا؟
ما زلتُ أحققُ فى السَّلمِ
والسَّلمُ يبدأ لكن أين نهايته؟
يبدأ فى قلبى حيثُ التيهُ وظلمتهُ
يبدأ، أين البابُ المبهمُ؟
بابُ السَّلمِ؟

مرّت أيامٌ
 لم نلتق، أنتَ هناك وراءَ مَدَى الأحلامِ
 فى أفقٍ حَفٍّ به المجهولُ
 وأنا أمشى، وأرى، وأنامُ
 أستنفذُ أيامى وأجرُ غدى الممسولِ
 فيفرُّ إلى الماضى المفقودُ
 أيامى تأكلُها الآهات متى ستمودُ؟
 مرّت أيامٌ لم تتذكرَ أنَّ هناكُ
 فى زاويةٍ من قلبك حباً مهجوراً
 عضّت فى قدميه الأشواكُ
 حباً يتضرّعُ مذهوراً
 هبّ النورا

عُدْ، بعض لقاء
 يمتحننا أجنحةً نجتازُ الليلَ بها
 فهناك فضاء
 خلفَ الغابات الملتصقات، هناك بحورُ
 لاحدٌ لها تُرغى وتمورُ
 أمواجٌ من زبدِ الأحلامِ تقلبُها
 أيدٍ من نورٍ

عد، أم سيموت،
صوتي في سمعك خلف المنعرج المقوت
وأظلم أنا شاردة في قلب النسيان
لا شيء سوى الصمت المملود
فوق الأحزان
لا شيء سوى رجيع نعان
يهيمن في سمعي ليس يعود
لا ليس يعود

١٩٤٨

أنا

الليلُ يسألُ من أنا
أنا سرُّهُ القلقُ العميقُ الأسودُ
أنا صمتهُ المتمردُ
قنعتُ كنهى بالسكونِ
ولفقتُ قلبي بالظنونِ
وبقيتُ ساهمةً هنا
أرنو وتسألني القرونُ
أنا من أكون؟

والريحُ تسألُ من أنا
أنا روحها الحيرانُ أنكرني الزمانُ
أنا مثلها في لا مكانِ
نبقى نسيرُ ولا انتهاءً
نبقى غرُ ولا بقاءً
فإذا بلغنا المنحني
خلّناهُ خاتمةَ الشقاءِ
فإذا فضاء!

والدهر يسأل من أنا
 أنا مثله جِبَارَةٌ أَطْوَى عُصُورُ
 وأعودُ أَمْنَحُهَا النُّشُورُ
 أنا أخلقُ المَاضِي البَعِيدُ
 من فِتْنَةِ الأَمَلِ الرَغِيدُ
 وأعودُ أَدْفُنُهُ أَنَا
 لأصوغُ لِي أَمْسًا جَلِيدُ
 غَلَّهُ جَلِيدُ

والذاتُ تُسألُ من أنا
 أنا مثلها حَيْرَى أَحْدَقُ فِي ظَلَامِ
 لَأشَىءَ يَمْنَحُنِي السَّلَامِ
 أَبْقَى أَسْأَلُ الْجَوَابِ
 سَيُظَلُّ يَحْبِبُهُ سَرَابِ
 وَأُظَلُّ أَحْسِبُهُ دَنَا
 فَإِذَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ ذَابِ
 وَخِيبًا وَغَابِ

١٩٤٨

غرياء

أطفئُ الشمعةَ وأتركنا غريبين هنا
نحن جزءٌ من الليلِ فما معنى السنا؟
يسقطُ الضوءُ على وهمين في جفنِ المساءِ
يسقطُ الضوءُ على بعضِ شظايا من رجاءِ
سميتُ نحنُ وأدعوها أنا:
مللاً، نحن هنا مثلُ الضياءِ

غُرياءُ

اللقاءُ الباهتُ الباردُ كالיוםِ المطيرِ
كان قتلاً لأناشيدى وقبراً لشعورى
دقَّت الساعةُ في الظلمةِ تسعاً ثم عشراً
وأنا من ألى أصغى وأحصى، كنت حيرى
أسألُ الساعةَ ما جَلَوَى جبورى
إن نكن نقضى الأماسى، أنت أدرى

غرياءُ

مرتِ الساعاتُ كالماضى يُقشّيهَا الذُبُولُ
كالغدِ المجهولِ لا أدرى أفجرُّ أم أصيلُ
مرتِ الساعاتُ والصمتُ كأجواءِ الشتاءِ

خلتهُ يخفق أنفاسي ويطنّي في دمائي
خلتهُ ينسُ في نفسي يقولُ
أنتما تحت أحاسيرِ المساءِ

غُرباءُ

أطفئِ الشمعةَ فالروحانِ في ليلٍ كثيفٍ
يسقطُ النورُ على وجهينِ في لونِ الحريفِ
أولاً تبصرُ؟ عينانا ذبولٌ وبرودُ
أولاً تسمعُ؟ قلبانا انطفاءٌ وخمودُ
صمتنا أصداءُ إنذارٍ مخيفٍ
ساخرٌ من أننا سوفَ نعودُ

غُرباءُ

نحن من جاء بنا اليوم؟ ومن أين بدأنا؟
لم يكن يعرفنا الأمسُ رقيقين.. فدعنا
نطفّرُ الذكرى كان لم تك يوماً من صبانا
بعضُ حبٍّ نزق طاف بنا ثم سلاتنا
آه لو نحن رجعنا حيثُ كنا
قبلَ أن نفقَى وما زلنا كلاتنا

غُرباءُ

أغنية الهاوية

مبججتُ الزوايا التي تلتوى
وراء النفوسُ
وراءَ بريقِ العيونِ
وأبغضتُ حتى السكونَ
وتلك المعاني التي تنطوى
عليها الكؤوسُ
معاني الصدى والجنونِ
معاني الخطايا التي تُبرقُ
بريقَ النجومِ
وفي لمسها اللهبُ المحرقُ
ولونُ الهجومِ
كرهتُ الجفونَ التي تأسُرُ
وخلفَ سماءِ ابتساماتها
لهيبَ الحقودِ
كرهتُ الأكفَ التي تمصرُ
وخلفَ حرارةَ رعشاتِها
جمودُ كذُلِّ الحياهِ

على جنة تحت بعض اللحود
تعيثُ بها دودةٌ في بروج
كرهتُ ارتعاشَ الشفاه
يرجعُ الصلاة
ففي كلِّ لفظٍ خطيئة
تجيشُ بها رَغَبَاتُ دنيته
وعفتُ طُمُوحِي وبِحْثِي الطويلُ
عن الخيرِ، والحبِّ، والمثلِ العاليه
وحقّرتُ سعى إلى عالمٍ مستحيلٍ
فخلفَ انخداعيَ تتظرُّ الهاويه
وعفتُ جنوني القديمَ وعفتُ الجديدُ
وأودعتهُ في مكانٍ بعيدٍ
دفنتُ به رَغَبَاتِ البَشَرِ
وسمّيتهُ جنة الواهمين
ستمضي السنينُ
لماذا أحسُّ الأسى والضَجَرَ،
وكفُّ المطرِ
تلفُّ على عنقي المختنقُ
حبالَ الفكرِ؟

وَأَيْنَ أَسِيرُ وَقَلْبِي النَّزَقُ
هَنَّاكَ مَا زَالَ لَا يَرُدُّ
وَلَا يَحْتَرِقُ

كَقَلْبِ أَيْ الْهَوْلِ، أَيْنَ الْغَدُ؟
أَحْسُ حَيَاتِي تَذُوبُ
قَفَى لَحْظَةً وَاحِدَةً

وَلَا تَسْجِي يَدَكَ الْبَارِدَةَ
فَأَغْنِي الْهَآوِيَةَ

تُهَيِّبُ بِأَقْدَامِي الشَّارِدَةَ
وَتَلَوِي الدَّرُوبَ

قَفَى لَحْظَةً يَا حِبَالَ الْحَيَاةِ
وَلَا تَتْرَكِينِي هُنَا

مَعْلَقَةً بِالْفَرَاغِ الرَّهِيْبِ
فَأَمْسِ الْقَرِيبَ

تَلَاشِي عَلَى آخِرِ الْمُنْحَنِ
وِظْلُ غَدِي

تَلْتَمَّ أَوَاهُ لَوْ أَهْتَدِي
قَفَى لَحْظَةً وَاحِدَةً

وَلَا تَسْجِي يَدَكَ الْبَارِدَةَ

فأغنيةُ الهاوية
تردّها الأنفسُ الجانيه
تكرّرها في جنونٍ
على سمعى المُجهّد
تكرّرها لم يعدْ لى سكونٍ
أكادُ أسيرُ إلى الهاويه
مع الساترينِ
وأدفنُ آخرَ أحلاميهِ
وأنسى غلدى

فنى جبال الشمال

عُدْ بنا يا قطارُ
فالظلام رهيبٌ هنا والسكونُ ثَقِيلُ
عُدْ بنا فالمدى شاسعٌ والطريقُ طويلُ
والليالي قصارُ
عُدْ بنا فالرياحُ تنوحُ وراءَ الظلالِ
وعواءُ الذئابٍ وراءَ الجبالِ
كصراخِ الأسيِّ في قلوبِ البشرِ
عُدْ بنا فعلى المنحدرِ
شبحٌ مكفهرٌ حزينُ
تركتُ قَدَماءُ على كلِّ فجْرِ أثرُ
كلِّ فجْرِ تقضى هنا بالآسى والحنينِ
شبحُ الغربةِ القاتلهِ
فى جبالِ الشمالِ الحزينِ
شبحُ الوحدهِ القاتلهِ
فى الشمالِ الحزينِ
عد بنا قد ستمنا الطوَّافُ
فى سُفوحِ الجبالِ وعُدنا نخافُ

أَنْ تَطُولَ لَيْالِي الْغِيَابِ
 وَيَغْطِي عَوَاءُ الذَّنَابِ
 صَوْتَنَا وَيَمِزُّ عَلَيْنَا الْإِيَابِ
 حُدُّبْنَا لِلْجَنُوبِ
 فَهَنَّاكَ وَرَاءَ الْجِبَالِ قُلُوبِ
 حُدُّبْنَا لِلَّذِينَ تَرَكْنَاهُمْ فِي الضَّبَابِ
 كُلُّ كَفٍّ تَلَوُّحٌ فِي لَهْفَةٍ وَاكْتِتَابِ
 كُلُّ كَفٍّ فُؤَادِ
 حُدُّبْنَا يَا قَطَارُ، سَمِعْنَا الطَّوْافَ وَطَالَ الْبَعَادُ
 وَهَنَّاكَ هَمْسٌ عَمِيقُ
 لَانْتِغٍ خَلْفَ كُلِّ طَرِيقِ
 فِي شَعَابِ الْجِبَالِ الضَّيْحَامِ
 وَوَرَاءَ الْغَمَامِ
 فِي ارْتِعَاشِ الصُّنُوبِ، فِي الْقَرْيَةِ الشَّاحِبِ،
 فِي عَوَاءِ ابْنِ آوَى، وَفِي الْأَنْجَمِ الْغَارِبِ،
 فِي الْمَرَامِيِّ هَنَّاكَ صَوْتُ شُرُودِ
 هَامِسٌ أَنْ نَعُودِ
 فَهَنَّاكَ بَيُوتُ أُخَرَ
 وَمَرَامِ أُخَرَ

وقلوبٌ آخرُ
 وهناك عيونٌ أبت أن تنامَ
 وأكفٌ تضمُّ الدُّجَى في اضطرامِ
 وشفاهُ ترددُ أسماءنا في الظلامِ
 وقلوبٌ تُصيخُ لأقدامنا في وجومِ
 وتنادى النجومُ
 في أسى وسكون:
 «ومتى يا نجومٌ سيذكرنا الهاربون؟»
 «ومتى يرجعون؟»

لحظةً، سنعودُ
 لن يرانا الدُّجَى هاهنا، سنعودُ
 سنعودُ، سنطوى الجبالُ
 وركامُ التلالِ
 لن ترانا ليالى الشمالِ
 ها هنا من جديدِ
 لن يحسَّ القضاةُ المديدِ
 نارَ آهاتنا في المساءِ الرهيبِ
 فى سكونِ المساءِ الرهيبِ

عُدُّ بنا يا قطارَ الشمالِ
فهناكَ وراءَ الجبالِ
الوجوهُ الرقاقُ التي حجبَتْها الليالِ
عُدُّ بنا، عُدُّ إلى الأذرعِ الحانيه
في ظلالِ النخيلِ
حيثُ أياْمنا الماضيه
في انتظارِ طويلِ
وقفتُ في انتظارِ
تتحرى رجوعَ القطارِ
لتسيرِ مع السائرينِ
حيثُ أياْمنا تسألُ العابرينِ
واحدًا، واحدًا، في حنينِ
«ومنى عودةُ الهارينِ؟»

لنعدُّ فهناكَ نشيدٌ قديمُ
حولنا هامسٌ بالرجوعِ
ما أحبُّ الرجوعِ
بعدَ هذا الطوافِ الأليمِ
في جديبِ الشعابِ
حيثُ تَعوى الذئابُ

لنعدّ، فالدُجَى باردٌ كالجليدِ
وهناكَ خلفَ الفضاءِ البعيدِ
أذرعُ دافته
لنعدّ فالجبالُ تكثُرُ عن ليلها المظلمِ
وهناكَ خلفَ الدُجَى المبهَمِ
صوتُ أحبابنا، فى الظلامِ السحيقِ
نابضاً بالحنينِ العميقِ
صوتُهم مُثَقلاً بالعتابِ
صوتُهم رَدَدته الشُعابِ
صوتُهم فى سكونِ المكانِ
دائرٌ كالزمانِ
لنعدّ قبلَ أن يقضىَ الأفعوانِ
بفراقٍ طويلٍ، طويلٍ
عن ظلالِ النخيلِ
عن أحرّأنا خلفَ صمتِ القفارِ
عدّ بنا يا قطارَ
فالليالى قصارُ
وهناكَ أحبابنا فى أسمى وانتظارِ

إلى عمتي الراحلة

أنا لم أزل في الفَجَرِ رايةً تتدافعُ الذكري على شفتي
بعضُ ارتعاشاتٍ وأصداءِ الجُرْحِ نديانٌ تعيشُ به
أصداءُ ماضيٍ مَيّتٍ ناءٍ أيامه عادتُ صدىً حلُمِ
لم تَبَقَ منه غيرُ أشلاءِ غيرُ ابتساماتٍ ممزقةٍ
أودتُ بهنَّ مِرارةُ الداءِ

تتدافعُ الذكري وتغلأني الأملُ ما زالتْ كآبته
أشباحها قلقاً وأشجاناً بالليلِ كيفَ سهرته المأ
حرى تذكّرني بما كانا بدموعي العطشِ وحرقتها
بالفجرِ كيفَ أطلَّ ظمآننا باليأسِ كيفَ طغتْ مرارته
بتلفقِ الإحساسِ أحزاننا وتمردتْ حُرْقاً ونيراننا

الأمس هل في الأمس من حُلُمِ هل فيه بعضُ صدىٍ يناغمني
هل فيه بعضُ صدىٍ يناغمني لفظٌ يمرُّ؟ وبسمةٌ؟ ويدٌ
مرّت برقنتها على قلقي؟ أوأه، بعضُ خطي الودِّ بها
من حزنِي القاسي ومن أرقى بعضُ ابتسامتك التي غريت
في الصمتِ واحترقت على الأفقِ

الدمع أذرفه ويذرفني
قطراته ناراً تمزقني
عيناي تحترقان من ألم
جرحانٍ لاجفتان أين غدى؟
ما للحياة هَوَتْ أشعثها

قلباً يجنُّ أسىً ويحضرُ
ما زال منها في دمي أثر
تدني وتقطرُ فيهما الصور
أين الطبيعة والهوى النضر؟
ليلاً وعكراً جوها القدر؟

أين التفتُ تصلني صورٌ
ذكرى من الماضي تحطمني
أواه، كيف سقطت ميتة
وأنا أميشُ رؤى عمزقة
تتلفت الذكرى إليك ويسى

وحشية، وثبتتُ آلام
وتظل تصهرُ جفني الدامي
وأنا أميشُ وتلك أوهامي
وأحسُّك أمواتي وأحلامي
ظمأً يعمُّمُ جوَّ أيامي

وأريدُ أن أنسى فتختفي
أبقى جرحاً حافراً قلقاً
كفُ الحنانِ نسيتُ ملمسها
لم يبقَ منها غيرُ أغنية
وسهرتُ أنشدتها وأنشدتها

رَعَشَاتُ حُزْنٍ سَاهِدُ مُرٍّ
في قلبٍ أحلامي وفي شعري
وفقدت معبرها على شعري
جفت مرارتها على ثغري
في ليلة مأسورة الفجرِ

أواه من حُرْزنى ومن ظمأى هل عُدت طيفاً مطفأ المقل
 القبرُ ضمك فى برودته بعد ارتعاشة قلبى الخضل
 لا طير يوقظُ فيك عرقَ هوى لاشيء يبعثُ خامدَ الأمل
 الظلُّ مرَّ وأنت ساهيةٌ عن رقصه وشُعاعه الثمل
 والنجمُ لاحَ وأنتِ هامدةٌ لا تعبأين بضوئه الخجل

وغرَّ أصداؤه الحياة ضحى	بوسادك المحزونِ وا أسفا
صوت المؤذنِ كم سهرت له	ما باله فى مسمعك غفا؟
ما بال رعشه غمر على	قلب تناسى كيف أمس هفا
ما بالها لاذت بغربتها	ومضت تبكى حولك (النجفا)
تبكى وترسم فى اتفاضتها	صوتاً يبيت الليل مُرَّجفا

أوحيدة فى القبرِ هامدةٌ وأنا أمس سريرك الخاوى؟
 خصلات شعرك فوقه حرق فى عمق يأسى الصارخ الداوى
 ومكان رأسك فى الوسادة فى قلبى بقايا كوكب هاو
 وقميصك الباكى أما بقيت فيه حرارة جسمك الداوى؟
 كيف انطويت وأنت خالدة فى أدمى؟ شلت يد الطاوى

أصغى وهل تُصغين؟ هل بلغت مشواك أصداء ارتعاشاتي
 كيف انتفضت وأنت هائلة في مخيلتي إلى وأماتي؟
 تعمُرُ النعمات في شفتي بصُراخ أحزاني وأثباتي
 مزقت أيامي التي سلفت ودفنت فيك بشاشة الآتي
 وأضعت أفراحي ومن عبث شبيه ابن ساماتي وضحكاتي

١٩٤٨

الكوليرا

سَكَنَ اللَّيْلُ
اصْبَحْ إِلَى وَقَعِ صَدَى الْأَنَاتِ
فِي عَمَقِ الظُّلْمَةِ، تَحْتَ الصَّمْتِ، عَلَى الْأَمْوَاتِ
صَرَخَاتُ تَعْلُو، تَضْطَرِبُ
حُزْنٌ يَتَدَفَّقُ، يَلْتَهَبُ
يَتَعَثَّرُ فِيهِ صَدَى الْأَهَاتِ
فِي كُلِّ فَوَادٍ غَلِيَانُ
فِي الْكُوخِ السَّاكِنِ أَحْزَانُ
فِي كُلِّ مَكَانٍ رُوحٌ تَصْرُخُ فِي الظُّلُمَاتِ
فِي كُلِّ مَكَانٍ يَبْكِي صَوْتُ
هَذَا مَا قَدْ مَرَّقَهُ الْمَوْتُ
الْمَوْتُ، الْمَوْتُ، الْمَوْتُ
يَا حُزْنَ النَّيْلِ الصَّارِخِ مِمَّا فَعَلَ الْمَوْتُ

ظَلَعَ الْفَجْرُ
اصْبَحْ إِلَى وَقَعِ خُطَى الْمَاشِينَ
فِي صَمْتِ الْفَجْرِ، اصْبَحْ، انْظُرْ رَكْبَ الْبَاكِينَ

عشرة أموات، عشرونا
 لا تُخصِصِ اصْبَحْ للباكِتِنا
 اسمع صوتَ الطفلِ المسكينِ
 مَوْتَى، مَوْتَى، ضاعَ العددُ
 مَوْتَى، مَوْتَى، لم يبقَ غَدُ
 فى كلِّ مكانٍ جَسَدٌ يتلَبَّهُ محزونُ
 لا لحظةَ إخلادٍ لا صَمْتِ
 هنا ما فعلتْ كَفُّ الموتِ
 الموتُ، الموتُ، الموتُ
 تشكو البشريةُ تشكو ما يرتكبُ الموتُ

الكوليرا
 فى كهفِ الرُّعبِ مع الأشلاءِ
 فى صَمْتِ الأبدِ القاسى حيثُ الموتُ دواءُ
 استيقظْ داءُ الكوليرا
 حقداً يتدفقُ موتورا
 هبطْ الوادى المريحَ الوُضَاءِ
 يصرخُ مضطرباً مجنوناً
 لا يسمعُ صوتَ الباكِتِنا
 فى كلِّ مكانٍ خَلْفَ مَخْلَبِ أَصْدَاءِ

فِي كُوخِ الْفَلَاحَةِ فِي الْبَيْتِ
لَا شَيْءَ سِوَى صَرَخَاتِ الْمَوْتِ
الْمَوْتُ، الْمَوْتُ، الْمَوْتُ
فِي شَخْصِ الْكُولِيرَا الْقَاسِيِ يَنْتَقِمُ الْمَوْتُ

الصَّمْتُ مُرِيرٌ
لَا شَيْءَ سِوَى رَجْعِ التَّكْبِيرِ
حَتَّى حَقَّارُ الْقَبْرِ نَوَى لَمْ يَبْقَ نَصِيرُ
الْجَمَاعُ مَاتَ مَوْثِقُهُ
الْبَيْتُ مِنْ سَيُونِهِ
لَمْ يَبْقَ سِوَى نُوحٍ وَزَفِيرِ
الطُّفْلِ بِلَا أُمَّ وَأَبِ
يَبْكِي مِنْ قَلْبٍ مُلْتَهَبٍ
وَعَدَا لِأَشْكٍ سَلِيقَهُ الدَّاءُ الشَّرِيرُ

يَا شَبَّاحَ الْهَيْضَةِ مَا أَبْقَيْتَ
لَا شَيْءَ سِوَى أَحْزَانِ الْمَوْتِ
الْمَوْتُ، الْمَوْتُ، الْمَوْتُ
يَا مَصْرُ شُعُورِي مَرْقُهُ مَا فَعَلَ الْمَوْتُ

لنكن أصدقاء

لنكن أصدقاء
في متاهات هذا الوجود الكثيب
حيث يمشى الدمار ويحيا الفناء
في زوايا الليالي البطاء
حيث صوت الضحايا الرهيب
هازناً بالرجاء
لنكن أصدقاء
فميون القضاء
جاملات الحدق
ترمق البشر المتعيين
في دروب الأسى والأنين
تحت سوط الزمان النزق
لنكن أصدقاء،
الأكف التي عرفت كيف تجبي الدماء
وتحز رقاب الخلقين والأبرياء
ستحس اختلاج الشعور
كلما لامست إصبعاً أو يدا

والعيونُ التي طالما حدَّقتْ في غُرورِ
ترمقِ الموكبِ الأسودِ
موكبِ الرازحينَ العبيدِ
هذه الأعينُ الفارغاتُ
ستُحسُّ الحياةَ
ويعودُ الجمودُ البليدُ
خلفها ألفَ حرقٍ جديدِ
والقلوبُ التي سمَّعتْ في انتعاشِ
صرَّخاتِ الجياعِ العطاشِ
ستذوبُ بكاءً على الجائعينِ
ستذوبُ لتسقى صدَى الظالمينِ
كاساً ولنكنْ ملئتْ بالأنينِ

لنكنْ أصدقاءَ
نحنُ والحائرونِ
نحنُ والعزَّلُ المتعبونِ
والذين يُقالُ لهم «مجرمون»
نحنُ والأشقياءُ
نحنُ والتملؤنَ بخرِ الرجاءِ

والذين ينامون في القفر تحت السماء
نحن والتائهون بلا مأوى
نحن والصارخون بلا جدوى
نحن والأسرى
نحن والأمم الأخرى
في بحار الثلوج
في بلاد الزئوج
في الصحارى وفي كل أرض تضم البشر
كل أرض أصاغت لآلامنا
كل أرض تلقت نواييت أحلامنا
ووعت صرخات الضجر
من ضحايا القدر

لنكن أصدقاء
إن صوتاً وراء الدماء
في عروق الذين تساقوا كؤوس المدا
في عروق الذين يظنون كالتملين
يطعنون الإخاء
يطعنون أعزاءهم باسمين

فِي عُرُوقِ الْحَيِّينَ... وَالْهَارِينَ
مِنْ أَحْبَابِهِمْ، مِنْ نِدَاءِ الْحَنِينِ
فِي جَمِيعِ الْعُرُوقِ
إِنَّ صَوْتًا وَرَاءَ جَمِيعِ الْعُرُوقِ
هَامِسًا فِي قَرَارَةِ كُلِّ فُؤَادٍ خَفُوقٍ
يَجْمَعُ الْأَخُوَّةَ النَّافِرِينَ
وَيَشْدُ قُلُوبَ الشَّقِيِّينَ وَالضَّاحِكِينَ
ذَلِكَ الصَّوْتُ، صَوْتُ الْإِخَاءِ
فَلَنَكُنْ أَصْدِقَاءُ

فِي بَعِيدِ الدِّيَارِ
وَوَرَاءَ الْبَحَارِ
فِي الصَّحَارَى، وَفِي الْقُطْبِ، فِي الْمَدُنِ الْأَمْنَةِ
فِي الْقُرَى السَّاكِنَةِ
أَصْدِقَاءُ بَشَرٍ
أَصْدِقَاءُ يَنَادُونَ أَيْنَ لِلْقُرَى؟
وَيَصِيحُونَ فِي نَبْرَةِ ذَابِلِهِ
وَيَمُوتُونَ فِي وَحْدَةِ قَاتِلِهِ
أَصْدِقَاءُ جِيَاعٍ، حُطَّاءَ، عُرَاهُ

لفظتهم شفاه الحياة
إنهم أشقياء
فلنكن أصدقاء

من بعيد
صوت عصف الرياح الشديد
ناقلاً ألف صوت مديد
من صرّاخ الضحايا وراء الحدود
في بقاع الوجود
الضحايا، ضحايا العراك
وضحايا القيود
وصدى «هياواتنا» هناك
مُثَقلاً بأنين الجياح
بأسى المصطلين لظي الحمى
بالذين يموتون دون وداع
دون أن يعرفوا أمّا
دونما آباء
دونما أصدقاء

جنازة المرح

سأغلق نافذتى فالضياء
سأمدد هذا الستار السميك
وأطردُ صوتَ الريحِ البليد
وأسندُ رأسى إلى الذكريات
وأرسلُ حسى يلفُ القنيل
لعلى أردُ إليه الحياة
يعكّر ظلمتى الباردة
على صفحةِ القصةِ البائده
وأشعاعاً الأنجمِ الحاقده
وأغمسُ عينيّ فى دمعتين
ويُدغىّ جبهتهُ الهامده
وأمسحُ من زُرقةِ الشفتينِ

سأغلقُ نافذتى فالقتيل
وأكرهُ أن يتمطى الضياء
على جبهةِ زرعنها النجوم
وكانت تُشعُ الحياةُ فعمادت
تخطُ عليها فراعُ المات
أمرُ عليها بكفى فأصرُ
يحبُ الظلامَ العميقَ العميق
على جسمه الشاعرى الرقيق
ولوّنّها ضؤوها بالبريق
تمجُّ الأسى والردى والعذاب
أساطيرَ عهدٍ سحيقٍ سحيق
خُ رعباً وأسقط فوق التراب

سَأغْلِقُ نَافِذَتِي فَالظَّهِيرُ	ةٌ لَا يَتَّهِى حِقْلُهَا الرَّاعِبُ
تَصِبُّ سَكِينَتُهَا فِي بَرُودِ	وَيَسْخَرُ بِي وَجْهُهَا الْغَاضِبُ
يَطَارِدُنِي صَمْتُهَا السَّرْمَدِيُّ	وَيَكُونُنِي لَوْنُهَا الرَّاسِبُ
وَأَيْنَ الْمَفْرُ؟ نَكَادُ السَّنَائِرُ	تَدْخُلُهَا غُرْفَتِي الْمَظْلَمَةُ
وَأَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَهَذَا الْقَتِيلُ	يُرْوَعُنِي وَجْهُهُ الشَّاحِبُ
أَمَامِي الْقَتِيلُ وَخَلْفِي الظَّهِيرُ	ةٌ يَا لِمَطَارِدَةِ الْمُؤَلِّمَةِ

سَأَصْبِرُ حَتَّى يَجِيءَ الدُّجَى	وَيَغْرِبُ خَلْفَ الْوُجُودِ الضِّيَاءُ
فَأَحْمِلُ هَذَا الْقَتِيلَ الْبَرِيءُ	إِلَى هَوَّةٍ مِنْ كَهَوفِ الْمَاءِ
أَسِيرُ بِأَسْلَاحِهِ مُوَكَّباً	بَطْءِ الْخَطَى كَلْبَالِي الشِّتَاءِ
وَتَبْعُنِي شَهَقَاتُ التَّذَكُّرِ	رِ مَهْمُومَةٍ فِي أَسَى وَشُرُودِ
وَفِي آخِرِ الْمَوْكَبِ التَّرْنِجِ	وَجْهٌ يَشِيْمُهُ فِي اِزْدِرَاءِ
وَفِي آخِرِ الْمَوْكَبِ التَّرْنِجِ	وَجْهٌ يَشِيْمُهُ فِي بُرُودِ

عَرَفْتُ الْجَبِينِ عَرَفْتُ الشَّفَاهِ
عَرَفْتُ بِهَا وَجْهَ حَزْنِي الدَّفِينِ
وَفِي يَدِهِ مُسْلِيَةٌ لَمْ يَزَلْ
عَرَفْتُ الْمَدْوَّ اللَّجُوجَ هُنَاكَ
يُحَلِّقُ مُسْتَهْزِئًا بِالْقَتِيلِ
نَعَمْ هُوَ.. أَعْرَفُهُ جَيِّدًا

وهذي الميئون الغلاظ الأديم
وقد عادَ يَحْمِلُ جِرْحِي الْقَدِيمِ
عَلَى حَدِّهَا دُمُ أَمْسَى الْإِكِيمِ
يَسِيرُ عَلَى أَثَرِ الْمَوْكِبِ
وَيَضْحَكُ ضَحْكَةً فَظًّا أَثِيمِ
فَكَمْ مَرَّةً قَبْلُ قَدْ مَرَّ بِي

وَابْصُرْتُ فِي أَثَرِي أَلْفَ طَيْفٍ
عَرَفْتُ بِهَا الْبَسَامَاتِ الَّتِي
عَرَفْتُ بِهَا الضَّحِكَاتِ الَّتِي
أَهْدَى إِذْنُ بَسْمَاتِي؟ حَنَانًا
أَهْدَى إِذْنُ ضَحِكَاتِي أَهْدَى
وَهَذَا الْقَتِيلُ أَحَقُّ فَقَدْتُ

حَزِينٍ تَلْقَعُ بِالْمَعْبَرَاتِ
لَقِيتُ بِهَا لَطَمَاتِ الْحَيَاةِ
سَكَبْتُ نَدَاهَا عَلَى الذِّكْرِيَّاتِ
أَعْدَنْ عَبُوسًا وَرَجَعُ أَثِينِ؟
نَهَايَةُ مَا صُغْتُ مِنْ بَسْمَاتِ؟
بِهِ مَرَحِي الْمُضْمَحَلُّ الدَّفِينِ؟

يوتوبيا فى الجبال

مهدة إلى اختى إحسان التى شهدت معى مولدها
عند عين الماء الثلجية المتحدرة بين صخور سرسنك
الملونة.

تفجّرى يا عيونُ
بالماء، بالأشعة الذائبة
تفجّرى بالضوء، بالألوان، فوق القرية الشاحبة
فى ذلك الوادى المُقشّى بالدجى والسكون
تفجّرى باللحونُ
فوق أنبساط السفح بين التلال
فى المنحنى حيثُ تموجُ الظلالُ
تحت امتداد الغصونُ
تفجّرى بالجمالُ
وشيدى يوتوبيا فى الجبال
يوتوبيا من شجرات القمم
ومن خرير المياه
يوتوبيا من نغم
نابضة بالحياه

تفجّري، سيلي على مُتحدّراتِ الصُّخُورِ
حيث يطيرُ الفَرَّاشُ
في نشوةٍ وارتعاشٍ
تفجّري حيثُ تنامُ الطيورُ
في جنةٍ من عطورٍ
حيثُ يَفْطِي السَّفْحُ غابٌ كثيفٌ
صنوبريُّ الحُفَيْفِ
تفجّري نقيّةً فوق حصيِّ المُتحدّرِ
في عطفةِ الوادي العميقِ اللّخيفِ
في ظُلُلِ الجَوْزِ الرقيقِ الوريْفِ
تحت أنبساطِ الشجرِ
تفجّري في الصّباحِ
تفجّري جارفَةً كالرياحِ
تفجّري في الغروبِ
وشيدي يوتوييا من قلوبِ
من كلِّ قلبٍ لم تَطَأْهُ الحَقُودُ
ولم تَلْنَسْهُ أَكْفُ الرُّكُودِ
من كلِّ قلبٍ شاعريٍّ عميقٍ
لم يتمرّعْ بخطايا الوجودِ

من كل قلب رقيق
 مستغرق في حلمه لا يُفقد
 إلا على حلم بعيد المدى
 ليس له من حدود
 حلم تحدى الغدا
 من كل قلب لا يطيق الجمود
 ولا صرير القيود
 تفجرى بيضاء فوق الصخر
 لونا وضوءاً يتحدى كل رجس البشر
 تفجرى لن يسام المنحدر
 سيلي على النائمين
 وأغرقى نهيمة الظالمين
 فيضي على الميتين
 على قلوب لا تحس الحنين
 على عيون لم تطهرها أكف البكاء
 على نفوس لا تحس السماء
 على أكف تجهل الكبرياء
 سيلي بعيداً في القرى الجائعه
 حيث الحفاة العراء

وحيث لا يبلغُ سَمْعَ الحياهِ
 إلا صُراخُ الأنفُسِ الضارعهِ
 إلا عِواءُ الذنابِ
 فى عَطفَةِ الوادى الشقى الحزينِ
 فى شاهقاتِ الهضابِ
 وحيثُ لا تُبصرُ عينُ السنينِ
 إلا أسى المتمينِ
 قوافلُ يحدو بها أشقياءُ
 فى جَنَّةٍ من رَحَاءِ
 قوافلُ الجائعينِ
 فى ذلكِ الوادى الخصبِ الترابِ
 قوافلُ الظامئينِ
 يلتمسونَ السرابِ
 والماءُ يجتاحُ أنزلاقَ السنينِ
 قوافلُ للملالِ
 يحرمُها الكدُّ نِقاءَ الجبالِ
 قوافلُ مَجَّتْ رنينَ الفؤوسِ
 وغيرُها للكؤوسِ
 للنومِ والأحلامِ تحتَ الظلالِ
 أنصافُ موتى لا تُحصى الجمالِ

تفجّرى يا مياهُ
 تفجّرى فوق قُبُورِ البَشَرِ
 تفجّرى فى الصَخَرِ
 وسجّلى مأساةَ هذى الحياهِ
 فوق جبينِ القَدَرِ
 ما زالت القريةُ منذُ القدمِ
 أنصوبةً ممزوجةً بالآلمِ
 قصّت أساها الرياحُ
 على شُحوبِ الصبّاحِ
 تفجّرى، سىلى وغطّى القممِ
 ألقي على القصّةِ سِرَّ العَدَمِ
 لا تذكّرْ هذا النشيدَ الحزينِ
 ما كان إلا رجْعَ صَوْتٍ وهونِ
 أصغَتْ إليه السنينُ
 فى لحظةٍ، ثم مَضَتْ فى سُكونِ

سرسنك ١٩٤٨

وجوه ومرايا

يا كؤوس الأحلام يا من تخيل
أه لو تذكرين كيف أحسُّ الـ
والرحيق الذي حلَّمتُ به كبـ
كيف حين استلمتُ كأسَ أرسلـ
تُك أفقاً تضمُّه الأضواءُ
كُون صحراءَ خلفها صحراءُ
فَ طوتهُ المראהُ الخرساءُ
تُ دموعي ولم يُفِلنني ارتواءُ

ارتوائى؟ أوَّاه من حُرَّق الرُّو
ارتوائى؟ هذا السَّرابُ الذي ير
ارتوائى حَسْبُهُ شفقاً حلـ
ليس إلا اللاشئُ يصدِّمُ شوقي
ح لماذا تظَلُّ رُوحى ظمأى؟
كضُّ قلبى وراءهُ وهوَ ينأى
حوأ فلما دنوتُ لم أرَ شيئاً
ويُلبُّ الأحلامَ جزءاً فجزءاً

الفراغُ الفراغُ يقتلنى أوَّ
أه لو لم تحُلْ مواقعُ أقدا
السكوتُ السكوتُ يَفْغَرُ فاهُ
والظلامُ الظلامُ يطفئُ عينيَّ
أه لو كان للوجود وجودُ
مى امتداداً حلوتهُ اللاحدودُ
وغداً يغربُ الهوى والنشيدُ
فماذا أحسُّ؟ ماذا أريدُ؟

أيها الليلُ ليلَ روحيَ أما من
ظلماً صارخٌ بأعماقِ نفسي
أه لو لم يحلَّ رجائي الإلهي
أه لو كانتِ السعادةُ شيئاً

ملجأً من بُرودةِ الظلماءِ؟
لشُعاعٍ مُسكِّلٍ من ضياءِ
سراباً ضحلاً وبعضَ عزاءِ
غيرَ هذى الفقاعةِ السوداءِ

لقبوها الحياةُ وهى اضطرابٌ
وامتدادٌ للأنهيةِ لا يب
لقبوني «أنا» ولم يفهموني
أنا ماذا؟ تحرقُ ليس يرنا

أبدىٌ ولهفةٌ لا تقَرُ
لدا لا يتهى فأين المفرُ؟
ما أنا ما وجودي المكفهرُ
حُ وظلُّ سرعانٍ ما سيمرُّ...

فى صفاءِ المرأةِ حدثتُ فى طيه
كائنٌ شاحبٌ يحلقُ فى وجد
هذه هذه أنا ليس من شكٍ
لم لا أستطيعُ أن أُلْسَ النذا

غى طويلاً والشكُ فى مقتلٍ
هى مثلى محبِراً مطويّاً
فلم لا أمسُها يدياً؟
ت؟ وأمحو تحرقى الأبديةَ؟

ثم ماذا! أمدُّ كفى فى شو
صدمةٌ صدمةٌ تمزقُ روحي
الزجاجُ الجبارُ شقٌّ ولكن
عن كيانٍ رسمتهُ أنا وحدى

ق عميقٍ فلا أمانقُ ذاتي
ليس إلا بُرودةُ المرأةِ
عن مثالٍ مشوهٍ للحياةِ
فلذا غبتُ غابَ فى الظلماتِ

الكيانُ المسوخُ ها أنا أمحو
ضربةً من يدي تحطمت المر
ليتي كنتُ صُتُّها عادَ وجهي
ليتي كنتُ صُتُّها ليتي أم

هُكِّفاهُ هُزَّءاً بنار أسايا
أه فوق الشرى وعادت شطايا
ألفَ وجه تطلُّ منها الضحايا
سلمُ كيف المرأة عادت مَرايا

١٩٤٧

قبر ينفجر

ناديتُ أكّداسَ الرمالِ: تفجّري
وهتفتُ يا روحَ المماتِ: تمزّقي
وصرختُ بالأرضِ الدنيئة: ارفعي
هذا فؤادى نابضاً، هذا دمي
لن تلذّني جَسدي النقيّ الشاترا
لن تحبّسي قلبي الجريءَ الساخرا
من قلبِ هذا الطينِ روحي الشاهرا
متفجّراً تحتَ الترابِ مشاهرا

بالأمسِ في هذا الظلامِ دفنتني
لم تسمي دقاتِ قلبي في الدجى
لم تفهمي روحي وقلتِ سكونهُ
ووهمتِ أيّنها الحياةُ فلم تَري
تحتَ الثرى ولففتني بصخوره
وأشحتِ عن إحساسه وشُموره
موتنا ولم يبلُغكِ رَجْعُ هديره
في أدمعي غيرَ الردى وفتوره

ما نفعُ أكّداسِ الترابِ جميعها؟
الجُثةُ الظمأى التي أودعتها
الآنَ ينفجرانِ ناراً حيّةً
والآنَ ينبثقانِ من قلبِ الثرى
الآنَ ينفجرُ الترابُ الغاصبُ
بالأمسِ والوجهُ الكتيبُ الشاحبُ
ويسابقُ الإعصارَ روحي الصاحبُ
ويعودُ لى الأملِ الجميلِ المذهبُ

ما خلته صَخْرًا إِلَيْكَ وَجِيبُهُ
القَبْرِ ضَجٌّ وَضَاقَ تَحْتَ عَوَاطِفِي
هَذَا الرَّمَادُ حَذَارٌ مِنْ أَعْمَاقِهِ
يَا مَنْ حَسَبْتَ النَّارَ طِينًا خَامِدًا

ما خلته صَعْنًا إِلَيْكَ نَشِيدُهُ
وَالطِّينُ حَوْلِي لَنْ أُطِيقَ رُكُودَهُ
فَوْرَاءَهُ جُمْرٌ نَسِيتُ رُغُودَهُ
وَنَسِيتُ إِعْصَارَ الصَّبَا وَخُلُودَهُ

هَذِي الْعَبُودُ حَذَارٌ مِنْهَا، إِنَّهَا
هَذِي الْعَرُوقُ حَذَارٌ مِنْ قَوْرَانِهَا
هَذِي الشَّفَاءُ حَذَارٌ مِنْ سَكَنَاتِهَا
هَذَا الْفُؤَادُ حَذَارٌ مِنْ عَفْوَاتِهِ

خَلْفَ الْجَفَوْنَ عَمِيقَةً أَغْوَارُهَا
فَقَدْأُ سَبْرُخٌ فِي الْمَدَى إِعْصَارُهَا
فَقَدْأُ سَتَجْتَاحُ الْمَدَى أَشْعَارُهَا
فَوْرَاءَ رَقْدَتِهِ الْحَيَاةُ وَنَارُهَا

نَادَيْتُ أَكْدَاسَ الرَّمَالِ: تَفْجَّرِي
وَصَرَخْتُ بِالْأَرْضِ الدَّنِيَّةِ أَرْفَعِي
فَإِذَا الْحَيَاةُ مُشِيحَةٌ عَنْ صَرَخَتِي
وَأَنَا عَلَى صَدْرِ الثَّرَابِ تَمَرَّدُ

وَهَنَفْتُ يَا رُوحَ الْمَمَاتِ، تَمَزَّقِي
أَسْرَ التَّرَابِ عَنِ الشَّبَابِ الْمَرْهَقِ
لَمْ يَأْتِهَا نَعْمُ اللَّهْيَبِ الْمُحْرَقِ
حُرٌّ وَنَارٌ تَوَثَّبَ وَتَحَسَّرَ

لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَحْطُمَ سَاعِدِي
سَافَجَرُ الْقَبْرِ الصَّغِيرِ حَجَارَةً
وَسَاصْرَعُ الْمَوْتِ الضَّعِيفِ وَأَنْتَنِي
وَسَاسْتَرُ الْأَلْحَانِ فِي صَمْتِ الدَّجَى

هَذِي الْقَيُودَ وَهَا أَنَا، هَذِي يَدِي!
وَاطِيرٌ مِنْ أَمْسَى الْقَرِيبِ إِلَى غَدِي
بِمَخَاوِفِي وَمِعَادَتِي وَتَهْدِي
يَا أَنْجِمَ اللَّيْلِ الْمُضِيئَةَ فَاشْهَدِي

ناديتُ أكداسَ الرمالِ تفجّري
وجمعتُ أحلامي ومزّقتُ الثرى
وفتحتُ صدرى للضياء وسحره
أنا حيّة يا أرضُ، هذى نغمتى

فتفجّرتُ تحتَ المساء المظلمِ
بصفاتها ووقفتُ تحتَ الأنجمِ
وصرختُ بالكون الجميل اللهم
هذا نشيدُ فؤادى للتكلمِ

١٩٤٧

ذكريات

كَانَ لَيْلٌ، كَانَتْ الْأَنْجُمُ لُفْزاً لَا يُحَلُّ
كَانَ فِي رَوْحِي شَيْءٌ صَافَهُ الصَّمْتُ الْمَلُّ
كَانَ فِي حَسِّي تَخْدِيرٌ وَوَعْيٌ مَضْمَحْلٌ
كَانَ فِي اللَّيْلِ جُمُودٌ لَا يُطَاقُ
كَانَتْ الظُّلْمَةُ أَسْرَاراً تُرَاقُ
كَنتُ وَحْدِي لَمْ يَكُنْ يَنْجِعُ خَطْوِي غَيْرُ ظَلِي
أَنَا وَحْدِي، أَنَا وَاللَّيْلِ الشَّتَائِي... وَظَلِي

لَمْ أَكُنْ أَحْلُمُ لَكِنْ كَانَ فِي عَيْنِي شَيْءٌ
لَمْ أَكُنْ أَبْسُمُ لَكِنْ كَانَ فِي رَوْحِي ضَوْءٌ
لَمْ أَكُنْ أَبْكِي وَلَكِنْ كَانَ فِي نَفْسِي نَوءٌ
مَرَّي تَذْكَارُ شَيْءٍ لَا يُحَدُّ
بَعْضُ شَيْءٍ مَا لَهُ قَبْلُ وَيَعْدُ
رَبِّمَا كَانَ خَيْالاً صَاغَهُ فِكْرِي وَلَيْلِي
وَتَلَفْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَتَابِلْ غَيْرَ ظَلِي

كان صمتٌ راکدٌ حولي كصمت الأبدية
 ماتت الأطيّارُ أو نامتُ بأعشاشٍ خفيّة
 لم يكن ينطقُ حتى الرغباتُ الأدميّة
 غيرَ صوتِ رنٍّ في سمعي وذابا
 لحظةً لم أدرك حتى أين غابا
 آه لو أدركتُ من اللقاء في الصمتِ المملِ
 أتراني لم أكن أمشي أنا وحدي وظلي؟

كانت الظلمةُ تمتدُّ إلى الأفقِ الغريبِ
 كلُّ شيءٍ مفروقٌ فيها كلقبي، كشحوبي
 ظلمةٌ ممتدةٌ كالوهم كاللوتِ الرهيبِ
 غيرَ ضوءٍ خاطفٍ مرٍّ بجفني
 لحظةً لم تدرك ماذا كان، عيني
 كان ضوءاً لونه لونُ خيالٍ مضمحلّ
 مرّ بي لمنحاً وأبقاني أنا وحدي وظلي

كان في الجوّ الشتائي ارتعاشٌ وجمودٌ
 جمّد الظلُّ من البردِ وغشّاه الرُكودُ
 ليلةٌ يرجفُ في أجوائها حتى الجليدُ
 غيرَ دفءٍ طاف في قلبي الوجيع

فَرَزْتُ فِيهِ مِنْ شَتَائِي بِرَبِّعٍ
وَإِذَا فِي مُنْقِ قَلْبِي فَرَحَةُ الْفَجْرِ الْمَظْلُ
غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ فِي اللَّيْلِ أَنَا وَحْدِي وَظَلِّي

كَانَ فِي رُوحِي فَرَاغٌ جَائِعٌ كَاللَّاهِيَةِ
كَانَ ظَلِّي صَامِتًا لَا لَحْنَ لَا رَجْعَ حِكَايَةٍ
بَاهِتًا يَتَّبِعُ مَسْرَى خُطَوَاتِي دُونَ غَايَةٍ
غَيْرَ كَأْسٍ عَبَّرَتْ حِينَ صَرَخْتُ
قَطْرَةً وَاحِدَةً ثُمَّ ارْتَوَيْتُ
أَتَرَاهُ كَمَا كَانَ أَكْثَرُ نَوْبَةٍ إِحْسَاسِي الْمُضِلُّ
أَوْ مَا كُنْتُ أَنَا وَحْدِي مَعَ اللَّيْلِ وَظَلِّي؟

كَانَ قَلْبِي مُتَمَعِّبًا يَسْكُنُهُ حُزْنٌ قَطِيعٌ
رَقِصْتُ فِيهِ وَشَدَّتُهُ إِلَى الْجُرْحِ دُمُوعٌ
صَوْرٌ فِي قَفْرِهِ يَصْبُغُ مَرَاةَ النَجِيعِ
كَانَ، لَكِنْ يَدَا مَرَّتْ عَلَيْهِ
حَمَلْتُ بَعْضَ تَحَايَاهَا إِلَيْهِ
بَارَكْتَ أَلَامَهُ السُّودَاءَ كَانَتْ يَدُ طِفْلٍ
أَيُّ طِفْلٍ؟ لَمْ يَكُنْ فِي اللَّيْلِ غَيْرِي غَيْرَ ظَلِّي

تهم

أعبر عما تحسُّ حياتي وارسمُ إحساسَ رُوحى الغريبِ
فأبكي إذا صدمتني السنين بختجرها الأبدى الرهيبِ
وأضحكُ مما قضاهُ الزمان على الهيكلِ الأدمى المجيبِ
وأغضبُ حين يُداسُ الشُمُورُ ويُسخَرُ من قُورَانِ اللّهِيبِ

أعبرُ عن كلِّ حسٍّ أعية
وأبكي الحياةَ ولا أنكرُ
وأضحكُ من كلِّ ما تحتويه
وأغضبُ لكتى أشمرُ

يقولونَ شاعرةٌ فى السّحاب تخلّقُ خلفَ سَرابِ النّجومِ
أنانيّةٌ لا تحسُّ الوجـود وإن صرّعتُ جبالَ الغمومِ
خياليّةٌ تمثّلُ الكائنات وتخلّقُ عالمها فى الفيومِ
خريفيةٌ تكرّهُ الضاحكين لتدفنَ جبهتها فى الهمومِ

أنانيّةٌ وأحبُّ البَشَرِ
خياليّةٌ وحياتي تسيرُ
خريفيةٌ وأناجى الزّهرِ
وعاطفتى لهبٌ من شُـمُورِ

يقولون: عاشقة للظلام تُحبُّ الدياجي وتَهْوَى السُكونَ
وتنشدُ أشعارها للجبال وترسمُ أحلامها للميون
تُحبُّ الحياةَ ولكنها تعكّرُها بخيال المنون
ترى جوها غيباً حالكاً يضيقُ بأثامهِ ألهَمون

أحبُّ الظلامَ ولكنني
أنورُ على كلِّ أحلامكم
أحبُّ الحياةَ على أنني
أحقرُ موكبَ أيامكم

يقولون: جامدةُ الحسِّ تحبُّ
يقولون: صوفيةُ فالحياةُ
عواطفُها جمَدَتْ كالنجوم
وتحليقُها كانَ ثم أمحى
مع الأمس في حلْمٍ جامدٍ
تنوحُ على حسِّها الخامدِ
كنهومةِ القمرِ الباردِ
على صدرِ إحساسها الراكدِ

يقولونَ لكنني ناتهيه
ألوذُ بصمتي الخفيِّ الغريبِ
أعيشُ حياتي كالآله
وقلبى شعورٌ وروحي لهيبٌ

يقولون دَعهم غداً يعلمون ودعنى أنا للشذى والجمال
أحبُّ الحياةَ بقلبي العميق وأمزجُ واقمها بالخيال
أحبُّ الطبيعةَ حبَّ جنون أحبُّ النخيلَ أحبُّ الجبال
وأعشقُ ذاتي ففى عمقها خيالُ وجودٍ عميقٍ الظلال

وأهتفُ يا نارَ قلبي الغريبِ
وموجَ أحاسيسى السائره
إذا اتهموا فلماذا أُجيبُ
بغيرِ ابتسامتى الساخره؟

١٩٤٧

رماد

أهكذا داست علينا الحياه
لم تَبْقِ منا صَدَى
لم تَبْقِ إلا النَّدَمَ الأسودا
وصوتَ وا خيبة

أهكذا لم يَبْقِ إلا الرَّمَاد
أليس من كوكبنا الأفل
في الموقف الذابل؟
إيماضة تُستَمَاد؟

أليس عنا نَبَأٌ أو نَشِيدُ
ألم تَعُدْ قِصَّتُنَا البائده
أو هَمْسَةً وأحده؟
توقظُ عِرْقاً جديداً؟

ألم يَعدْ قِطْلُنَا من مكانٍ
أليس في كاساتنا الخالية
في القصّة الجارية؟
شيءٌ يَهْمُ الزَّمَانُ؟

وذلك الموكبُ والسائرونُ
لم يَدْرِكُوا أَنَّ هَوَاتِنَا اندثر
فوقَ ثَرَى النُّحُورِ
في عُثْقِ قَبْرِ السكونِ

ووقع أَقْدَامُ الهَوَى الرَّاحله
تنقُلُها الريحُ فلا تستعيدُ
إلى مكانٍ بعيد
ألحانُها القافله

ونحن ما زلنا نُجْرُ الحنينِ
أقبادنا مثقلةٌ بالحياة
والأمنَ والذكرى
ونحنُ في الميَّستينِ

ونحن ما زلنا نسوق الرَّمَادَ
وافزعُ الأحلامَ ترجو سُدى
لنُطعمَ الموقدَ
خَلَقَ غَدٍ من جمادِ

وبعثَ ماضٍ لونُ أركانهِ
أمسى رهيباً تُتَكَرُّ الأيامُ
من مِرْقِ الأحلامِ
عَارَى جُذُرَانِهِ

أمسى بعيداً تحجبُ الوديانُ
تعيثُ فيه الهدأةُ الساهمة
أسوارهُ القمامة
ويحكمُ النسيانُ

والريحُ لم تُبقِ على بابهِ
لم تُبقِ حتى وقعَ أقدامنا
حُرُوفَ أسمائنا
في جَوِّ محرابهِ

وربَّما طافت به في دُهورِ
تطوفُ حولَ الغُرفِ الخاليةِ
أشباحنا الباكيةِ
سُدى تُريدُ الدُخُولَ

أشباحنا يضلُّها الإحصارُ
تَظَلُّ ولهي تَلْطُمُ الأبوابُ
تحتَ غِلافِ الضبابِ
والحائِطِ النُّهارِ

أشباحنا حافرة في ارتعاد	مقبرة الذكريات
لا صورة تبغض فيها حياة	لا شيء غنير الرماد
تُنصتُ في رُعب وفي إعياء	عند السيلاج الحزين
فلا تعي إلا بقايا أين	تُرسله الأقباء
أشباحنا تستفهم النسيان	من أميها الضائع
فلا ترى إلا الردى الجائع	يقوض البنيان
واذرع السرو تمُدُّ الذُّهُول	فوق شُحوب الخراب
كانها تقذف فوق القُباب	معنى الردى والذُّبول
ولفظة واحدة واحده	تكررت في المكان
سمعتها تفح كالأنموان	في الشُرف الباردة
أبصرتها مكتوبةً باللهيب	في الغُرف الباليه
وفوق ساق السروة العاربه	وفي الغناء الجسديب
أحسستها تهمس معنى «مضى»	ملء المساء الكئيب
أبصرتها في كل ركن رهيب	أبصرت لفظاً «انقضى»

وتلتقى أشباحنا في اللّساء	باردةً واجممه
تنظرُ في تقطيرةٍ ساهمه	في سَورةٍ من غيباء
أشباحنا تطلُّبُ ماضينا	لا تُدركُ الأسرار
كيف انقضى؟ ألم يعد في الدارِ	صوتٌ ينادينا؟
أهكذا داست علينا الحياه	لم تُبقِ منا صَدى؟
لم تُبقِ إلا النَّدَمَ	وصوتٌ واخيبناه؟

١٩٤٨

الخيط المشمود فى شجرة السرو

-١-

فى سوادِ الشارعِ المظلمِ والصمتِ الأصمِّ
حيثُ لا لونَ سوى لونِ الدياجى المدهمِّ
حيثُ يُرخى شجرُ الدُّفلى أساءُ
فوقَ وجهِ الأرضِ ظلاً،
قصةٌ حدثنى صوتُ بها ثم اضمحلا
وتلاشت فى الدياجى شفتاهُ

-٢-

قصةُ الحبِّ الذى يحسبه قلبك ماتا
وهو ما زال انفجاراً وحياةً
وغداً يَمصرُكَ الشوقُ إلَيَّا
وتنادبنى فتعمى،
تَضَعُفُ الذِّكْرَى على صَدْرِكَ عبتا
من جنون، ثم لا تَلْمَسُ شَيْئاً
أى شَيْءٍ حُلُمٌ لَفْظٌ رقيقُ
أى شَيْءٍ، ويتناديك الطريقُ
فَتُصَيِّقُ.

ويراك الليلُ في الدرب وحيدا
 تسألُ الأمسَ البعيدا
 أن يعودا
 ويراك الشارعُ الحالمُ والدُفلى، تسيرُ
 لونُ عينيك انفعالاً وجورُ
 وعلى وجهك حبٌ وشعورُ
 كلُّ ما في عمق أعماقك مرسومٌ هناك
 وأنا نفسى أراك
 من مكاني الداكن الساجي البعيد
 وأرى الحلمَ السعيد
 خلفَ عينيك يناديني كسيرا
 وترى البيتَ أخيرا
 بيتنا، حيثُ التقينا
 عندما كان هوانا ذلك الطفلَ الغريرا
 لوْنُهُ في شفَتينا
 وارتعاشاتُ صباهُ في يَدَينا

-٣-

وترى البيتَ تبتقى لحظةً دونَ حراك:
 ها هو البيتُ كما كان، هناك

لم يزل تحجبه الدُّفْلَى ويحنو
فوقه التارنجُ والسرو الأُخْنُ
وهنا مجلسنا...

ماذا أحسُّ؟

حيرةٌ في عُمقِ أعماقي، وهمسٌ
ونزيرٌ يتحدَّى حُلْمَ قلبي
ربما كانت... ولكن فيم رُعي؟
هي ما زالت على عهدِ هوأنا
هي ما زالت حنانا
وستلقاني تحاياها كما كنا قديما
وستلقاني.....؟

ونمشي مطمئناً هادئاً

في الممرِّ المظلم الساكن، تمشي هازناً
بهتاف الهاجس المنذر بالوهم الكذوب:
ها أنا عدت وقد فارقتُ أكْداسَ ذنوبي
ها أنا الملحُ عينيك تُطلُّ
ربما كنت وراء الباب، أو يُخفيكِ ظلُّ
ها أنا عدتُ، وهذا السَّلْمُ
هو ذا البابُ العميقُ اللونِ، مالي أحجمُ؟
لحظةً ثم أراها

لحظة ثم أوى وَقَعَ خطاها

ليكن.. فلا طرق الباب...

وتمضى لحظات

ويصرُّ البابُ في صوتِ كتيبِ النِّيراتِ

وترى في ظُلْمَةِ الدَّهْلِيزِ وجهاً شاحباً

جامداً يعكسُ ظلاً غارِباً:

«هل...؟» ويخبو صوتك المبحوحُ في نَبرٍ حزينٍ

لا تقولى إنها...

«يا للجنون!»

أيها الحالمُ، عَمَنْ تسألُ؟

إنها ماتت!

وتمضى لحظتان

أنت ما زلتَ كأنْ لم تسمعِ الصوتَ المُتَّيزِ

جامداً، تَرْمُقُ أطرافَ المكانِ

شارداً، طرفك مشدودٌ إلى خيطِ صغيرٍ

شدُّ في السُّرَّةِ لا تدري متى؟

ولماذا؟ فهو ما كانَ هناكِ

منذُ شهرين، وكادتِ شفتاكِ

تسألُ الأختَ عن الخيطِ الصغيرِ

ولماذا حلقوه؟ ومتى؟

ويرنُّ الصوتُ في سمعك: «ماتت...»
 «إنها ماتت...» وترنو في برودِ
 فترى الخيطَ حبالاً من جليدٍ
 عقدتها أذرعٌ غابت ووارتها المنونُ
 منذ آلاف القرونِ
 وترى الوجهَ الحزينِ
 ضخَّمتهُ سحبُ الرعبِ على عينيك، «ماتت...»

-٤-

هى «ماتت...» لفظةٌ من دون معنى
 وصدى مطرقة جوفاء يعلو ثم يَفنى
 ليس يعنيك تَوَالِيهِ الرتيبُ
 كل ما تبصره الآن هو الخيطُ العجيبُ
 أتراها هى شدته؟ ويعلو
 ذلك الصوتُ المملُ
 صوتُ «ماتت» داوياً، لا يضمحلُ
 يملأ الليلَ صرّاخاً ودوياً
 «إنها ماتت» صدى يَهْمسهُ الصوتُ ملياً
 وهتافٌ رددته الظلماتُ
 وروتهُ شجراتُ السرو فى صوتٍ عميقٍ

«إنها ماتت» وهذا ما تقولُ الماصفاتُ
«إنها ماتت» صدَى يصرخُ فى النجم السحيقِ
وتكاذ الآن أن نسمعه خلفَ المروقيِّ

-•-

صوتُ ماتت رنٌ فى كلِّ مكانٍ
هذه المطرقةُ الجوفاءُ فى سَمعِ الزمانِ
صوتُ «ماتت» خائقُ كالأفعوانِ
كلُّ حرفٍ عصبٌ يلهثُ فى صدرك رُعباً
ورؤى مشنقة حمراء لا تملك قلباً
وتجتنى مخلبٌ مُختلجٌ ينهشُ نهشاً
وصدى صوتِ جحيمى أجشاً
هذه المطرقةُ الجوفاءُ: «ماتت»
هى ماتت، وخلا العالمُ منها
وسدى ما تسألُ الظلمةَ عنها
وسدى تُصغى إلى وقعِ خُطأها
وسدى تبحثُ عنها فى القمرِ
وسدى تحلمُ يوماً أن تراها
فى مكانٍ غيرِ أقباءِ الذكّرِ
إنها غابت وراءَ الأنجمِ

واستحالت ومضة من حلم

-٦-

ثم ما أنت هنا، دون حراك
متعباً، توشك أن تنهار في أرض المر
طرفك الحائر مشدود هناك
عند خيط شد في السروة، يطوى ألف سر
ذلك الخيط الغريب
ذلك اللغز المريب
إنه كل بقايا حبك الذاوي الكثيب.

-٧-

ويراك الليل تمشي عائدا
في يدك الخيط، والعرشة، والعرق المدوي.
«إنها ماتت...» وتمضي شاردة
عابثاً بالخيط تطويه وتلوي
حول إبهامك أخراً، فلا شيء سواه،
كل ما أبقى لك الحب العميق
هو هذا الخيط واللفظ الصفيق
لفظ «ماتت» وانطوى كل هتاف ما عداه

للقارئ

وردت فى سياق القصائد بضع كلمات أوربية، قد يهم القارئ أن يقرأ لكل منها شرحاً موجزاً:

يوتوبيا Utopia

كلمة إغريقية معناها «لا مكان» استعملتها للدلالة على مدينة شعرية خيالية لا وجود لها إلا فى أحلامى، ولا علاقة لهذه المدينة بيوتوبيا التى تخيلها الكاتب الانكليزى توماس مورفى فى كتاب ألفه باللغة اللاتينية سنة ١٥١٦ ورسم فيه صورة سياسية إدارية للجزيرة المثلى كما يريدنا هو، قياساً على جمهورية أفلاطون.

ديانا Diana

عند اليونان القدماء، إلهة القمر، وحامية الصيد، كانوا يتخيلون أنها تسوق عربة القمر البيضاء كل مساء عبر السماء.

نارسيسس Narcisse

زهرة النرجس فى الأساطير اليونانية القديمة، إن نارسيس كان شاباً فاتناً شديد الغرور بجماله، فعاقبته الآلهة على كبريائه بأن جعلته يعشق صورته، بعد أن رآها منعكسة فى ماء بحيرة صافية ذات يوم، ثم رقت له فحولته إلى الزهرة التى مازالت تحمل اسمه.

ابولو Apollo

إله الوحى والفن، وقائد عربة الشمس فى الفضاء عند قدماء الإغريق، وهو شقيق ديانا التى مر ذكرها.

لابيرنث Labyrinth

كلمة إغريقية الاصل، معناها بناء ذو مسالك معقدة وأبواب لا حصر لها، متصلة بعدد كبير من الممرات والدعاليذ والأقباء، بحيث إذا دخله إنسان لم يملك الخروج منه.

وقد استعملت هذه اللفظة فى قصيدة «الأقموان» اسماً لطريق شيده «أمير غريب الطباع، ثم مات الأمير... وأبقى الطريق...» وربما كان باعث كلمة أمير فى ذهنى، اقتران كلمة- لابرنثوس- بشبه حكاية أسطورية تتعلق بتاريخ مصر القديم، فقد حكى عن هيرودوتس أنه حين مرّ بمصر رأى بناء غريباً هائل الضخامة أشبه بلفز كبير محير، من دخله لم يجد مخرجاً منه، شيده أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة ومن يدرى؟ لعل الملك الذى شيده هذا البناء أراد أن يتخذ منه مخبأ لا يدركه فيه «أفعوانه» الخاص.

هياواتا Hiawatha

بطل أسطورة من أساطير هنود الشمال فى أمريكا اختارها الشاعر الأمريكى لونكفلو موضوعاً للحملة شعرية كتبها سنة ١٨٥٥، والجزء الذى تهمنا الإشارة إليه من هذه الملحمة، أن زوجة هياواتا الشابة قد ماتت على أثر شتاء قاس انشب ثلوجه وأعاصيره فى القرية، منزلاً بسكانها الجوع والحمى والموت؛ ولذلك استعملت كلمة «هياواتا» فى قصيدة «لكن اصداقاء» رمزاً لصرخات الامتغاثة والشكوى فى أرض يموت سكانها مدفونين فى الثلج جائعين محمومين.

فهرست

- مقدمة عبده بدوى ٥
من سيرة حياتى وثقافتى ٢٩

مأساة الحياة

- تقدمة ٥١
مأساة الحياة ٥٩
على تل الرمال ٦٤
آدم وحواء ٦٨
قاييل وهابيل ٦٩
الحرب العالمية الثانية ٧١
عيون الاموات ٧٤
أنشودة السلام ٧٦
البحث عن السعادة ٨١
بين قصور الأغنياء ٨٥
عند الرهبان ٨٧
مع الاشرار ٩١
فى الريف ٩٣
بين الفنانين ١٠٢
مأساة الشاعر ١٠٣
عند العشاق ١١١
قيس وليلى ١١٥
فى أحضان الطبيعة ١١٧
القصر والكوخ ١٢٣

١٢٥	كتابة الفصول الأربعة
١٣٥	أسطورة نهر النسيان
١٣٧	أنشودة الأموات
١٤٠	مرثية للإنسان
١٤٣	مأساة الأطفال
١٤٧	أحزان الشباب
١٥٤	آلام الشيخوخة
١٥٨	بين يدي الله
١٦٠	الرحيل

أغنية للإنسان (١)

١٩٢	نداء إلى السعادة
٢٠٢	صلاة إلى بلاوتس
٢١٠	أنشودة الرهبان
٢١٤	أغنية تاييس

أغنية للإنسان (٢)

٢١٧	ذكريات الطفولة
٢٢٤	آدم وفردوسة
٢٢٨	الحرب العالمية الثانية
٢٣٠	البحث عن السعادة
٢٣٩	أنشودة الرياح (١)
٢٤٣	بين القصور
٢٤٤	أنشودة الرياح

٢٤٨ فى دنيا الرهبان
٢٥١ أنشودة الرياح (٣)
٢٥٣ فى دنيا الأشرار
٢٥٦ أنشودة الرياح (٤)
٢٥٨ فى الريف
٢٦٥ أنشودة الرياح (٥)
٢٦٧ فى عالم الشعراء

عاشقة الليل

٢٧٥ ذكريات محمودة
٢٨٠ ذكرى مولدى
٢٨٤ الحياة المحترقة
٢٨٧ فى وادى العبيد
٢٩١ ثورة على الشمس
٢٩٦ بين فكى الموت
٣٠١ السفر
٣٠٣ مراثية غريق
٣٠٧ على حافة الهوة
٣١٠ سياط وأصداء
٣١٢ نغمات مرتعشة
٣١٥ المقبرة الغريبة
٣٢٠ عودة الغريب
٣٢٣ الغروب
٣٢٨ عاشقة الليل

٣٣١	فى وادى الحياة
٣٣٣	أشواق وأحزان
٣٣٥	مدينة الحب
٣٣٧	إلى عيني الحزبتين
٣٤١	خواطر مائية
٣٤٤	التمائيل
٣٤٧	ذات مساء
٣٥٢	جزيرة الوحى
٣٥٥	على وقع المطر
٣٥٩	شجرة الذكرى
٣٦٢	الخيال والواقع
٣٦٥	السفينة التائهة
٣٦٨	قلب ميت
٣٧١	بعد عام
٣٧٣	العودة إلى المعبد
٣٧٦	عيد الإنسانية
٣٧٩	ليلة ممطرة
٣٨٢	أنشودة الأبدية
٣٨٦	على الجسر
٣٨٩	إلى الشاعر كيتس
٣٩٣	١- صوت التشاؤم
٣٩٤	٢- صوت الأمل
٣٩٥	٣- صوت الشاعر

٣٩٦	الخطوة الأخيرة
٤٠٠	البحر
٤٠٣	مرثية فى مقبرة ريفية
٤١١	الكلمات المكتوبة على القبر

شظايا ورماد

٤١٥	مقدمة
٤٢٩	كبرياء
٤٣١	يوتوبيا الضائعة
٤٣٥	تواريخ قديمة وجديدة
٤٣٧	صراع
٤٤٠	عندما اتبعث الماضى
٤٤٣	مرّ القطار
٤٤٧	عروق خاملة
٤٤٩	الجرح الغاضب
٤٥٢	الباحثة عن الغد
٤٥٤	الأفعوان
٤٥٩	خرافات
٤٦٣	جحود
٤٦٦	مرثية يوم تافه
٤٦٩	الغاز
٤٧٢	جامعة الظلال
٤٧٦	أجراس سوداء
٤٧٨	نهاية السلم

٤٨١	أنا
٤٨٣	غرياء
٤٨٥	أغنية الهاوية
٤٨٩	فى جبال الشمال
٤٩٤	إلى عمى الراحلة
٤٩٨	الكوليرا
٥٠١	لنكن أصدقاء
٥٠٦	جنازة المرح
٥٠٩	يوتوبيا فى الجبال
٥١٤	وجوه ومرايا
٥١٧	قبر ينفجر
٥٢٠	ذكريات
٥٢٣	تهم
٥٢٦	رماد
٥٣٠	الخط المشدود فى شجرة السرو
٥٣٧	للقارئ

فى عام ١٩٤٧ صدرت لى أول مجموعة شعرية. وقد سميتها «عاشقة الليل» لان الليل كان يرمز عندى إلى الشعر، والخيال، والأحلام المبهمة، وجمال النجوم، وروعة القمر، والتماع دجلة تحت الأضواء. وكنت فى الليل أعزف على عودى فى الحديقة الخلفية للبيت بين الشجر الكثيف، حيث كنت أغنى ساعات كل مساء. وقد كان الغناء سعادتى الكبرى منذ طفولتى، وكنت أحبس أنفاسى إذا ما سمعت صوت عبد الوهاب، أو أم كلثوم يحمله إلى جهاز حاك (غرامافون) يدور فى بيت الجيران، وكنت سريعة الحفظ لى أغنية أسمعها، وكانت أمدى لا تقفأ تندفش دهنشة كبيرة عندما تسمعنى أغنى، وما زلت أذكر صوتها فى صغرى وهى تتلفت، وتقول: يا إلهى ! من أين حفظت أبنتى كل هذه الأغانى؟ ومتى سمعتها؟ وكيف؟ ولم تدر أننى كنت حين أسمع حاكياً بدور بأغنية أقف مسمرة فى مكانى حتى لو كنت فى الشارع.

وفى تلك الأيام البعيدة لم يكن المذيع قد دخل الحياة فى العراق طبعاً، فكان الاستماع إلى الأغانى لا يتم إلا عن طريق الأسطوانات، ولم تبدأ إذاعة بغداد البث إلا فى سنة ١٩٣٥، كما أتذكر، يوم أن بلغت الثانية عشرة من العمر.

نازك الملا



المجلس الأعلى للثقافة